عندما يحب الشعراء

وأحلى قصص الحب

محمد رضوان



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اسم الكتاب: عندما يحب الشعراء
اسم المؤلف: محمد رضوان
رقم الإيداع : 19537

الطبعة الأولى ٢٠١٢



أجمل قصص الحب عند



١ـ العقاد .

٢ـ نزار قباني .

٣ـ علي محمود طه .

٤ـ بيرم التونسي .

٥ـ صالح جودت .

٦ـ أحمد عبد المجيد .

٧ـ أحمد فتحي .

٨ـ الهمشري .

٩ـ ناجي .

١٠ـ أحمد خميس .

١١ـ عبد الحميد الديب .

١٢ـ كامل الشناوي .





مقدمة

محمد رضوان
ناقداً ومؤرخاً أدبيا[1]

بقلم د / ماهر شفيق فريد

في شهر مارس ٢٠١١ صدر في سلسلة كتاب الهلال « أحمد خميس شاعر الروابي الخضر » للأديب الناقد محمد محمود رضوان وهو أحدث حلقة في سلسلة مؤلفاته التي اطرد صدورها منذ أكثر من ثلاثين عاماً وشكلت إضافة غنية إلى حقل الدراسات الأدبية في مجال الشعر العربي الحديث في مصر وذلك - بخاصة - في النصف الأول من القرن العشرين مع اهتمام خاص بشعراء مدرسة أبوللو وما أعقبها من امتدادات .

وأحمد خميس (١٩٢٥-٢٠٠٨) - الذي شدا محمد عبد الوهاب بقصيدته « الروابي الخضر» وعرفه الكثيرون ممثلاً سينمائياً وتليفزيونياً ومذيعاً أكثر مما عرفوه شاعراً من أكبر ممثلي المدرسة الوجدانية في الشعر المصري ، لم يلق شعره التقدير الذي يستحقه ولم يظفر قط بجائزة من هذه الجهة أو تلك مما يجعل من كتاب رضوان تصحيحاً - جاء في وقته - لوضع خاطئ وإزالة لظلم لحق بفنان متمكن من أدواته ، عارف بلغته ، قادر على التواصل مع قارئه دون تعمية أو معاظلة .

ويسلك محمد رضوان في هذا الكتاب منهجه الذي عرف به وهو « المنهج

(١) د/ ماهر شفيق فريد : ناقد أدبي ومترجم وقاص (مواليد القاهرة ١٩٤٤) من مؤلفاته : في الشعر الإنجليزي المعاصر ، ممالك الذهب - في الأدب والنقد .

الوجداني » الذي يجمع بين التحليل الموضوعي والاستجابة العاطفية ، ولا يخشى أن يتهم بالانطباعية أو الذاتية ، فهو يحرص على أن يتلمس نبضات قلب الشاعر المدروس ، وأن يعيش خبرته الوجدانية من الداخل، وأن ينقل إلى القارئ ما انطبع على صفحة روحه من تجربته الفنية .

وعلى هذا يؤكد رومانسية أحمد خميس الغنائية بوصفها مفتاح فهمه ، وسيرته وثقافته ، واستحضاره للشخصيات التاريخية ، وشعره في الحب ، ورباعياته التي تستحق المقارنة برباعيات الخيام ، ويشفع هذا بمختارات من شعره الوجداني والتأملي والوصفي .

وقبل هذا أصدر محمد رضوان كتيباً عن « شاعر ليالي الهرم صالح جودت » (عدد خاص من مجلة الثقافة الأسبوعية ٣ يوليو ١٩٧٥) تتبع فيه مؤثراته الوراثية ، وقراءاته التي كونته ، ودراساته ، واتصاله بجماعة أبوللو ، ودور المرأة في حياته وعمله ، وصدقه الفني ، واستخدامه للصورة الشعرية .

وفي السياق نفسه أصدر كتباً عن شاعر الكرنك أحمد فتحي ، وشاعر الأطلال إبراهيم ناجي ، وشاعر الجندول علي محمود طه المهندس ، كما خص صالح جودت بدراسة أخرى معمقة عنوانها « شاعر النيل والنخيل » .

ويرتد محمد رضوان إلى الوراء قليلاً في الزمن فيخرج طبعة محققة لديوان شاعر البؤس عبد الحميد الديب (١٨٩٨ -١٩٤٣) قدم لها فاروق شوشة (المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠) وكان رضوان قد أخرج عنه كتاباً عنوانه «فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب » (مركز الراية بالقاهرة ١٩٩٩) ، وفي مقدمته للديوان - وهي تستحق أن تقوم دراسة قائمة برأسها - استعرض سيرته وبؤسه وصعلكته ، وإدمانه الخمر ثم الكوكايين ، وما عاناه من حرمان ، وزواجه ، ووطنيته ، وحياته في الوظيفة ، ثم نهايته المؤسية بعد حياة قصيرة في حساب الزمن ولكنها أنتجت شعراً نابضاً « بالحرارة والصدق والعذاب » .

ومن الشعر ينتقل محمد رضوان إلى النثر فيخرج كتاباً عنوانه « صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك » (كتاب الهلال ، أكتوبر ١٩٧٤) وهو - على حد تعبير صالح جودت كاتب مقدمته - كتاب « تتعادل فيه روح الوفاء مع روح البحث » . هنا يرى رضوان أن مفتاح شخصية مبارك (١٨٩١ـ ١٩٥٢) هو « الصدق » الفني والأخلاقي ، وتحدث عن حياته وثقافته ، وأهمية المرأة في إبداعه، وملامح شخصيته ، ومعاركه الأدبية ، ومأساته عاشقاً للجمال حتى النفس الأخير ما كتب عن السندباد الطائر أنيس منصور (دار المعارف ١٩٨٣).

وفي فترة أحدث أخرج رضوان كتاباً نفيساً - على وجازته - عن « مصطفى محمود مشوار العمر » (سلسلة اقرأ ، دار المعارف ٢٠١٠) أود أن أتوقف عنده وقفة قصيرة هنا .

كان مصطفى محمود (١٩٢١-٢٠٠٩) ظاهرة متميزة في حقلنا الأدبي بما هو طبيب أديب ، جمع بين المعرفة العلمية والذوق الأدبي ، ومر فكره بتطورات درامية من مرحلة الشك في كتابه الأول « الله والإنسان » (١٩٥٧) حتى مرحلة الإيمان الذي يوشك أن يكون صوفياً . وقد رصد رضوان هذه المراحل كلها متوقفاً عند إنجازات محمود الأدبية ، ورحلته نحو اليقين ، ومعاركه الفكرية ، وسجاياه الإنسانية ، وتأملاته الفكرية ، وجمعه بين العلم والإيمان .

ومن أقيم فصول الكتاب الفصل المعنون « مصطفى محمود في الميزان » وهو يقدم صورة متوازنة لموضوعه كما انعكس في مرايا عدد من الأدباء والنقاد : كمال النجمي ورجاء النقاش وثروت أباظة وجلال العشري وخيري شلبي ويوسف نوفل .

ورأيي الشخصي - في هذا الصدد - أن أقيم ما يبقى من مصطفى محمود في ميزان النقد هو كتاب « الله والإنسان » بثورته الفكرية الخصبة ومجموعاته

القصصية الثلاث « أكل عيش » و« عنبر ٧» و « شلة الأنس » . لقد كان قاصاً موهوباً ، بل هو من أفضل أبناء جيله في معالجة القصة القصيرة . أما رواياته ومسرحياته فهي - في رأيي - محدودة القيمة ، تنحو أحياناً - كما في مسرحية « الشيطان يسكن في بيتنا » إلى الإسراف في التبسيط إلى حد السذاجة الفكرية .



وإذا تركنا كتابات محمد رضوان عن كتاب أفراد فربما كان خير مدخل إلى فكره النقدي هو كتابه الممتع المسمى « رحلتي مع القلم » وقد صدر في مسقط ، عاصمة سلطنة عمان ، سنة ١٩٨٤ ، وقدم له السفير الشاعر الأديب أحمد عبد المجيد . وكتابه أشبه بسيرة أدبية ، أو ترجمة لجوانب من حياته من منظور الأدب، وذلك منذ شب في قرية « الجمالية » المطلة على البحر الصغير بمحافظة الدقهلية حتى بدأ يكتشف عالم القراءة السحرى ، ثم نزل بالقاهرة والتحق بكلية دار العلوم حيث كانت فترة دراسته الجامعية بها (١٩٦٧ - ١٩٧٠) من أخصب سنوات حياته وأحفلها بتجارب الأدب والفن ، ويروى لنا كيف اتجه إلى أدب السير والتراجم منذ وقع في يده ديوان إبراهيم ناجي « ليالي القاهرة » في عام ١٩٦٢ تقريباً ، ثم قرأ كتاب صالح جودت عن ذلك الشاعر الطبيب .

ويسجل محمد رضوان ذكرياته عن أعلام عرفهم مثل أنور الجندي وتوفيق الحكيم وأحمد حسن الزيات وصالح جودت ويوسف السباعي وإبراهيم المصري وأنيس منصور وأحمد عبد المجيد وعبد العليم القباني ومحمود البدوي ورستم كيلاني وإبراهيم عيسى وأحمد خميس و المفكر التركي مقداد ياجن ومحمد الجيار .

ويستغرق النصف الثاني من الكتاب دراسات عن ناقدنا بأقلام صالح جودت وأنيس منصور وسعد حامد وحلمي القاعود ونبيل راغب وعبد العليم

القباني ومقداد ياجن وإبراهيم عيسى وأحمد عبد المجيد وكمال النجمي ألقوا فيها الضوء على مؤلفاته (وبخاصة كتبه عن زكي مبارك وعبد الحميد الديب وناجي وصالح جودت وأحمد فتحي وعلي محمود طه وأنيس منصور . فضلاً عن كتاب له عن أبطال الإسلام ومنهجه في كتابة السير والتراجم .

وطبيعي أن يخوض رضوان - في حياته الأدبية التي توشك أن تغطي أربعة عقود عدداً من المعارك الأدبية ، تميز فيها بسطوع الحجة ، وبلاغة القلم ، وعفة اللسان .

❖❖❖

وفي زمن جنح فيه النقد الأدبي إلى الوعورة والمعاظلة ، حتى صار الناقد منفراً لا مبشراً ، تبرز كتب محمد رضوان ومقالاته نموذجاً للوضوح الجميل ، والبساطة التي لا يعوزها العمق ، وإشراق اللغة ، والتمكن من تراث العربية شعراً ونثراً ، مع نزوع إلى التجديد دون تطرف وحفاظ على الموروث دون جمود. وستظل حياتنا الأدبية مدينة له بإزالته الغبار عن قيم أدبية لم تلق في عصرها ما تستحقه من تقدير وإكبار . فهو - إذا استعرنا كلمة شوقي في رثاء حافظ - منصف الموتى من الأحياء ، أو هو - كما يقول فاروق شوشة - قد « وقف قلمه على إنصاف كثير من الأدباء والشعراء ، ونشر المجهول من أعمالهم الإبداعية وإعادتهم إلى قلب الذاكرة الأدبية » : [1].

ماهر شفيق فريد



(١) فاروق شوشة ، جمر الكتابة ، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - ٢٠١٠ ، ص١١٧) مجلة الهلال - سبتمبر ٢٠١١ - ١ .

العقاد .. وأليسا
وجحيم الشك القاتل !



سلوتك عاصياً قلبي
ولم أك طائعاً أهوى
فما اخترت على حال
ولكن « هكذا الدنيا »



العقاد

المرأة في حياة العقاد

من بين الألقاب التي أطلقت على المفكر الكبير عباس محمود العقاد لقب « الكاتب الجبار » الذي أطلقه الزعيم سعد زغلول في معرض وصفه لقلم العقاد البتار الذي كان يخيف المعارضين له .

وقد ارتبط اسم العقاد بالجدية والصرامة والشدة في الحق والاعتزاز بالكرامة ، و ما ارتبط بذلك عن العقاد المتهجم ، والعقاد المتكبر ، والعقاد الصارم القاسي الذي لا يعترف بالوداعة والرقة والحب !

وربطوا بين هذه الصفات ورفضه للزواج ، فاتهم بأنه عدو للمرأة لم يعرف قلبه للحب سبيلا !

ولكن هل هذه هي حقيقة العقاد ؟

وهل هو حقا إنسان جاف صارم لم يعرف قلبه لذة الحب ونشوة الوصال !

وهل عدم زواجه يرجع إلى موقف عدائي من المرأة ؟

الحقيقة أن في تاريخنا القديم والحديث بعض الحكايات والشواهد التي تجعل البعض يطلق هذه الأحكام جزافا دون التحري عن الحقيقة ، وكم من مظاليم دخلوا سجن الإدانة بفعل هذه النظرة المتسرعة لم ينج من ذلك أديب أو سياسي ، أو زعيم أو ملك ، فكم من أساطير حيكت حول سيرتهم وتصرفاتهم وهم منها براء ، وإذا نقينا سيرة كثير من أعلامنا المعاصرين من تلك الأساطير والحكايات لكسبنا صورة حقيقية أخرى لهذه الشخصيات بعيدا عن الإغماط والمبالغة .

لقد قيل مثلا الكثير عن شخصية بهاء الدين قراقوش ، والحاكم بأمر الله ، ومحمد علي مؤسس مصر الحديثة ، وجمال عبد الناصر الذي قيل كذبا مثلا: أن عبد الناصر كان يتلذذ بمشاهدة تعذيب خصومه ، وغير هؤلاء كثير قيلت عنهم العديد من القصص والحكايات الأسطورية ، فلماذا لا تعاد كتابة تاريخ هذه الشخصيات عن طريق لجنة علمية محايدة بصورة موضوعية حتى تعرف الأجيال الجديدة الحقيقة . أعود من هذا الاستطراد إلى مفكرنا الكبير عباس محمود العقاد والأساطير التي حيكت حول سيرته وحياته وعلاقته بالمرأة ، وسأحاول أن ألقي بعض الأضواء على أسرار عدم زواجه وعلاقته بالمرأة .

وهل أحب المرأة وهام بها ، أم ظل يحمل لها سيف العداء ؟

لماذا لم يتزوج ؟

لقد عاش هذا المفكر الكبير حياته الممتدة (٧٥عاما) دون أن يتزوج ومات دون أن يخلف زوجة أو أبناء ، فهل كان عدم زواجه بسبب موقف عدائي من المرأة ؟ يجيب العقاد عن ذلك بقوله: إنني لا أكره الزواج ولا آباه ، فهو سنة الحياة والطريق الطبيعي لقيام الأسرة ، ولكنني طبعت على ألا يشاركني أحد في حياتي، ولا أطيق هذه المشاركة التي أراها عسيرة علي ، وعلى من تريد أن تشاركني الحياة.

لقد طبعت على أن أتحمل آلامي وحدي ، وما أكثر تلك الآلام وطبعت على أن أغامر في الحياة وحدي ، وما أكثر تلك المغامرات أنني لا أريد أن أعذب امرأة معي ، ولا أريد أن تعذبني امرأة معها !

نعيم الحب

بالرغم من هذا الموقف المبدئي للعقاد من فكرة الزواج إلا أنه أحب المرأة وشرب كأس الحب إلى النهاية شربها نعيما غدقا وشربها لهيبا محرقا !

والعقاد يرى في نعيم الحب قوة يبصر بها ما لا يراه الآخرون في حبيبته ، فيرى فيها ألوان الجمال .

لا يراها أحد غيره ، أو أن يغمض عينه عن التأمل فيها ، إنهم يتساءلون حائرين وهو وحده يعرف السر :

غريـــر تـــسأل : مـــا الحـــب؟

بنيتـــي : هـــذا هـــو الحـــب

الحـــب أن أبـــصر مـــا لا يـــري

أو أغمـــض العـــين فـــلا أبـــصرا

وأن أســـمع الحـــق مـــا سرني

فـــإن أبـــى ، فالكـــذب المفـــترى

الحـــب أن أســـأل : مـــا بـــالهم

لم يعـــشقوا المنظـــر والمخـــبرا

ويـــسأل الخـــالون : مـــا بالـــه

هـــام بهـــا بهـــرا ومـــا فكـــرا ؟

وفي حياة العقاد الكاتب المفكر ثلاث نساء أحبهن ونعم بالحب وتعذب بنار الغيرة والشكوك والهجر ، ثم إنتهت جميعها بالفراق هن: مي ، وسارة ، وهنومة!



قصته مع مي



كانت مي مدرسة وحدها .. كانت أديبة نابغة ، ومفكرة رصينة ، كما يصفها طاهر الطناحي .

كانت ابنة صحفي لبناني هاجر إلى مصر عام ١٩٠٨م هو إلياس زيادة وأصدر صحيفة « المحروسة » ، وكانت تعقد صالونها الأدبي يوم الثلاثاء ويحضره كبار أدباء العربية ومفكريها في مصر مثل أحمد لطفي السيد ، طه حسين ، العقاد، شبلي شميل ، خليل مطران ، مصطفى صادق الرافعي ، إسماعيل صبري وكان هؤلاء الأدباء ينتظرون صالون الثلاثاء بشغف ولهفة عبر عنهم الشاعر إسماعيل صبري بقوله :

روحي على بعض دور الحي هائمة
كظامئ الطير حواما على الماء
إن لم أمتع « بمي » ناظري غدا
أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

وقد أحبها العقاد وبادلته « مي » عاطفة نقية صافية ممزوجة بالإعجاب والإكبار وتبادل الاثنان رسائل غلب عليها الطابع الفكري والثقافي ولكن إذا

تمعنا بين السطور وجدنا العاطفة الدافقة عند « مي » ولكن طبيعتها تقف حائلا بينها وبين المضي في تلك العاطفة إلى نهاية الشوط التي يرجعها العقاد إلى شعور التبتل العميق في سليقتها الدينية .

ويروي العقاد أنه كان يتواعد مع « مي » فيذهبان إلى السينما التي توجد بحديقة إحدى الكنائس بحي (الظاهر) بالقاهرة حتى لا يلفتان الأنظار إليهما فيتحدثان بلسان بطل الرواية وبطلتها ويسهبان ما احتملت الكتابة والإسهاب ثم يغيران سياق الحديث في غير اقتضاب ولا إبتار (كنا أشبه بالنجمين السيارين في المنظومة الواحدة ، لا يزالان يحومان في نظام واحد ، ويتجاذبان حول محول واحد ، ولكنهما يحذران التقارب .. لأنه اصطدام) .

ذلك ما اعترف به العقاد في حب « مي » التي كان يسميها « هند » في شعره وكتاباته ، وهو حب روحي نزيه يسوده الطهر والبراءة وذات مرة طلبته في التليفون و صادف أن « سارة » (حبه الأخر) كانت موجودة عند العقاد ، ولم يكن هو بجوار التليفون ، فردت عليها « سارة » رد أيقظ في نفسها الشك والقلق ، وشعرت أن هناك امرأة تشاركها حبها ، وتنازعها هواها ، فغضبت وامتنعت عن محادثته تليفونيا ، فأرسل إليها رسالة منظومة بعنوان « وساوس الهجر » جاء فيها :

قلت للقلب وهو جد عجول
يشتكي بعدها ، ويبغي الشفاء
إن يكن عندها هواك فدعها
سوف ترجو كما رجوت اللقاء

ويروى العقاد أنها لما وصلتها هذه الأبيات لم ترد عليها بأية رسالة، بل ذهبت إليه بعد مرة حين غرة ودخلت عليه مكتبه بجريدة البلاغ وقالت له بصوت

متهدج: لست زائرة ، ولا سائلة فقلت : إذن ولم أتمها ؛ لأنها نظرت إلى ، كمن يستحلفني ألا أتكلم ، وانحدرت من عينيها دمعتان فما تمالكت نفسي أن تناولت يدها ورفعتها إلى فمي أقبلها ، وأعيد تقبيلها ، ثم استجمعت عزمها ، ونهضت منصرفة وهي تتمتم هامسة : دع يدي ودعني !

وقد شيع العقاد هذا الحب الراحل بقصيدة « موت الحب » :

ولد الحب لنا ، وا فرحتاه

وقضى في مهده وا أسفاه

مات لم يدرج ، ولم يلعب

ولم يشهد الدنيا ، ولم يعرف أباه

ليته عاش فإما إذ قضى

فليكن بردا على القلب جواه

أشكر الموت وأشكوه معا

غال حبي قبل ما تنمو قواه

وامتدت علاقة العقاد « بمي » بين مد وجزر ، وحين كانت تخاصمه يشتط في كتابة المقالات السياسية التي تعرضه لخطر السجن فتنزعج « مي » وتسارع لاسترضائه بحجة أن يخفف من غلوائه حتى لا يتعرض للاعتقال وظلت « مي » زينة صالونها الأدبي كطاقة زهر فواحة العبير لكنها في سنواتها الأخيرة أصيبت بمحنة نفسية أثرت على تصرفاتها واعتكفت في بيتها ويروي العقاد زيارته لها في محنتها الأخيرة فيقول :

زرت الآنسة « مي » ورأيتها ترتجف وهي تفتح الباب وتشير إلى المسكن الذي أمامها وتضع إصبعها على فمها لتحذرني من الظلام ، وتقول ألا ترى هذه الحجرات وما فيها من نور ؟

إنها خالية وخاوية فلماذا ينيرونها في هذه الساعة ؟

فاتجهت إلى تلك الحجرات وسألت عاملا وجدته عند بابها فعلمت منه إنهم يعدونها لإيجارها في اليوم التالي ، فلما أنبأتها بما علمت بدا عليها الخوف وخطر لها أنني أخفي عنها المؤامرة أو اشترك مع المتآمرين .

وتنتهي محنة « مي » بموتها وهي في الخامسة والخمسين من عمرها .

وبكاها العقاد وهو ينظم قصيدته فيها :

أيــن في المحفــل مــي يــا صــحاب
عودتنــا هــا هنــا ، فــصل الخطــاب
كــــل هــــذا في الـــتراب
آه مـــن هـــذا الـــتراب ؟

ثم يقول :

تلكــم الطلعــة مــا زلــت أراهــا
غــضة تنــشر ألــوان حلاهــا
بــين آراء أضــاءت في ســناها
وفــروع تتهــادي في دجاهــا
ثــم شــاب الفــرع والأصــل وغــاب



أليسا

تبارت كثير من أقلام الأدباء والمؤرخين ممن أرخوا لسيرة الكاتب الكبير عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤) وأثر المرأة في حياته في محاولة التعرف على الشخصية الحقيقية لسارة، تلك المرأة التي أحبها العقاد في مطالع حياته الأدبية والصحفية، والتي سجل قصته معها في روايته الوحيدة « سارة » التي صدرت في القاهرة عام ١٩٣٨، وروى فيها نهاية تلك العلاقة بعد الشكوك المدمرة التي انتابته في وفائها له، وانتهت بانفصام تلك العلاقة العاطفية في مطالع العشرينيات من القرن العشرين.

فمن هي سارة الحقيقية ؟ وهل كانت مجرد امرأة جميلة أحبها الكاتب ؟! وما موقعها من حبائب العقاد رغم أن في حياة العقاد أكثر من تجربة عاطفية إلا أن «سارة» كانت حبه الأكبر والأعمق والمؤثر في حياته وفي أدبه لأسباب سأوردها ٦ في ثنايا هذا المقال.

وقد حدث لبس بين المؤرخين ونقاد الأدب بالنسبة إلى شخصية سارة الحقيقية، فالأديب اللبناني جهاد فاضل يذكر أن اسمها هو « أليس أسعد داغر» من بلدة تنورين، ابنة أسعد مفلح داغر الذي كان رئيساً لتحرير جريدة «القاهرة» بمصر في الأربعينات والخمسينيات[1]، وهذا قول مرسل غير صحيح بالمرة.

أما عامر العقاد ابن شقيق العقاد فيذكر أنها تنحدر من أسرة تعمل في الصحافة وهي أسرة داغر التي عملت بالصحافة المصرية منهم المرحوم أسعد داغر الذي توفي عام ١٩٥٨ (راجع غراميات العقاد، لعامر العقاد) ولا يعطينا عامر أية معلومات أخرى عنها غير ما ذكر.

(١) راجع مجلة الحوادث / عدد ٢٩ مايو ١٩٨١.

ولكن بالرجوع إلى أقرب صديقين للعقاد وهما : الأديب الشاعر عبد الرحمن صدقي والأديب الشاعر محمد طاهر الجبلاوي نجد لديهما إشارات سريعة يمكن أن تدلنا على ملامح شخصيتها الحقيقية .

فالأديب الشاعر عبد الرحمن صدقي يذكر أن اسم سارة الحقيقي هو « أليسا» (ELSA) وليس « أليس » كما يردده معظم من كتبوا عن هذه العلاقة[1]، أما الأديب الشاعر محمد طاهر الجبلاوي الذي كان له دور كبير في مراقبة سارة والتأكد من خيانتها للعقاد فيذكر أن سارة كانت سيدة لبنانية في الخامسة والعشرين من عمرها تجيد كثيراً من اللغات ولها إطلاع إلى حد ما في الفلسفة والأدب ، وكانت أمها رائدة من رواد الصحافة النسائية[2].

إذن فاسم سارة الحقيقي هو « أليسا » وهي امرأة لبنانية مثقفة تجيد عدة لغات ، وأمها رائدة من رائدات الصحافة النسائية العربية في مصر هي لبيبة هاشم التي أصدرت صحيفة « فتاة الشرق » في القاهرة في الفترة (١٩٠٦ - ١٩٣٩) ويذكر المؤرخ الأدبي اللبناني يوسف أسعد داغر أن « لبيبة هاشم » سافرت بعد معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ إلى الأرجنتين فأصدرت في سنتياجو بتاريخ ١٥ أيلول مجلتها الشرق والغرب الأسبوعية فعاشت سنة ، وتولت كريمتها أليس أسعد داغر شئون مجلتها في غيابها[3] .

فأليس هي ابنة لبيبة هاشم (اسمها الحقيق لبيبة ماضي) وتزوجت من عبده هاشم في مطالع عام ١٨٩٧ وانتسبت إليه وعرفت باسم لبيبة هاشم وأنجبت منه اثنين كما يذكر الباحث المحقق أحمد حسين الطماوي[4] .

---

(١) الهلال : مايو ١٩٦٧ .

(٢) طاهر الجبلاوي : من ذكرياتي في صحبة العقاد .

(٣) يوسف أسعد داغر : مصادر الدراسة الأدبية.

(٤) مجلة الهلال : يناير ٢٠٠٤.

إذن فاسم سارة الحقيقي هو « أليسا عبده هاشم » تزوجت حوالي عام ١٩٢٠ من الصحفي اللبناني أسعد داغر (١٨٨٦-١٩٥٨) وأنجبت منه ابنة ثم انفصلا بالطلاق بعد حوالي ثلاثة أعوام من الزواج .

وكانت لأليسا مقالات وقصص مترجمة نشرتها في صحيفة « فتاة الشرق » ذكر منها أحمد الطماوي مقالة « السعادة البيتية والزوجية » و « المرأة الراقية في العالم » ومن القصص التي ترجمتها عن الفرنسية « الماضي لا يموت » و « الخنجر الحي » و« في الفضاء الواسع » نشرت كلها في إعداد فتاة الشرق بين عامي ١٩٢٠-١٩٢١ وكانت المقالات التربوية الهادفة التي تنشرها أليسا تواكب بها دعوة أمها لبيبة هاشم في تحرير المرأة العربية وحقها في التعليم والمساواة وأثر ذلك في تربية الأبناء .

إذن فأليسا كانت امرأة مثقفة تتقن عدة لغات أوروبية كما يذكر الجبلاوي ، وكانت صحفية ومترجمة نشرت لها العديد من المقالات والقصص المترجمة في صحيفة « فتاة الشرق » كما أورد أحمد الطماوي ، ولذلك كانت تجربة العقاد معها تجربة خصبة تركت أعمق الأثر في حياة العقاد وأدبه فيما بعد ، وظل يذكرها طيلة حياته .

ولكن متى تعرف عليها العقاد ؟

تعرف العقاد على أليسا وهو في سن الخامسة والثلاثين من عمره أي حوالي عام ١٩٢٤ وقد اكتملت مداركه واتسعت آفاقه وسما نجمه بين رجال الفكر والصحافة (كما يذكر صديقه طاهر الجبلاوي) وكانت أليسا في الخامسة والعشرين عندما تعرف عليها أثناء زيارته لصديقه د . محمد صبري السربوني في البنسيون الذي كان يسكنه بمصر الجديدة والتي كانت تملكه سيدة إيطالية ويذكر الجبلاوي أن أليسا عندما سمعت اسم العقاد عرفته لأنها كانت تقرأ مقالاته في الصحف وتسمع عبارات الإعجاب به بين أسرتها ، فهي من أسرة يشتغل كل أفرادها بالأدب ويعملون بالصحافة . .

ويصفها العقاد في قصته « سارة » بقوله : « كانت أجمل ما رأيتها في أيام فتنتي وشغفي بالجمال ، كانت حزمة من الأعصاب تسمى امرأة .. استغرقتها الأنوثة فليس فيها إلا أنوثة » .

ويصف العقاد بداية علاقته بأليسا فيقول : « هكذا بدأت قصتنا عنيفة فائرة . كانت أنثى جميلة .. وكنت أنا شابا عنيف الطبع ، قوي الإحساس بنفسي » .

كانت أليسا تزور العقاد في شقته بمصر الجديدة (١٣ شارع السلطان سليم) .. وكان موعد العاشقين الخامسة مساء كل يوم جمعة .. وقبل حلول موعدها بربع ساعة كان العقاد يطل عليها من ثقوب النافذة يترقب قدومها في الطريق ، فإذا احتواهما البيت فالعالم كله معه داخل البيت ، فيقضيان اليوم كله في خلوة كاملة وعلى حد تعبير العقاد : « كان يوم الجمعة هو يوم الحب في حياتي» ، ويصف صديقه الحميم محمد طاهر الجلاوي تأثير أليسا في حياة العقاد، فيقول [1] : « وقد ملأت سارة « يقصد أليسا » حياة العقاد سروراً ومرحاً وتمتع إلى جوارها بسعادة لا يحلم بها إنسان .. وكان للأيام السعيدة التي قضاها معها أثر كبير في أدبه فقد خلعت عليه حللاً من الجمال ووشته بأفانين من بدائع الخيال، وألهبت شعوره الذي يستمد منه قلمه قوته وروعته ، فكانت مقالاته الأدبية والسياسية في تلك الفترة تمتاز بلون جديد وأسلوب فريد لا يخفى على أحد .

وقد شغف العقاد بأليسا وشغل بها حتى أنسته بعض من كان يخصهم بزيارته من حين لآخر ، وكان يقضي معها بعض الوقت إما في نزهة خلوية في الهرم مرة وإما في القناطر الخيرية مرة أخرى وأحياناً يقضيان بعض الوقت في زورق على صفحة النيل ، ومضى العاشقان ينهلان من نبع الحب الصافي حتى بدأت نهاية القصة بالشك ، شك العقاد في خيانتها ، فاستحال الوجد إلى فتور ، والشوق إلى خنجر ، وقام الشك في نفسه على علامات وقرائن لم يقطع بها ، حتى

(١) من ذكرياتي في صحبة العقاد / ط ١٩٦٧/ ص١٧٣ .

عمد إلى صديقه الحميم الشاعر الأديب محمد طاهر الجبلاوي بمراقبتها الذي استمر عاماً كاملاً ، انتهى بتلك الرواية للجبلاوي : « ومضى عام وكنا قد يئسنا من الرقابة ولكنني ضننت على جهدنا أن يذهب سدى فعدت أراقب « سارة » .. في هذه المرة رأيتها بميدان المحطة تسير الهويني ثم تلتقي بضابط برتبة « ملازم» كان يرتدي الملابس الرسمية ويقف أمام سيارة عند باب قطار الليمون وما أن دنت منه حتى حياها وركبا السيارة معاً وانطلقا من طريق حدائق القبة » .

ثم يستطرد الجبلاوي : لم يكتف العقاد بما أخبرته به ، وهو في نظري كاف للوصول إلى اليقين الذي ينشده وكانت آخر المراحل في أمر سارة التقاء النظرين، وهي تخرج من مكان يعرفه جيداً وله عنده أخبار وقد أسرعت فدعوته من المقهى الذي كان ينتظرني فيه ، فسار معي إلى حيث تلقى الشكوك في لجة اليقين ، هنا استراح العقاد ، وقضى معي تلك الليلة وهو فرح مسرور ولم يكتب بعد ذلك شعراً في الشك ولا شعراً في الحب والغرام ، ويبدأ يقول في سارة :

غفر الذنب من بكائي عليك   إنني لا أعود ما عشت أبكي

لا يساوي وقد تعلمت منك   نسل حوائكن دمعة شك

خير ما في النساء ساعة ضحك .

ولكن هذه الصدمة القاسية أدمت قلب العقاد ومزقت مشاعره ، وفي غمرة تلك الأزمة النفسية اللاعجة بعد أن ودع أليسا الوداع الأخير سافر إلى شاطئ البحر بالأسكندرية صيف ١٩٢٦ علّه ينسى ويسلاها ، ويغرق في مياه البحر نيران حزنه ومن هناك أرسل رسالة إلى صديقه الحميم الشاعر عبد الرحمن صدقي الذي اعترف بأنه ذلك العشير القديم الذي شهد مأساة صديقه العقاد يوم القطيعة[١] .

(١) الهلال : مايو ١٩٦٧ .

تقول بعض سطور هذه الوثيقة النادرة التي بعث بها العقاد إلى صدقي من الأسكندرية في ١٢ أبريل ١٩٢٦ : « سبحان الله .. هذه دنيا واسعة خارج الدنيا التي طويت فيها الكون أجمع .. دنيا تطلع عليها الشمس ولا تبالي نظرات من تنظر ، ومن لا تنظر من النساء ، فكيف نسيت هذه الدنيا ولم أستبق لها لفتة عين مني ولا فضلة إحساس ؟

« وما كدت أسترسل مع هذه السلوى حتى تحرك شيطان الوساوس يتهيأ بهواجس التنغيص والتكدير ، ورقى إلي بسؤال يمتحن به صلابة تلك السلوى : أو كنت تبالي أن تبعد عنك هذه الدنيا كما تبالي الآن أن تبعد عنك أهون لمسة من يد امرأة واحدة بين نساء العالمين ؟ فلم المغالطة في الصبر والكذب على العزاء ؟

« والحق أنني رأيت بعد ذلك أنني لم أغالط نفسي ، ولم أكذب على العزاء إذ لو أنني فقدت ضوء الشمس كما فقدت تلك اللمسة من يد تلك المرأة لتلهفت على شجرة واحدة أراها معنى العزاء تحت قبة السماء كلهفتي الآن على حب ما أشتاق من ذلك النعيم المفقود ، فليست العزة وقفا على ذلك النعيم المفقود ولكنها حظ مباح لكل ممنوع ومزءود .. والزهرة التي يريدها السجين على شجرتها ولا تطول إليه يده .. هي أعز عليه من كل ما في الأرض من النساء وغير النساء ، وهنا عدت إلى فكرتي في الحرية وعلمت مرة أخرى أننا إنما نأسى على أي شيء من الأشياء وأي حظ من الجمال .. » وهذا البحر الذي أراه ممتدا أمامي في سعة مطمئنة وعمق رصين .. هذا البحر القوي الكبير أطالبه بأمر هين وأحسبه يخجل من عجزه عن تلبية هذا الطلب الصغير .. أقول : يا شيخ أنت تغرق عشرين قطراً كاملاً بما فيها من الرجال والنساء والعاشقين والأعداء ثم تطويهم في ضميرك لا يبين منهم إلى فقاقيع ولا تثبت على مس الهواء أفيعجزك أن تغرق في جوفك هذا اللاعج اللئيم الذي جئتك به من القاهرة ألقيه إليك ؟ وأخاله سيستحي على طوله وعرضه فلا أعود إلى القاهرة إلا وقد شيعت ذلك الغريق وأمنت من ملاحقة أطيافه التي لا تطاق .

هذه حالتي الآن بين ما أزود به النفس من دواعي العزاء وبين ما تثيره في الهواجس من الألم الممجوج ، والخواطر السود ؛ وسنرى إن لم أكن قد رأيت إلى الآن ما فيه بلاغ » .

هذه هي رسالة العقاد لصديقه الشاعر عبد الرحمن صدقي أرسلها إليه بعد فراق أليسا وتؤكد مدى قوة إرادة العقاد واعتزلزه بكرامته وصلابته حتى وإن ناداه قلبه للرجوع إلى المرأة التي أحبها ، وبعد أن هدأت عواصف العقاد سجل تجربة الحب والشك مع أليسا في قصته التحليلية أليتيمة سارة سنة ١٩٣٨ أي بعد حوالي ١٢ عاماً من فراق أليسا .

ويرى محمد طاهر الجبلاوي أن العقاد كان ينشد في سارة الروح والمودة والعاطفة المتبادلة ويرى فيها الإيناس من الوحشة والنور من الظلمة ولم يكن يرضى بها مستباحاً كما عبر عن ذلك بقوله :

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى	وأرتاد فيك اللهو بعد التعبد
وألقاك جسما مستباحا وطالما	لقيتك جم الخوف جم التردد
رويدك إني لا أراك مليئة	بلذة جثمان ولا طيب مشهد

ولم ير العقاد « أليسا » بعد ذلك إلا مرة واحدة ، وقد انقضى على فراقهما عشر سنوات (حوالي سنة ١٩٣٦) كان يلقي محاضرة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ومدير الجامعة إلى جواره يناوله أوراق الأسئلة التي يكتبها المستمعون بعد المحاضرة .

فتناول ورقة غريبة نظر فيها فإذا هي بخط أليسا وقد كتبت فيها « أنت وحشتنا » ويروى لنا الجبلاوي أن العقاد بكى أمامه وهو يستمع إلى أسطوانة عليها أغنية لبنانية أحضرها معه وهو عائد من رحلته إلى لبنان ومطلعها : « نار الغرام لا تنطفي ولا المحبة تختفي » فحبس دمعة حرى كانت توشك أن تسقط حزناً وألماً ودارت الأيام دورتها ورحلت أليسا إلى باريس حيث عاشت مع ابنتها

هنالك وكان ذلك سنة ١٩٦٠ ثم أرسلت إلى العقاد صورتها فإذا هي عجوز شمطاء ، فنظر العقاد إلى الصورة ثم كتب تحتها هذه الكلمة : « من تكون ! لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي لم يسبه لم يسبه » .

وعندما صور العقاد تلك التجربة العاطفية مع أليسا في روايته التي نشرها أو لا مسلسلة سنة ١٩٣٦ تحت عنوان « مواقف في الحب » في مجلة الدنيا المصورة ، التي كانت تصدرها دار الهلال ثم أصدرها في رواية « سارة » سنة ١٩٣٨ اعتبرتها د . سهير القلماوي سيرة عبقرية للشك في أمواج تعلو به وتهبط حتى ينتهي إلى ما يشبه راحة اليأس وفراغ الضياع ..

« عبقرية الشك في نظري صنف من عبقريات العقاد شاذ وفريد ، ولكنه يخضع لمنهج العقاد في تصوير العبقرية ، إن سارة هنا زمان وتاريخ وأحداث تصنع العبقرية والشك هنا عملاق يتقبل آثار الأحداث والتاريخ ولكنه يتصدى لها ليخرج آخر الأمر شكاً عبقريا »[1] .

وقد أوحت تجربة العقاد العاطفية مع أليسا التي سماها « سارة » الكثير من قصائده العاطفية التي تعكس مشاعره في مختلف أحوالها من حب وشوق وعشق وشك وضياع حيث تظل أليسا أو « سارة » هي الحب الحقيقي الكبير الملهم في حياة العقاد !

بعد أن هدأت عواصف العقاد سجل تجربة الحب والشك مع أليسا في قصته التحليلية اليتيمة سارة عام ١٩٣٦ أي بعد حوالي ١٢ عاما من فراق أليسا والفرق بينهما فقال :

«أحببت في حياتي مرتين ، أحببت «سارة» وهذا ليس اسمها الحقيقي وإنما هو اسمها المستعار ، وأحببت «مي» ..

---

(١) الهلال: مايو ١٩٦٧.

«كانت الأولى مثالا للأنوثة الدافقة الناعمة الرقيقة ، لا يشغل رأسها إلا الاهتمام بجمالها وأنوثتها ، ولكنها كانت إلى ذلك مثقفة .

«وكانت الثانية وهي «مي» مثقفة قوية الحجة تناقش وتهتم بتحرير المرأة وإعطائها حقوقها السياسية وكانت جليسة علم وفن وأدب وزميلة في حياة الفكر أي كان اهتمامها موزعا بين الأدب والأنوثة .

«كلتاهما جميلة ، ولكن الجمال في «مي» كالحصن الذي يحيط به الخندق ، أما الجمال في «سارة» فكالبستان الذي يحيط به جدول من المياه المنير ، هو جزء من البستان لا حاجز دون البستان ، وهو للعبور أكثر مما يكون للصد والنفور !

ثم يسجل دموعه بعد فراق أليسا ، فيراها كعبة تقوضت أركانها فيقول :

كانت الكعبة والأصنام فيها ... زينة تأخذ قلب الصب فيها

حفلت في كل ركن بالدمى ... والدمى مستعبدات صانعيها

هي أصنام لمن يعبدها ... أو تماثيل تناجي عاشقيها

عظمت حينا فلما زلزلت ... كاد من صلى إليها يزدريها



هنومة

أما الثالثة فهي هنومة خليل تلك الفتاة الصغيرة دون العشرين التي كانت تتردد على العقاد في الأربعينيات وزودها بالكتب لتقرأها وأحبها بعنف رغم فارق السن الكبير ، حيث كان يقترب من الخمسين ، وهي ما زالت دون العشرين ، كانت سمراء دعجاء العينين ، ذات جاذبية آسرة ، كان يعمل في صحيفة الجهاد في تلك الفترة (عام ١٩٤٠) وكانت الفتاة طموحة اعتقدت أن العقاد قد يساعدها على تحقيق هدفها في التمثيل للسينما ، وحاول العقاد أن يثنيها عن ذلك ، ويجعلها تتجه للقراءة والثقافة ولكنها صممت على تحقيق هدفها المنشود ، وكان يلتقي بها كثيرا ونشأت قصة حب عاصفة بين الملهمة الصغيرة والأديب الشيخ ابن الخمسين وأتيحت الفرصة للملهمة الطموحة للعمل في التمثيل ، وثار العقاد ثورة عنيفة ولكن بلا جدوى ، وظل معتصما بكبريائه أمام توسلاتها ورسائلها التي كانت تلقي بها من تحت باب مسكنه وكان يرفض أن يفتح لها الباب مرارا ، ومن الطرائف التي كان يرويها الأديب الكبير توفيق الحكيم أن هذه الفتاة عندما كانت تتردد على أماكن تصوير الأفلام ، على أمل أن يراها المخرج ليعرض عليها دورا ، وقيل للعقاد: أن توفيق الحكيم (الذي كان يشرف على تصوير قصته «رصاصة في القلب » ينظر إليها أكثر من اللزوم ، ويحاول أن يتقرب إليها ، مما ضايق العقاد ، وصار يروج أن الحكيم أكبر منه لعل هذا الكلام يصل إلى مسامع فتاته ، ولكنه تأكد فيما بعد أن



هذا مجرد أوهام ناتجة عن غيرته عليها !

وبعد احتراف هذه الفتاة التمثيل ، قاطعها العقاد ، رغم أنه أحبها بعنف وذاب في أنوثتها الغامرة :

ثناياهـا ، ثناياهـا وهـل ذقـتم ثناياهـا

وعيناهـا ،ويـا للقلـب كـم تـسبيه عيناهـا ؟

وتلـك الوجنـة الخمريـه أنـسكران رائيهـا

أفي الجنـة يـا رضـوان تفـاح يحاكيهـا

وجاهد العقاد مشاعره لأنه لم يقبل المشاركة في الحب بعد أن اندمجت في غمار عالم التمثيل السينمائي :

هـو نـت خطبـك جـدا وخلتـه لـن يهونـا

بـدلت بالنـار بـردا وبالهيـام سـكونا

إني أمنـت الفتونـا

وأنـت مـاذا أمنـت

قـد هنـت والله هنـت

ولكنه لم ينسها وإن حاول أن يسخر من عملها في المجال السينمائي :

أفي حجـرة النـوم أم قاعـة

المعـرض جمهـور فنـك مستحـضر

ومـن تعـرفين أمـام الـستار

أم خلفـه دائـما أكثـر

وهـل أنـت « نجـم » لأن النجـوم

في ليلهـــــا أبــــدا تـــسهر
أمــــور إذا مــــا احتواهــــا الـــسؤال
فالــــساثلون بهـــــا أخـــبر
فـــما تـــبرزين ومـــا تـــسترين
بغـــير شـــعاع لهـــم يظهـــر

وكان ديوانه « أعاصير مغرب » نفثات قلب أجب فانكسر ومشاعر وجدان في مغرب العمر ، فأخذ يصرخ من قلب مكلوم بالخيانة كما يعتقد :

خـــل المـــلام فلـــيس يثنيهـــا
حــب الخـــداع طبيعـــة فيهـــا
هـــو ســـترها وطـــلاء زينتهـــا
ورياضـــة للـــنفس تحييهـــا
وســـلاحها فـــيما تكيـــد بـــه
مـــن يـــصطفيها أو يعاديهـــا

وتعذب العقاد كثيرا حتى ينساها فأوحى لصديقه الفنان صلاح طاهر أن يرسم لوحة غريبة تصور فطيرة حلوة يشتهيها الجائع والشبعان ، وعليها الذباب والصراصير تحوم فوقها ، وفي القدح الذي يفرغ عليها الحلاوة عسل يضطرب فيه بعض الذباب ويموت فلا يأكل من الفطيرة الحلوة على هذه الصورة شبعان ولا جوعان ، بل تعزف النفس حين تراها عن كل طعام !

ووضع اللوحة في حجرة نومه يراها عند نومه واستيقاظه حتى يزهد فيها وينساها !

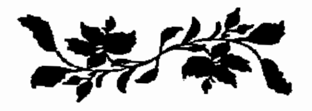


ويصور لحظات الحب والنعيم معها ، فيقول:

بشراي ما أنا شاهد ... يا عام وحدي ملتقاك
دارت بروحك والهوى ... يخطو وتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلاً ... ومضى ، فلم أزمم قفاك

وكان هذا الحب العاصف بين العقاد وهنومة خليل الشهيرة « بمديحة يسري » وهو حب مغرب العمر الذي عذب العقاد وكسر قلبه والذي جعله يصرخ بأعلى صوته لكل رجل :

خنها ولا تخلص لها أبدا
تخلص إلى أغلى غواليها





أحلى قصائد الحب

عند العقاد

اليوم الموعود

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى   شوقي إليك وما أشاق لمغنم؟
شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً   من وكره ، ويكاد يطفر من دمي
أسرغ بأجنحة السماءِ جميعها   إنْ لم يطعك جناح هذي الأنجم
ودع الشموس تسير في داراتها   وتخطَّها قبل الأوان المبرم
ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحدٌ   يا يومُ من جيش لديه عرمرم
لي جَنَةٌ يا يوم أجمع في يدي   ما شئتُ من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهي   لا تحتمي مني ولا أنا أحتمي
وتطوف من حولي نوافر عُضمها   ليست بمحجمة ولست بمحجم
وتلذُّ لي منها الوهاد لذاذتي   بتصعُّدٍ في نجدها وتسنُّم
لم آسَ بين كرومها وظلالها   إلا على ثمر هناك محرَّم
فكأنها هي جنة في طيِّها   ركنٌ تسلل من صميم جهنم
أبداً يذكِّرني النعيمُ بقربها   حرمانَ مزءودٍ[1] وعُسرةَ معدم
وأبيتُ في الفردوس أنعم بالمني   وكأنني من حسرةٍ لم أنعَم

❖ ❖ ❖

يا يوم موعدها ستُبْلِغُني المنى   وتُتمُّ لي الفردوس خيرَ مُتَمَّم

---

(١) المزوءد : الشديد الفزع .

لا غـــصن رابيـــة تقـــصِّر راحتـــي ... عنــه ، ولا ثمــر يعــز عــلى فمــي
ســأظل أخطــر كالغريـــب بجنتـــي ... حتـى أثـوب عـلى قـدومك فأقْـدُم
فأبيـــتُ ثَـــم إذا احتـــواني أفقهـــا ... لم أنْـــهَ عـــن أمـــل ولم أتنـــدم
فرحي بصبحك حين تشرق شمسه ... فـرح الـضياء سرى لطـرفٍ مظلـم

❖ ❖ ❖

أمعـــيرتي خلـــد الـــسماء ســـماحةً ... صـونيه عـن وَلـهٍ صـيانةَ مكـرم
رفقـــاً بخلـــدك أن تـــشوبي صـــفوه ... إنْ لم تــريْ رفقــاً بمهجــة مغــرم



يوم الظنون

يـومَ الظنـون صـدعتُ فيـكَ تجلُّـدي ... وحملت فيك الضيم مغلولَ اليد [1]
وبكيـتُ كالطفـل الـذليل أنـا الـذي ... ما لان في صعب الحوادث مِقوَدي [2]
وغصـصـتُ بالمـاء الـذي أعددتـه ... للـري في قفـز الحيـاة المجهـدِ
لاقيـت أهـوال الـشداء كلهـا ... حتى طغـتْ فلقيـتُ مـا لم أعهـد
نـارَ الجحـيم إليّ غـيرَ ذميمـة [3] ... وحـذي إليـك مصارعي في مرقـدي
حـيران أنظـر في الـسماءِ وفي الثـرى ... وأذوق طعـم المـوت غـيرَ مـصرَّد [4]
أرْوَى وأظمـأ عـذْبُ مـا أنـا شـاربٌ ... في حـالتيَّ نقيـعُ سـم الأسـوَدِ [5]
وأجيـل في الليـل البهـيم خـواطري ... لا شـارقٌ فيـه ولا مـنْ مُـسعِدِ [6]
وتعيـد لي الـذكرات سـالف صـبوتي ... شـوهاء كـاشرة كـما لم أشـهد
مُـسختْ شـمائلها التـي سـعدت بهـا ... وبـدت بوشْـم في الـسعير مخلَّـد

◆◆◆

(١) مغلول اليد : مقيد اليد .
(٢) المقود : الزمام .
(٣) نار الجحيم إليّ : تعاليَ إليّ وأسرعي .
(٤) المصرّد : الشراب الذي لا يعقبه ارتواء .
(٥) سم الأسوَدِ : سم الثعبان .
(٦) البهيم : المظلم .

يا صبوة الأمس التي سعدت بها ... روحي ، وليت شقيُّها لم يسعد
وعرفتُ منها وجهَ أصبحَ ناضرِ ... ورشفتُ منها ثغر ألعَس (١) أغيد
سُومحت بل جوزيت كيف وعيت لي ... بالأمس فيك ضراوة الذئب
سُومحت بل جوزيت كيف طويت لي ... زرق الأسنَّة في الإهاب الأملد (٣)
أمسيت حربي في الظلام وطالما ... جلّيت لي وجه الظلام المربد
ورجعتُ أهربُ من لقاك وطالما ... ألفيتُ عندك في الشدائد مقصدي
ما كان من شيء يزيد تنغُّمي ... إلا يزيدُ اليومَ فيكِ تلددي (٤)
أواه من أمسي ومن يومي معاً ... والويل من طول التردد في غدِ
أهبُ الخلودَ كرامةً لمبشري ... أن ليس يومي في العذاب بسرمد
وأبيع حظي في الحياة بساعة ... أنسى بها عمري كأن لم أولدِ
وأسوم مرعى العيش غير مزوّد ... وأرودُ روْضَ الحسن غيرَ مقيّد (٦)



(٧) الألعس : الأسمر الشفة : وهي سمرة مستحبة .
(١) الصدي : المتعطش إلى الدماء .
(٢) الأملد : الناعم والطري .
(٣) تلدّدي : عذابي وشقائي ومعاناتي .
(٤) السرمد : الخالد والمستمر إلى الأبد .
(٥) أسوم مرعى العيش : أمارس الحياة وأعيش أحداث الزمان .



غيرة طفلة

مـــا كـــان أملـــح طفلـــة	مـــن غـــير شيء تخجـــلُ
ضــــاحكتها فتمايلـــــت	وشـــعورها تتهـــدلُ
ورجـــوت منهـــا قبلـــةً	فأبـــت كمـــن يتـــدلل
وتعبـــت وهـــي تـــصدُّني	حينـــاً وحينـــاً تقبـــل
فرفعـــتُ مـــرآة لهـــا	فتطلعـــت تتأمـــل
قلـــت انظـــري في وجههـــا	أفأنـــت أم هـــي أجمـــل
قالـــت وفيهـــا غـــضبة	أنـــا بالملاحـــة أمثـــل
ومـــضت تقـــول إلى متـــى	تنـــسى الجميـــل وتجهـــل
وأقـــول أيكـــما إذن	أدعـــو بهـــا فتُقبّـــل ؟؟
عطفـــت علـــيَّ وكـــل مجبـــو	ب يغـــار فيـــسهل

تبكين

تبكين ! والهفَ الفؤاد يذيبه ذاك الحنين يذوب في خديك

أيراك باكية وأنت ضياؤهُ ونعيم عيشي كله بيديك ؟

وعزيزةٌ تلك الدموع فليتها يقنو قُطيرتها نظيم سُلَيك

لملأت ثَمّ يدي بأكرم جوهر من عطف قلبك فاض من عينيك

❖ ❖ ❖

لو أستطيع جمعت كل ذخيرة في الدهر من ضحك يروق لديك

ونغمت أطربَ شدوه وجعلته بين الكؤوس العذب من شفتيك

❖ ❖ ❖

فيضج مزدهياً بفيك وتنتشي فرحاً قلوبُ الناظرين إليك

ما أحسن الحسن المهذب ضاحكاً وأحب جلباب السرور عليك

❖ ❖ ❖

والله ما ضنَّ السرور وما وني يَشتاق هزته على عطفيك

لو شئت كل مسرة مبذولة لجثت مسرات على قدميك



إلى ربة الحب «الزُهَرَة»

فريـــــدةَ الأفـــــق أســــعديني وخالـــــسي الـــنجم وارمقينـــي
وسلـــسلي النــــور صـــوبَ عينـــي وعـــن شـــمالي وعـــن يمينـــي
أشـــــعةً ينبـــــثقن شـــــتى كأنهـــا عـــذْق ياســـمين[1]
أراك تغوينني يوحي إلى الــــــسموات يزدهينــــــي
إغـــواءَ ذات الـــدلالِ صـــينت في ذروة المعقــــل الحــــصين[2]
فهـــل ســـبيلٌ إليـــك يُبغـــى وأنـــت أعـــلى مـــن الظنـــون ؟

❖ ❖ ❖

فيـــك ضـــلال وفيـــك رشـــد فـــضلليني وأرشـــــديني
بـــين وجـــوه تـــضل مـــن لا يـــضل في ضـــوئها المبـــين
كـــوني منـــاراً فالحـــب بحـــرٌ قلوبنـــا فيـــه كالـــسفين

❖ ❖ ❖

لمـــا تجليـــتِ لي استـــضاءت خـــواطري وانجلـــت شـــجوني
يـــا طالمـــا تخـــدع الـــدراري لـــواحظ الـــشاعر الحـــزين

---

(١) العذق : الفرع والغصن من الشجرة .
(٢) المعقل الحصين : القلعة المنيعة .

غزل ومناجاة

منِّـــي أطيـــب المنـــى يـــا حبيبـــي فـــالمنى وحـــدهن منـــك نـــصيبي
إن يَفتتنـــــا مناهـــــا لم تفتنـــــا نظـــرة مـــن خيالهـــا المرقـــوب (١)

❖ ❖ ❖

منِّـــي ، بـــل دع المنـــى يـــا حبيبـــي فـــشقائي في الموعـــد المكـــذوب
هـــان فقـــد المنـــى التـــي لم تَعِـــدنا وافتقـــاد الموعـــودِ جـــدٌّ صـــعيبِ

❖ ❖ ❖

أعطنـــي ! أعطنـــي إذن يـــا حبيبـــي غـــيرَ مـــا ناكـــث ولا مـــستجيبِ (٢)
أعطنـــي صـــفوك ارتجـــالا ودعنـــا مـــن مطـــالٍ بالوعـــد أو تقريـــب (٣)
فارتجـــال المنـــى أحـــبُّ لـــنفس شـــعبت مـــن رويّـــة التجريـــب (٤)



(١) المرقوب : المأمول والمنتظر .
(٢) المطال : التسويف والتأجيل .
(٣)الناكث : من يخلف وعده .
(٤) الروية : الحكمة والنضج والخبرة .

أغنيات

هذه الأغاني نظمت لتنشدها المطربة « نادرة » في رواية من روايات الصور المتحركة حسب المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تنشد في زورق يجري على النيل عند القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تطل على الشاطئ، وفي الزورق المحبان يتناجيان، والحبيبة تنشد :

في الهـــــوى قلبـــــي زورقٌ يجـــــــري
أيـــــن يمـــــضي بي نهـــره الخمـــــري

ليتني أدري

ليتـــــه يجـــــري يـــــا أبـــا الأنهـــار
مـــــثلما تـــــسري في حِمَـــى الأقـــدار

حولك الأزهار

حولـــــك الصفـــــصاف مـــــسبل الـــــشعر
نـــــاعس الأطيـــــاف ســـــابح الفكـــــر

في الهوى السحري

يـــــا ريـــــاض النيـــــل علّمـــــي قلبـــــي
فرحـــــة التهليـــــل عـــــشتِ للحـــــب

يا منى الصب

قـــــال لي قلبـــــي والهـــــوى يرعـــــاه
هـــــو في قـــــربي مـــــا الـــــذي أخـــــشاه

عندما ألقاه

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تنشد على شاطئ النيل بعد الغروب :

يـــا حبيبــــي أنـــت ريٌ   لـــيس في المـــاء نظـــيره

يـــا حبيبــــي أنـــت ظـــل   لـــيس للـــروض عبـــيره

❖ ❖ ❖

يـــا حبيبــــي أنـــت بـــدر   أيـــن نـــور البـــدر منـــه ؟

أيـــن نـــور زانـــه الحـــ   ـــب ونـــور لم يزنـــه ؟

❖ ❖ ❖

أنـــت عنـــدي كـــل شيء !   كـــل مـــا شـــئت يكـــون

قـــل لهـــذا الليـــل يبقـــى   ومـــع الليـــل الـــسكون

❖ ❖ ❖

قـــل لـــه فهـــو نجـــيٌّ   مرهـــف الـــسمع إلينـــا

كيـــف يَعْـــصى لـــك أمـــرا   والهـــوى طـــوع يـــدينا



بيرم
وحبه الأول المجهول!



لكل شاعر حكاية

الحب المجهول في حياة بيرم !

بقلم : محمد رضوان

محمود بيرم المصري .. هو مصري حتى النخاع وإن تسمى بالتونسي .. ليس هذا تعصباً لوطني مصر .. لكنها الحقيقة ؛لأن كل مسام بيرم ومشاعره وأشعاره وكلماته تنطق بذلك .. فمصر كانت الحب والحبيبة والملاذ الآمن والحضن الدافئ ، الذي ظل طيلة عمره يتغنى به .. وظل يحلم به في منافي السفرية ما بين تونس ودمشق وباريس لمدة عقدين من الزمان ..

ألم يعترف بذلك صراحة في قوله :

وأقـــول لكـــم بـــصراحة	يـــاللي في بلادنـــا قليلـــه
عــشرين ســـنة في الـــسياحة	باشـــوف منـــاظر جميلـــه
مـــا شـــفت يـــا قلـــب راحـــة	في دي الـــسنين الطويلـــه
إلا أمـــا شـــفت البراقـــع	واللبـــدة والجلابيـــه

وأزجاله في مصر كلها عشق ووله وتغزل في مفاتن سحرها وجمالها :

ترابهـــا ســـندسي أخـــضر
وطينهـــا عنـــبري أحمـــر
ونيلهـــا بنـــدقي أســـمر

مولد شاعر :

ولد محمود بيرم في ٤ مارس ١٨٩٣ بالأسكندرية ، وشب وترعرع على شواطئ حي الأنفوشي الشعبي .. حي صيادي السمك .. وبدأ يقرأ بعض كتب

الأدب الشعبي وتستهويه الأشعارِ التي تحتويها ، كما قرأ في كتب التراث العربي خاصة ألف ليلة وليلة ، والمستطرف من كل فن مستظرف ، والأغاني للأصفهاني وغيرها .. ويبدأ يتلقى دروسه الدينية في مسجد أبو العباس المرسي الذي كان به معهده ديني .

وفي سن السابعة عشرة توفي والده ، وقيل: أنه مات مسموماً على يد زوجته الراقصة التي تزوجها على أمه .. وتلقت الأم هذه المصيبة بلوعة وهلع .. فانقطع بيرم عن دراسته واضطر للعمل كصبي في محل بقالة ، حتى يعين أمه في حياتها .

وبعد عدة سنوات توفيت أمه مصدر الحنان في حياته ، ففكر بيرم في الاستقرار ليتزوج من ابنة تاجر عطارة بالأسكندرية ، ويضطر لبيع بيت الأسرة الكبير ، الذي تركته له أمه ، ويشتري بجزء من ثمنه صفائح سمن ليبيعها لتجار التجزئة ، ويشتري بالباقي بيتاً صغيراً في الأنفوشي ، ويبدأ كفاح بيرم في الحياة، ولكنه يفاجئ ذات يوم بالمجلس البلدي يحجز على بيته الجديد ، ويطالبه بمبلغ كبير كعوائد عن سنوات سابقة .

وأثار هذا الأمر ثائرة بيرم وسخطه فتفجر غضبه في قصيدة لاذعة يسخر فيها من « المجلس البلدي » بالأسكندرية يقول فيها :

إذا الرغيف أتى فالنصف آكله	والنصف أجعله للمجلس البلدي
يا بائع الفجل بالمليم واحدة	كم للعيال وكم للمجلس البلدي
كأن أمي بل الله تربتها	أوصت فقالت : أخوك المجلس البلدي

ويتحمس الكاتب الصحفي عبد القادر حمزة لنشر القصيدة بجريدة «الأهالي » ، وتحدث صدى كبيراً .. وأصبح بيرم من يومها يعرف باسم شاعر «المجلس البلدي » .

وفي تلك الفترة يتعرف بيرم على موسيقار الشعب سيد درويش ، ويبدأ

يقدم له أزجاله ومنها أوبريت « شهرزاد » وفيها أغنية : اليوم يومك يا جنود .

كما غنى له : ضيعت مستقبل حياتي في هواك .

ويصدر بيرم جريدة ساخرة سماها « المسلة » وينشر فيها زجلاً ، يسخر فيها من حاكم مصر يومئذ «السلطان فؤاد» تحت عنوان « البامية الملوكي والقرع السلطاني » ، وتثير القصيدة ثائرة القصر الملكي ، فيصدر السلطان بنفسه أمر بإغلاق هذه الصحيفة ولكن بيرم يصدر « الخازوق » بديلاً عنها ، ويهاجم فيها محافظ القاهرة « محمود خيري باشا » زوج فوقية «ابنة السلطان فؤاد» ، فيأمر الحاكم بترحيله على اعتبار أنه حماية فرنسية إلى تونس موطن أجداده ! كان ذلك يوم ٢٥ أغسطس عام ١٩٢٠ ، وكان يوافق عيد الأضحى ويعاني بيرم في الغربة من الحنين لمصر وفيها أسرته وبيته .. ويعاني في المنفى بين تونس وباريس ، ويعود لمصر ، ثم يرحل مرة أخرى فيقضي سنوات ما بين تونس ودمشق وباريس حتى يعود إلى مصر في الثامن من أبريل عام ١٩٣٨ وهو في الخامسة والأربعين من عمره بعد أن أضناه الفراق وعذبته الغربة !



حبه الأول المجهول!

في حياة بيرم حب مجهول ... كان ذلك عام ١٩١٨ وهو في سن الخامسة والعشرين من عمره على شاطئ الأنفوشي بالأسكندرية وهو في بداياته الأدبية ينشر أشعاره وأزجاله ومقاماته في صحف القاهرة والأسكندرية وكان يحلو له الجلوس على مقاهي الصيادين في الأنفوشي حيث يجد مع جلاسه الصحبة الحلوة ، والفكاهة اللاذعة التي تسرى عنه هموم قلبه وأحزان روحه وخفق قلبه عندما رأى « لبنى » تلك الفتاة السكندرية الرائعة الجمال التي تنحدر من أصل بدوي وتمتاز ببياض بشرتها وبذلك القوام المشوق الممتلئ قليلا مع خفة روح نادرة ولماحية ذكاء رغم عدم تعليمها . كانت تبيع السمك المقلي والمشوي الجاهز في مشنة تصحبها في جولاتها بين المقاهي وموائد الزبائن ، حيث كانت تتسلم السمك طازجا من الشاطئ صبيحة كل يوم ثم تشرع على الفور في إعداده

وبيعه.

وكانت موضع اهتمام وملاغاة زبائن المقاهي المتناثرة على شاطئ بحري .. وشعر بيرم بخفقان قلبه كلما رآها وسمع صوتها لكن حياءه منعه من التصريح لها بحبه ومشاعره الجارفة .. ولكن « لبنى » بغريزة الأنثى أحست بمشاعر هذا الشاب الغريب المتوحد الذي كان ينفرد وحيدا على مائدته وهو منغمس في الكتابة على أوراق كثيرة أمامه . وهي لا تدري أنه يتغزل في جمالها ويهمس لقلبه متسائلا :

هوه صحيح الهوى غلاب ما أعرفش أنا

ولما ضاقت بصمته الطويلة وانفراده مع أوراقه وقلمه حاولت استثارته حين ضبطته يسترق النظر إليها بنظرات ملؤها الحب والهيام فقالت له بمرح ودلال :

- ماذا تكتب في هذه الأوراق أيها الشاب الساهي ؟ أهي عرائض للحكومة؟

فهمس لنفسه وهو ينظر إليها بخجل :

- بل استرحامات إلى حكومة قلبك الشارد ....

وزادت دقات قلبه وتحول الحب الصامت إلى قصة غرام مشتعلة وبدأت لبنى تستجيب لقصائده الغزلية التي تعكس مشاعر قلبه المشبوب وشهدت شواطئ الأنفوشي لحظات من الحب والهيام تذرق فيها العاشقان كؤوس الحب والهوى تخللتها لحظات هجران وفراق وعتاب ودلال ، أستوحى منها قصائده العاطفية والغزلية المفعمة بالحرارة والصدق كما روى للصحفي الزجال عبد الله أحمد عبد الله « ميكي ماوس » ورغم سنوات البعد في منافي الغربة ، ورغم شهرته الأدبية بعد أن غزا العاصمة القاهرة بأزجاله وأغنياته ورغم تجارب عاطفية عديدة إلا أن « لبنى » ظلت هي المحرك الأول في حياة بيرم ومصدر إلهامه الشعرى حتى آخر أيام حياته .

عبقرية بيرم

وتكمن عبقرية بيرم في أنه أجاد في أزجاله وأوبريتاته الشعبية كما أجاد في مقاماته وقصائده بالفصحى حتى أن أزجاله اشترك في الإعجاب بها كبار الأدباء والقارئ العادي حتى قال أحمد شوقي أمير الشعراء : إنني لا أخشى على العربية إلا من شعر بيرم وقال عنه العقاد : كانت آية الآيات في بيرم أنه كان يفهم السريرة الناطقة بالعربية من بواطنها الخفية قبل أن يحكيها بلهجاتها الكثيرة على الألسنة أو على الأحلام ولم يكن ذلك كله من قبيل المحاكاة أو الإعادة « الآلية » التي يستطيعها الكثيرون وإنما كان خلقا للشخصية المتكلمة ، وللعواطف والأحاسيس التي تكمن وراء الكلمات »

ولم يكن ولعه باللهجات الدارجة عن قصور منه في التعبير باللغة الفصحى شعرا ونثرا حين يشاء ، فإن منظوماته العربية طبقة من الشعر تسلكه بين النخبة المجيدين من شعراء عصره .

كان بيرم يستطيع أن يقصر منظوماته كلها على اللفظ العربي الفصيح ، ولكنها طبيعته التي كانت تحن إلى المعيشة بين « أولاد البلد » هي التي حببت إليه أن ينظم بلهجة الأزجال ويسوق عباراته بلهجة المعيشة اليومية في البيت والسوق .

من شعره الساخر بالفصحى قصيدة يرسم فيها شخصية الصعلوك على غرار قصيدة ابن الفارض « أنتم فروضي ونفلي » يقول فيها :

أنتم فروضي ونفلي	أنتم حديثي وشغلي
أهل الكلوب ومالي	عن الكلوب تخلى
قضيت فيه حياتي	على سبيل التسلي
الناس تلعب يوما	وكان لعبي ملي
كفى بجسمي دليلا	وشعري المتدلي
وبذلة ليس فيها	من النظافة على

وجزمـــة بنـــت كلـــب	منهـا تـرى النـاس رجـلي
الأبعديـــــة راحـــت	وكـــل فحـــل وعجـــل
"بيـــت مـــن بعـــد رهـــن	رسـا عـلى « كوتـار يلـلي »
والأكـــل خبـــز وفجـــل	لا ، بـل ومـن غـير فجـل
يـــا مـــدعي وهـــو مثـــر	حـب القـمار انكتـب لي
لـــو كنـــت تعـــشق حقـــا	لكـان شـكلك شـكلي
أنـــا قـــد بقـــى لي يـــومين	مـــن غـــير أكـــل
هـــل مـــن ريـــال لأمـــضي	إلى الكلـــوب لعـــليّ

وله قصائد على طريقة أبو العلاء المعري « لزوم ما يلزم » سماها « لزوميات المغرى » منها قوله:

خـل الأنـام ولا تأمـل منـافعهم	فـالله قـد خلـق الإنسان مرزوقـا
هم يأخذون نفيس الشيء إن طلبوا	وإن هموا وهبوا أعطوك خازوقـا
تـرى الغنـى بعيـدا عنـك مختبئـا	أمـا الفقـير تـراه فيـك ملزوقـا
كما جاءني من فقير يشتكي سـفيا	ومـن غنـى بطـين جـاء محزوقـا

ثم يقول في قصيدة ساخرة أخرى :

يـا قادمـا مـن مـصر ثوبـه يتـضوع	العنبر من ثوبه.. هل من جديد ؟
كيـف غـدت سـكة زرع النـوى	وبركـة الفيـل ، وبـاب الحديـد
ألا يـــزال داهـــساً فيكمـــو	تـرامكم فـوق القـضيب المديـد
وهـل نـساء القطـر قـد أقلعـت	عـن ذلـك اللطـم وذاك العديـد
والـصفع في الأقـسام مـا حالـه ؟	هـل خف نوعا ، أم قـوى شديد؟

ويسخر من بعض رجال البوليس في ذلك الزمان فيقول :

حطـوا الغفـير عـلى الـدكان يحرسـه	فباعـه جملـة لا بيـع قطـاعي
جـاء الحرامـي لـيلا وقلولـه	عـلى الـذي فيـه مـن مـال وأبـضاع
والـصبح جـاء إلى الـدكان صـاحبه	فلـم يجـد غـير الـسقف والقـاع

قال المعاون شغل ليس نعرفه … فاللص لا يسرق المستيقظ الواعي
وحرر المحضر المكتوب صورته … لكل لص ونشال قطاع

وأثناء سفره على ظهر السفينة، من تونس إلى منفاه في فرنسا قال ضارعا إلى الله :

قد دعاك المحزون في غسق الليل … وقد نام كل حي سواها
ربِّ أنت اللطيف بالبر والعاصي … مجيب لمن قد دعاكا
أنا مستمسك بحبلك في اليم … إذا الكائدون مدوا الشباكا

ومن شعره الساخر في مقاماته على لسان أحد الشيوخ المولعين بالجمال :

بأبي النساء اللابسات خلاخلا … الخاطرات خمائسا وجلاجلا
الخارجات بأحمر وبأبيض … الرابطات شرائطا وخمائلا
اللابسات شباشبا وقباقبا … الحاملات معاطفا ومناخلا
الماضغات لبانة وحلاوة … الآكلات مدمساً وفلافلا
الراكبات سوارسا وبضائعا … التاركات مساكناً ومنازلا
الضاحكات لمعسر ولموسر … الآخذات مبيضا ومقاولا
الضاربات صدورهن تعجبا … القائلات : البخت أضحى مائلا
الداخلات محاكما ومكاتباً … العاملات مع الرجال عمائلا
هن اللواتي ما انتهرن مداعباً … أبداً .. ولم يشتمن قط مغازلاً
وكذلك لم يسألنه عما إذا … كان المقاول جاهلاً أو فاضلا
منهن سائلة ومنهن التي … عن كل مسألة تجيب السائلا

وكان بيرم يجيد تقليد الشعراء، فكتب قصيدة المجلس البلدي مقلدا أسلوب أحمد شوقي، بما فيه من ثراء التراكيب، وعذوبة الموسيقى :

وحول منازل الغرباء عنا … غرست الورد ثم الياسمينا
وأخضلت العيون لهم سماء … ومهدت الرخام الجذع حينا
وما قرموا للحم الطير حتى … منحتهمو الأوز العائمينا
تفجر تحت أرجلهم عيونا … وتفقأ وسط أوجهنا عيونا

وتـرضى عنهمـو وتـصدّعنا ... وقد سخطوا ونحن الشاكرونا
فمـر بهـا علينـا كـل عـام ... بحـيٍّ الأشـقياء البائـسينا
تـر الـوحلات جائمـة وفيهـا ... بنـات قـد تعلمـن العجينـا
إذا كنت الطبيب ونحن مرضى ... فأوص النـاس خـيرا بالبنينـا

ويصف بيرم المرقص على لسان أحد الريفيين السذج :

مـا كـاد مغنـى القـوم يـدق ... بلحـن منـه شـج
حتـى انفرطـت وحـداتهمو ... ثـم ازدوجـت بـالمزدوج
رجـل وقرينتـه التقيـا ... بـصدور العـزو بـالمهج
فعـلى كتفيـه معاصـمها ... ويـداه بخـصر ذي عـوج
وخطـى الأقـدام موقعـة ... بـالرقص عـلى نظـم الهـزج
ورواحهـا ومجيـئهما ... في الـسنهج عـلى أرقـى نهـج
طـوراً كالـصاعد في درج ... أو كـالمنحط مـن الـدرج
فـإذا انخـذبت فلمنجـذب ... وإذا اختلجـت فلمختـلج
وإذا نقلـت قـدما رفعـت ... قـدما والرفـع بـلا عـرج
والقـوم تمـوج الأرض بهـم ... مما هـم فيـه مـن الهـرج
ورفيـق الـشاة عـلى حـدة ... ثمـل بالـشوق المعـتلج
في الـركن يـرقص لحيتـه ... وتـروح عمامتـه وتجـي
قـد كـاد يمـوت بحرقتـه ... لـولا مـا فـاح مـن الأرج
وخـواتمهم وأسـاورهم ... طمـست عينيـه مـن الـوهج

وقد شاء أن ينظم قصيدة « المجلس البلدي » بالفصحى فأبدع وأجاد :

سـلوا الرسـائل عـن أهـل الهـوى قـدما
وكـم يـرى الـشوق في تحبيرهـا قلـما
وخـبروني ، وكونـوا خـير مـن حكـما
هـل دارت الرسـل بـين العاشـقين كـما

تدور بيني وبين المجلس البلدي
إعجب لعشقي له فن وهندسة
جدران حبي على قلبي مؤسسة
وتلك أرقامها طهر مقدسة
عندي « قسائم » أشواق مكدسة
وكلها من حبيب : المجلس البلدي

لقد أجاد بيرم كشاعر شعبي أن يعبر عن ابن البلد وابن الريف وابن الصحراء وابن الصعيد ، كما أجاد التعبير عن اللهجات العربية كاللهجة اللبنانية والسورية والتونسية والمغربية وغيرها .

بجانب تشربه للتراث العربي وقراءته لروائع الشعر العربي قديمه وحديثه فجمعت عبقريته بين إجادته للشعر الشعبي والشعر الفصيح وقد فسر لنا سر ذلك بقوله : « إنني لا أعرف شواطئ لهذا البحر الزاخر ، الذي يهدر في نفسي وقلبي ورأسي من روائع الشعر لأعظم الشعراء ، وقد حفظت القرآن الكريم ، ودرست ستة كتب في تجويده وتلاوته واستوعبت دراسة الأدب العربي من أمهات مصادره وشربته من أصفى ينابيعه ، ودرست البلاغة وعلوم اللغة وفقهها ، وأحطت بشواردها ..

رحيل الطائر الحزين !

وتنهك ليالي الغربة والبعد عن مصر لمدة تقارب العشرين عاما قلب بيرم وصدره ، ويشاء في سنواته الأخيرة أن يسكن في حارة السد بالسيدة زينب .. ، ويبدع الكثير من الأغنيات لنجوم الطرب مثل أم كلثوم وفريد الأطرش وزكريا أحمد وغيرهم .. ولكن مرض الربو الذي أصيب به منذ عام ١٩٥٤ نتيجة السهر والرطوبة وإسرافه في التدخين يرهقه ....

وتكرمه الدولة المصرية فيمنحه الرئيس جمال عبد الناصر الجنسية المصرية ثم يسلمه جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٩٦٠ ، ولكن علة الربو تشتد عليه فيرحل عن الحياة ليلة ٥ يناير ١٩٦١ في بيته بالسيدة زينب ، ويصل الخبر لأم كلثوم وهي تستعد لغناء أغنية ، « هوه صحيح الهوى غلاب » فتنهمر دموعها وتغني أغنيتها وكأنه يناجي بصوتها حبيبته يوم رحيله عن الحياة .

من أحلى قصائد بيرم.

النسوان

في كل عام للورد ألوان ... إلا النسوان
بقدرتك نابتين ألوان ... أبيض واحمر
وانت اللي تعلم ونا أجهل ... فيه إيه أجمل
من دي الخدود اللي لا تدبل ... ولا تتغير
ودي العيون اللي أشهد لك ... بها وأسجد لك
دي خلت الطاغي انقاد لك ... و لمتكبر
والشفتين اللي فالقهم ... كنت خالقهم
للابتسام ولا رازقهم ... دائت تحير
العبد يعشق بالقوه ... وعشق لجوه
كمان جهنم؟ إيه هوه ... محناش معشر
بذمتي انت اللي جاذبني ... يا معذبني
ويا للي ذوقك يعجبني ... لما تصور
لك صنعة في العين والحاجب ... بها تتعاجب
وتقول وجود الله واجب ... مين به يكفر
ولك قوالب في الأجسام ... غلب الرسام
ويقلدك بحجر ورخام ... يلقاك أشطر
يا ست يام زناق محبوك ... وقميص مفكوك
حطي على القلب المشبوك ... إيدك يعمر
ويام نص ملايه حرير ... والنص يطير
على الكتاب أنا عقلي صغير ... غطي المرمر

ويـــاللي ســـاقك يـــسوى رقـــاب — حـــــارت للبـــــاب
في لـــون حقيقتـــه إن كـــان بـــشراب — ولا مقـــــــــــــشر
ويـــا لـــلي خـــصرك لـــه حركـــات — تقفـــــل شركـــــات
ويـــضج منهـــا داود بركـــات — لمـــــــا يحـــــــرر
فوقـــه الحـــزام متـــشعبط فيـــه — النبـــــى شـــــديه
لتحـــت همـــسه يـــا روحـــي خليـــه — يبقـــــى محـــــرر
ويـــا لـــلي خـــايفى الفـــرق يميـــل — قامطـــــه المنـــــديل
طيـــب وصـــدرك بالهلاهيـــل — ليـــــه متحـــــشر
ويـــا لـــلي لابـــسالي جـــوانتي — أربعـــــه ســـــتى
في إيـــه خفيتـــي وبيتـــي — لـــلي مـــا يظهـــر
ويـــا لـــلي بالـــدراعات تمـــشي — ولا تسألـــــــــشي
متـــشمرالي ومـــا أقـــدرشي — عالمتـــــــــشمر
ويـــام شمـــشيه يـــا عايقـــه — عـــلى فـــين ســـابقه
يـــا مرشـــقه الـــورد اللايقـــه — عالمتـــــــــشجر
هـــواكي بالياســـمين هـــافف — وحلـــــق رافـــــف
يـــصافح العقـــد اللافـــف — عـــلى دي المنحـــر
يـــا مـــسلمين الله يـــا حـــريم — أنـــا مـــالي غـــريم
غـــيركم أروح ويـــاه في جحـــيم — يـــــوم المعـــــشر
الـــدنيا والنـــسوان وخـــلاص — والراجـــــل لاص
لا طلبـــه ينفـــع ولا بـــلاص — لـــــو يتكـــــسر
عليـــه قفـــا عـــايز الخيـــه — وخلقـــــه رديـــــه
وجتتـــه المـــشعرانيه — حاجـــــه تقـــــشعر
ولا الـــشنب والـــدقن يـــا هـــوه — مهـــــما حلقـــــوه
بـــاين وعـــايز لعـــن أبـــوه — برضـــــك أخـــــضر

العيوان

مـن العيـون يـا سـلام سـلم	شـوف واتعاجـم
تحـت البراقـع تـتكلم	والـدنيا نهـار
عيـون تقـول لـك قـصدك إيـه	بتبحلـق ليـه
مـا لكـش شـغل تعـس عليـه	يـا راجـل يـا حمـار
وعيـون تقـول لـك أنـا عارفـاك	والنبـي مـا أنـساك
مـن يـوم مـا شـفتك م الـشباك	يـا جـدع يـا صـغار
وعيـون تقـول لـك روح يـا رزيـل	يـابو دم تقيـل
يـا بـاي كبـه في المخاليـل	يامـا هـم كتـار
وعيـون تقـول لـك أنـا حبيـت	يـاللا بنـا البيـت
وعيـون تقـول انـشالله مـا جيـت	أنـا رايحـه الـزار
وعيـون تقـول لـك بالمحـسوس	أنـا عـايزه فلـوس
وانـشالله حتـى تحـوس وتـدوس	أنـا عـاملاه كـار
وعيـون تقـول لـك إمـشي يـا واد	أنـا أم ولاد
وعيـون تقـول لـك عنـدي ميعـاد	ويـا السمـسار
وعيـون بـسر الحـب تبـوح	كـده بـالمفتوح
وتعـرف القلـب المجـروح	مـا علـيهش سـتار
وعيـون تـسبل فـوق الخـد	دي جـد في جـد
وعمرهـا مـا تكلـم حـد	عيـون أحـرار
وعيـون تحقـق فيهـا بـشوق	تهـرب عـلى فـوق

بتقـــول لـــك ابعـــد عنـــي بـــذوق　　نظراتـــــــك نـــــــار
وعيـــون مـــا تعـــرف زعلانـــه　　أو فرحانـــــــــــــه
صـــباح مـــسا أخـــي ســـاهتانه　　صـــــاحبة أفكـــــار
وعيـــون لهـــا ضـــحكة ف وشـــك　　بـــــس تغـــــشك
وتـــبص مـــن تحـــت اليـــشمك　　تلقـــــى المنقـــــار
وعيـــون كـــدا يـــبقم ســـاهتين　　صبـــــفر وبـــــاهتين
بالـــشكل دا عيـــون الخـــاينين　　تـــــضرب بـــــصفار
وعيـــون تـــبص وتـــسفلق　　واقفـــــه شـــــلقلق
وعيـــون تبريـــق وتبحلـــق　　عـــــايزين مـــــسمار



يا ست

أهـــلاً وســـهلا مـــن قلبـــي
كـــل مـــا اشـــوفك

أقولهـــا واطلـــب مـــن ربي
لمـــس كفوفـــك

جـــسمك في فـــستان الـــسواريه
عريـــان نـــصه

لـــو كنـــت افـــضل بـــست عليـــه
إيـــد مـــن قـــصه

ولمـــشيتك في ســـان اســـتيفانو
بـــالمتجرجر

قالـــت جميـــع أهـــل الكـــازينو
الله أكـــبر

والخطـــوه لمـــا تخطيهـــا
واحـــده اتنينـــه

أقـــول يـــا ربنـــا تكفيهـــا
شر عنينـــا

وشـــعرك الـــلي الفـــن لـــواه
ياصـــلع يـــاني

مـا اعـرفش لـو كـان لـسطى كـواه
ولا كـــواني

ونظرتـــك مـــن تحـــت لفـــوق
كـــدا للراجـــل

تخـــلي لولـــب مـــتر الـــشوق
طـــالع نـــازل

أمـــا الـــلي زود في جمالـــك
ونـــصب قامتـــك

وشـــوق النـــاس لوصـــالك
تقـــل عظمتـــك

ولمـــا إيـــدك دي تحبـــك
عـــلى منـــديلك

أحـــس قلبـــي بيتـــشبك
ويـــصلي لـــك

وضـــحكتك لمـــا برقـــت
منهـــا الـــسنه

دي ليلـــة القـــدر انفتحـــت
فيهـــا الجنـــه

والـــشفه لمـــا تعـــضيها
شـــفتك انتـــي

دي نايـــه وبتفتكريهـــا
يـــام جـــواتني

ولمـــا تنظـــري لنهـــودك
عينـــك تـــدبل

وتطـــول رقبتـــك وخـــدودك
ورد يـــشعلل

يـــا مجلـــس الأنـــس اجمعنـــا　　بينــــــات حـــــوا
دول نـــصنا وعـــضم ضـــلوعنا　　وبــــــه تتقــــــوى
يـــا مجلـــس الأنـــس تـــضلم　　لمـــــا نجومـــــك
تغيـــب ونـــسهى مـــا نـــتكلم　　غــــير في همومــــك
أشـــوف شـــنب مرعـــى ويجيـــى　　أخــــضر واســــود
وشـــيخ مكلكـــع وبلحيـــه　　منظــــر يكمــــد
ويقـــول لنـــا البيـــه البـــايخ　　يــــيلى بــــضربه
إنـــه النهـــارده صـــبح دايـــخ　　وشرب شربــــــه



سبح الخالق

سبح الخالق اللى زينها | بالجمال دنيا سابيه نسوانها
شوف لي من فضلك اللى قاعدلي | شابكه بالورده صدرها العالي
وام شعر أصفر | انصبغ موده
لجل يهوسنا | والعيون سوده

◆◆◆

واللى لابساها | ربع برنيطه
ثم عاوجاها | ثم شبكاها
ثم ربطاها | عقده وشنيطه

◆◆◆

طب وشوف رخره خصرها الداهيه | سر متخبى والكفل موهيه
شوف جاتنها | عاليه مشنوطه
قول معى الدنيا | رخره مسخوطه

◆◆◆

واللى فستانها وصلتين رقه | للفطين شقه والعبيط شقه
واللى سرتها باينه منغوزه | لو تيجى تقيسها تغرز الموزه

◆◆◆

والتفت حبه | يا براهيم يا بنى
للى عاطيالنا | ضهرها المبنى
تنقطع قصعه | تترمى رجالها
قال وعاملالنا | ساهيه وف حالها

◆◆◆

واللى عاللحم لابسه تنوره | ماشيه فطرينها خلق بالطوره

◆◆◆

قول لي مش عيب دا | نفتح الباب دا
والعيال | قاعدة

الحب

كان اللي كان والمستور بان ... مش يكفي حنان
ما فاضل إلا الحب كمان ... والزمبليطات
يا قلب بعد ما كنت سعيد ... تعشق وتريد
الحب نار لو كنت حديد ... تصبح ما تبات
داللي جرى وصار للعشاق ... مكتوب في أوراق
ما بين دلال ووصال وفراق ... العاشق مات
أجمد شويه وخليك صاغ ... بلا قلب دماغ
دي شغله ثانيه وعايزه فراغ ... وصفا الأوقات
يا للي تقول الحب نعيم ... بس انت بهيم
ما يعلمك غير التلطيم ... بين الجمالات
حسدت عاشق على معشوق ... لو كنت تدوق
تعلم بأن الحب خازوق ... مش بلح أمهات
ما حد منه بلغ أمله ... وركب جمله
ياما عمل وبلغ عمله ... بدع الستات
آه لما تاخد مره ميعاد ... وتقف منكاد
تقول ما جاتش البنت يا واد ... ليلتك حسومات
تقف من اتنين تحت الكن ... لخمسه ترن
لا ست ولا ستوته تحن ... على الشات
ولا امنا تتمحك عالباب ... ويجي البواب
ويسألك إيه الأسباب ... لك ست ساعات

يا يقول عليك سافل ملعون
يا يقول مجنون
يبقى ان ما كان دا يكون دا يكون
ضرب مقشات
الحب له تخابيل وأمور
وتاريخ مسطور
ودعس كبس كم المأمور
عالعربيات
الحب خلا ناسات سهرت
وناسات كفرت
وياما ناس فيه انتحرت
في الدهبيات
ومش مصيبة لما الإنسان
شرفه ينهان
لما يكلم دي النسوان
بالعرض حالات
نسوان بلدنا بقت بالكوم
أرخص م الدوم
والحب آخر صح اليوم
بالكونترانات
واللي أنا متمعشق فيه
وبروحي أفديه
ما شفت له في الدنيا شبيه
ولا في السموات
من بعد ما أحلف بالله
أحلف بهواه
وعشقي له طاهر ترضاه
كل الديانات
والقلب دا يا نور العين
ما يساعش اتنين
غيرك مفيش يام الحرمين
معشوق بالذات



عطشان يا صبايا

عطــــشان يـــــا صـــــبايا
عطـــشان يــا مـــصريين

عطـشان والنيـل في بلادكــم
متعكـــــر مليــــان طـــين

ولا نهـــر الـــرون يروينــي
ولا ميــــه نهــــر الــــسين

ودمــوع العــين مــا بـتروي
نــــار القلـــب الحــــزين

شــده وتـــزول يـــا معـــوض
ســــبحاك رب معـــــين

دي ثـلاث حكومـات يـا خوانـا
ظلمــــوني واشـــكي لمـــين

يــا بنــت بــاريس اسـقيني
كاســـــاتك مليـــــانين

فاضـــل عالعتبــه الخــضرا
عـــشرين عـــام عـــالهجين

زغوتـــه يـــام ســـد حمـــد
زغروتــــه يـــام ياســــين

راجـــع أتـــوضى واصـــلي
وأزور ســـــيدنا الحـــسين

وأبـــوس إيـــد الــشيخ بلبــع
وإيــــد البـــشا التخــــين

وأقـــول ســـلامات لخليفـــه
ولـــــشعبان طيبـــــين

وأتـوب على سيدي لاظوغلي
عـــنن كـــــار الجـــرانين

واتجـــوز بنـــت الماشـــطه
والكوديـــــه أم ياســــين

إيـــاك يتعـــدل بختـــي
واخـــــدم في الــــدواوين

والــبس لي سـموكن مقـصب
وابقـــى البيـــه التخـــين

ياما نـاس في نعيم وف نعمـه
وبتمــــشي عـــالعجين

غـيرشي جعلـوا التخـشيبه
للغلبــــان الفطــــين

يخـــرج منهـــا ويتـــسوح
مـــن مرســـيليا للـــصين

دا جـــازاة الخايـــب الـــلي
يعـــشق بنـــت التـــسعين

شـــايف مـــن تحـت البرقـــع
أهـــــدابها مرعـــــرعين

ماحـــسبش حنكهـــا مطبـــق
وســـــنانها مهمــــرتمين

والفـــــم المحموديـــــــه	والـــــراس دي راس التـــين
وشـــب كـــمان وترافـــق	أهـــل الـــدنيا والـــدين
ولا تطـــرد بيـــاع رنجـــه	ولا بيـــــاع الفلـــــين
وولادهـــا اسـم الله علـيهم	يتعـــــدوا بـــــالملايين
رجالــــــه وصـــــنايعيه	بـــــاعين شرابـــــين
واحـــد تـــاجر طعميـــه	والتـــاني بتـــاع مـــصارين
والـــلي يبيـــع جوافـــه	والـــلي يبيـــع سرديـــن
وواحـــد كمـــساري أفرنجـــي	قاعـــد في وابـــور طحـــين



حاتجنن...!

حاتجنن ياريت ياخوانا مارحتش لندن ولا باريز
دي بلاد تمدين ونضافه وذوق ولطافة وحاجه تغيظ
مالاقيتش جدع متعافي، وحافي ، وماشي يقشر خص
ولا شحط مشمر افندي معاه عود خلفه ونازل مص
ولا لب اسمر وسوداني وحمص وانزل يا تقزقيز
حاتجنن يا ريت ياخوانا مارحتش لندن ولا باريز
ولا عركه في نص الليل دايره بالحيل وصاحبها بوليس
قدامها جدع متجرجر وشه معور قال دا عريس
الخلق ماهي بتتجوز واشمعنى احنا مفيش تمييز
حاتجنن يا ريت ياخوانا مارحتش لندن ولا باريز
ولا واحده في وش الفجر تبرطع ماليه الدنيا صوات
قال إيه جوز خالتي أم أحمد سلفة أخوها السيد مات
سبحانك ما أعظم شانك والله الموت دا مفيد ولذيذ
حاتجنن يا ريت ياخوانا مارحتش لندن ولا باريز
ولا واحد طالع يجري وواجد تاني بيجري وراه
ويقول ها هع حصلتك يابن اللي ابصر إيه عاملاه
لا الشارع غيط ياخوانا ولا احنا بداره ولا احنا معيز
حاتجنن ياريت ياخوانا مارحتش لندن ولا باريز
ولا واحد بيبيع حاجة يقول بريال وتاخدها بصاغ
ياخوانا دي حتى الإبره تاخدها بدوشه وقلب دماغ
حلفان وعراك ومناهده ويمكن ضرب كفوف يا حفيظ
حاتجنن ياريت ياخوانا مارحتش لندن ولا باريز

ولا فيش ميت ألف صعيدي بتوع يانصيب هاجين ولا فيش
ميت ألف معوض داعي جاي معاه صندوق ورنيش
والله كرهت القهوة وحرمت أقعد عالأفاريز
حاتجنن ياريت ياخوانا مارحتش لندن ولا باريز

واتنين سارحين بكلونيا
وفنلات معتبرين
والحاج محمد برعي
له فابريكه كوانين
وأخوه له معمل طرشي
مشهور في الكعكيين
والكل يزيد ويبارك
تاعدين متصنعين
ما ينوب الواحد منهم
غير قفل الدكاكين
يا رازق جيش الأزهر
إياك نستعين
يا باريز يام بلاد بره
يا مربيه لامرتين
بعتت لك أم الدنيا
شاعر في الشعر متين
يعمل أشعار لبرابره
وصعايده وفلاحين
وتلامذه وأزهريه
وخواجات ومفتشين
إياك ما يموتش عندك
في أزيل المساكين



يا اسكندريه

يـــا ســـــكندريه
يـا لــلي زاينــه البحــر الأبــيض

يـــا نــــور عنيـــه
عالـــشباب وعليكـــي يعـــوض

كتمـــــت نـــاري
مــن نهــار البــين في ضـــلوعي

وفـــــــضلت أداري
عــن عيــون الخلــق دمـــوعي

رأيـــــت مــــواني
عــن يمــين ملكـــك وشـــمالك

مـــا شـــفت تـــاني
فيــه أثــر مــن بعــض جمالـــك

والـــــلي طويتـــــه
كـــان علــم يخفــق في هـــواكي

فـــراق يـــا ريتـــه
كـــان فـراق المــوت وعزاكـــي



يا مصر

يـــا مـــصر تتحــدث الأمـــلاك بجمالـــك
في وحـــي جبريـــل
مـن قبـل فروعـون وموسـى الـشمس ضـحاكالك
في صـــفحة النيـــل
حـــسنك لوحـــدك لا نـــسوانك ولا رجالـــك
مـــن جيـــل ورا جيـــل
في وحـــي جبريـــل قـــصايد واســـمها ســـينا
منقوشـــه بـــالنور
في صـــفحة النـــور مزايـــا للحيـــاه زينـــه
قـــدامها جمهـــور
مـــن جيـــل ورا جيـــل ومـــن خوفـــو ورا مينـــا
وكـــل طرطـــور
منقوشـــة بـــالنور قراهـــا ســـيد الإســـلام
بـــأمر مـــولاه
قـــدامها جمهـــور عـــلى ذكـــر الجلالـــه ينـــام
والأمـــــــــر لله
وكـــل طرطـــور بقبـــه أو بنـــى أهـــرام
والكـــل ســـايعاه
بـــأمر مـــولاه محمـــد عـــالجمال وصى
حـــاكم ومحكـــوم
والأمـــر لله وجـــدتيفى الخلـــف غـــصه
تتمـــدد وتـــدوم
والكـــل ســـايعاه ولـــه مـــن رأفتـــك حـــصه
آه علـــي محـــروم

من مقامات بيرم

المقامة الشواليّة

حدثنا ابن المتيم ابن ولهان:

قال: بلغتُ الخامسةَ والثلاثين.. ولم أزل في زُمرةِ العذابِ المساكين، ولم أطأ بساط النعيم.. ولم أقعد مع الحريم.

فلما هلتْ عُطلةُ الأزهر.. وفرغنا من الجهاد الأكبر.. عزمتُ على التفسح.. والتحرش والتمسح.. فلبست جُبَّة من الجوخ السلطاني.. وقفطاناً من القُطنى الحُمصاني.. وشالاً من الشاشِ النِّعماني .. وحذاء يُقال لجلده أمريكاني.

وخرجت إلى ميدان الأوبرا أتطلع إلى النساء.. وأنتقي لي منهن خنساء[1]، فلم أر إلا خواجات وهوانم.. لا يرغبن في مجاور ولا عالم.

فقلتُ في نفسي: عليك بالأحياء الوطنية مثل حي الغوريّة، فهناك يحِن الجنس إلى الجنس ، وتكمُل المعرفةُ ويتم الأنس.

يأبى النساءُ اللابساتُ خلاخلا الحاملاتُ مقاطفاً ومناخِلا
والضاربات صدورهن تعجباً والآكلات مدمساً وفلافلا
والقاصدات محامياً ومحاكماً والقائلات البختُ أضحى مائلا
هنَّ اللواتي يحترمْنَ مكانتي ويلحنني في القُطْر شيخاً هائلاً

فوقفتُ عند موقف الترام.. ونقطة الازدحام.. فمَرَّت امرأةٌ لها كَفَلٌ مَهُول، فمشيتُ خلفها أقول:

أيُّها الردْفُ الذي قد عظُما وعلا جداً وفاقَ الهَرَما
يتهادى يمْنَةً أو يَسْرةً تابعاً في حالتيه القدَمَا
كلما سارت به ربتُهُ أظهر الطيشَ وأخفَى الحُلُما

(١) امرأة جميلة تشبه عيونها عيون البقرة الوحشية.

كيـف يلقـاكَ مُحِـبٌّ والِـهٌ　　　بَـرَّحَ الـشوقُ بـه فـاحْتَلما

فمشتْ على طُول، ولم تفهم ما أقول.

فرجعتُ إلى موقفِ الترام، حيثُ نقطةُ الازدحام ، فمرَّت امرأةٌ ثانية، لمئزر ثانية ، ولها ساق ، سبحان الخلاق، فمشيتُ خلفها على طول ، وأنا أقول:

أيُّها الساقُ الذي قدْ دُمْلجا[1]　　　وتحاشَى حَجْلَه[2] أن يَخْرُجا

يتهـادى يَمْنَـةً أو يـسرةً　　　خلقـةً أو حفـةً لا عَرَجا

كـما سـارت بـه ربتُـهُ　　　خلتُها عمداً ندوسُ الـمُهَجا

كيـف يلقـاك مُحـب والِـهٌ　　　إنْ تَمَـدَّدْتَ عليـهِ ابْتَهَجا

فمرَّتْ ولم تفهم.. فقلتُ: إلى جهنَّمْ.

ورجعتُ إلى موقفِ الترام ، حيث نقطةُ الازدحام، فمرَّت امرأةٌ ثالثة بمئزرها عابثة، ولها قدٌّ يَقُدْ ، ونهْدٌ يهُد ، فمشيتُ خلفها على طول، وأنا أقول:

أيهـا النَّهْـدُ الـذي قـد قبَقَبا　　　وغـدا كالطّـاس حين انْقلبا

يتهـادى يَمْنَـةً أو يـسرةً　　　فاتنـا إفرنجهـا والعَرَبا

كلـما سـارت بـه رَبَّتُـهُ　　　أظهـر الطـيشَ وأبْـدَى اللعِبا

كيـف يلقـاك مُحِـب والـه　　　قـد تلظـى قلبُـهُ والتَهَبا

فلم تردَّ علي ، (ولم تلتفتْ إلي).

فقلتُ في ألفِ داهية ، ولتلحق بالأولى والثانية ، ورجعتُ إلى موقف الترام، حيثُ نقطةُ الازدحام، فمرَّت امرأةٌ كالبرجِ المشيدْ ، وفيها محاسنٌ الأخرياتِ وتزيدْ ، وفوق رأسها شوالٌ خفيفٌ كأنه محشو بالليفْ.

(أو هكذا كنتُ إخال).

فهجمتُ عليها في الحال ، وقلتُ: لا و لله لأحملنَّ عنك هذا الشوال.

---

(١) دملج الشيء أتقن صنعه وصاغه كما تصاغ الحل الذهبية.

(١) دملج الشيء أتقن صنعه وصاغه كما تصاغ الحل الذهبية.

قال: فلما استقر الشوالُ على رأسي، كان يُحمدُ أنفاسي ، ولكن التظاهُر بالرجولة صبرني على هذه الحمولة.

وسارت تتأوَّدُ وتتبختر ، وأنا خلفها أتلوَّى وأتعثَّرْ ، وكلما رأتني أقتربُ منها أسرعتْ ، وإذا ابتعدتُ عنها تمهَّلَتْ.

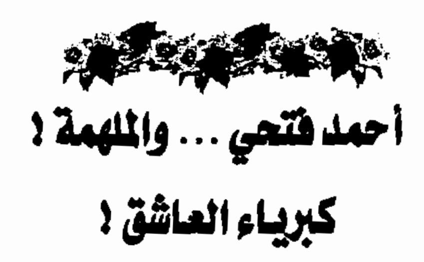
فسألتها: بالله ما محتوياتُ هذا الشوال؟

فقالت: في هذا الشوال كليمٌ وسنْدانْ ، وطَستٌ وحلتَّان وعشرةُ صحُونْ ، وهُونْ ، وأقتَّان من الزيتُون ، وفيه عشرةُ أرطال بن أخضر ، وست رءوسٍ من السكر ، ومائة بُقسُماطَةْ وعشرُ أقاتٍ بطاطه ، وأربع أزواج من القباقيب، وثلاثة مراكيب.

واستمرَّتْ تسير، وأنا أسير ، وهي تقول: وأنا في ذهول إلى أن وجدت نفسي قدام شباك التذاكر .

قلت: هل أنت مسافرة؟

قالت: نعم ولك شاكرة!



أحمد فتحي ... والملهمة !

كبرياء العاشق !

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معي
وعيون الليل يخبو نورها في أدمعي
يالذكراك التي عاشت بها
روحي على الوهم سنينا
ذهبت من خاطري إلا
صدى يعتادني حينا فحينا



أحمد فتحي

أحمد فتحي
شاعر قصة الأمس

أحمد فتحي شاعر أنشودة الكرنك التي ارتبط اسمه بها حين تغنى بها الموسيقار محمد عبد الوهاب عام ١٩٤١ :

أين يا أطلال جند الغالب   أين آمون وصوت الراهب

وصاحب قصيدة « فجر» التي تغنى بها مع صديقه الموسيقار رياض السنباطي :

كل شيء راقص البهجة حولي ها هنا   أيها الساقي بما شئت اسقنا ، ثم اسقنا
واملأ الدنيا غناء ، وبهاء وسنا   واملأ الدنيا غناءً ، وبهاء وسنا
نسيتنا ، لم لا ننسى أغاريد المنى ؟   علنا أن تعرف النوم هنا أعيننا

وصاحب قصيدة « قصة الأمس » التي تغنت بها كوكب الشرق أم كلثوم والتي عبر فيها عن مأساة حبه وأحزان روحه وضياعه ! والتي ارتبطت به وبحياته ، فمن هو أحمد فتحي ؟!

ولد أحمد فتحي إبراهيم سليمان في قرية كفر الحمام بمحافظة الشرقية في الحادي عشر من أغسطس عام ١٩١٢ لأسرة متوسطة الحال وكان أبوه ـ الشيخ إبراهيم سليمان ـ شيخا من علماء الأزهر ورعا مثقفا وثائراً أيضاً ، يقرأ مختلف ألوان الأدب وينظم الشعر . وبعد مولد أحمد فتحي انتقلت الأسرة إلى الأسكندرية بحي الجمرك ، حيث كان أبوه يعمل مدرسا بالمعهد الديني بالأسكندرية .

وفي أثناء ثورة عام ١٩١٩ شارك الأب بمنظوماته وخطبه وعقد الاجتماعات . واعتقل عدة مرات بسبب ثوريته ووطنيته .

وحفظ أحمد فتحي القرآن أولا في الكتاب ثم ألحقه والده بالمدرسة الابتدائية بالأسكندرية ثم التحق بالمدرسة الثانوية بالقاهرة - حيث انتقل أبوه لها بحكم عمله - ولم يستطع الحصول على شهادة الكفاءة لانغماسه في ذلك الحين بين شيطان الشعر وشيطان الحياة . فالتحق بمدرسة الفنون والصنائع وخلال تلك الحقبة بدأ يكتب قصائد وجدانية يبث فيها أحلام قلبه ونجوى روحه مستلهما إياها من وحي تجاربه الوجدانية ومغامراته العاطفية واتسمت تلك القصائد بالرقة والعذوبة والطلاوة .

وتخرج أحمد فتحي في مدرسة الفنون والصنائع عام ١٩٣٠ وعين موظفا بجمرك الأسكندرية وشهدت له مغاني الأسكندرية صولات وجولات سجلها في قصائد رقيقة عذبة ، ولم يستمر طويلا في هذا العمل فانتقل للتعليم الفني فعمل مدرسا بمدرسة الصناعات بالسويس حوالي عام ١٩٣٢ ، وفي السويس كانت له أيضا تجارب ومغامرات عاطفية .

ومن السويس بدأ يراسل مجلة « بوللو » ونشرت له عدة قصائد رقيقة غلب عليها الطابع الرومانسي الحالم الذي يغلف أحلامه بأحزان روحية آسرة . وغلبت على قصائده في تلك الحقبة الروح الشاكي الحزين وأفصحت قصائده عن نفسية قلقة معذبة ، فقد كان طموحه أكبر من إمكانياته ، وآماله أكبر من واقعه .. ولعل مفتاح شخصيته في تلك الحقبة والذي ظل ملازما له طيلة حياته يتلخص في إحساسه « بالاغتراب الروحي » الذي كان يضنيه ويعذبه ويقلقه .

وبعد عمله بمدينة السويس انتقل إلى الأقصر مدينة التاريخ العريق ، ليعمل مدرسا بمدرستها الصناعية وفي هذه المدينة الصامتة الهادئة التي يخيم عليها جلال التاريخ التليد وصمته وهيبته . أحس بفراغ موحش وملل قاتل وهو الشاعر الطروب المرح الذي تعود أن يقضي أيامه ولياليه بين مجالي الأنس والطرب وأطايب الجمال هربا من عذابه الروحي الممض وشعوره القاتل بالاغتراب الروحي .

وتغني محمد عبد الوهاب بأنشودة الكرنك عام ١٩٤١م فلاقت نجاحا

كبيرا واتسعت شهرة الشاعر وأضفت عليه صيتا ذائعا ، وهكذا اقتران اسم الكرنك بأحمد فتحي ، وأصبح الناس يعرفونه باسم « شاعر الكرنك » .

وبالمناسبة لم يتقاض الشاعر عن هذه الأنشودة الناجحة إلا ثلاثة جنيهات من الإذاعة المصرية حينئذ ....



وهكذا روض شاعرنا روحه على التصوف بين معان الأقصر الخالدة وأصبحت أجمل أوقات حياته تلك التي كان يقضيها بين المعابد الشامخة : فاستوحى أنشودة الكرنك من معابد الكرنك .. واستوحى أنشودة نداء الغروب « من وحي وادي الملوك » وهي قصيدة تتسم بالصور الشعرية المحلقة والخيال الفني المجنح ، يقول فيها :

عادت الطير إلى أغصانها
تتغنى
حين ذاب النور في ألحانها
وتثنى
وجرى في أدمع الذكرى شراعي
مذ دعاه من فم الأجيال داع

❖ ❖ ❖

وكسا الليل وشاح الذهب
في الأصيل
وروى الموج حديث الحقب
للنخيل

❖ ❖ ❖

طاف بي همس بعيد كالنداء
أيها الساري على غير اهتداء

قــــــف تأمـــــــل

◆ ◆ ◆

هاهنــــــا وادي الخلــــــود

وتمهــــــــــــــــــل

كـــل مـــا فيــــه رقـــود

◆ ◆ ◆

لا تنبــــه أعينـــا طـــال كراهـــا

ســحرها صـان عـلى الـدهر حماهـا

◆ ◆ ◆

أيــن منــك الفــن والمجــد العريــق

قـــــــف تمهـــــــل

فــسحة مــن أمــل الــوادي وضــيق

فتأمــــــــــــــــل

◆ ◆ ◆

ســأل الرمــل وقالــت زهـــرات

أي ســـار ســبقته العـــبرات ؟

◆ ◆ ◆

أنــا صــداحك يــا وادي الجـــلال

نـــــم ودعنـــــــي

أبـــصر الـــدنيا بعينـــي وخيـــالي

فــــــــــأغني

◆ ◆ ◆

أخــذتني نــشوة الــساري الغريــب

وتنبهـــت عـــلى صـــوت الغـــروب

◆ ◆ ◆

وتمهلـــــت لعـــــلي أســـمع

رجعـــــة الهمـــــس البعيـــــد
وتأملــــت وعينـــــي تـــــدمع
صـــــور العهــــد العهيــــد
وجـرى في أدمـع الـذكرى شراعـي

◆ ◆ ◆

حـاول شـاعرنا أن تغنـي أم كلثـوم هـذه الأنـشودة الرائعـة ولكنـه أخفـق في محاولته .



وكان هناك عامل جديد حبب لـشاعرنا الإقامـة في الأقـصر في تلـك الحقبـة بعد أن روض روحه على التصوف بين معابدها الخالدة ...

لقد مر بتجربة عاطفية عنيفـة انتهـت بـالفراق ... فلجأ إلى الأقـصر « منفـاه المحبـب » مـن القـاهرة لينـسى جـراح قلبـه وليغـرق أحزانـه بـين معابـد الأقـصر ولياليها الحالمة ....

ويـصور شـاعرنا أحاسيسه بعـد هـذه التجربـة العاصـفة ، فيقـول في رسـالة شجية له لصديقه الحميم أنور أحمد [1]:

« ولقـد رجعـت إلى منفـاي مختـارا طائعـا لا ألـوي في طريقـي عـلى شيء ، وعكفت على مكتبي أنفق فيه سحابة النهار وشطرا من الليل ، كما أفعل الآن » .

« وماذا أصنع بهذه الصورة التي تطارد ذهني في اليقظة والكرى ؟ » .

« وماذا أفعل بهذا الخافق الوثاب الذي لا يقر ولا يهدأ ؟ » .

« وماذا أفعل بهذه الذكريات الموجعة التي تحف ظلالها بطريقي على الدوام؟

« ولمن أشكو هذا كله ، وأنا إنسان وحيد في هذه الدنيا ، مثلي كمثل الشجرة اليانعة الثابتة في جوف صحراء جدبية موحشة مقفرة من كل كائن حي ؟

---

(١) تاريخ هذه الرسالة ٩ سبتمبر عام ١٩٤١م ، وقد اطلعت عليها عند الأديب أنور أحمد .

وكان يقضي جل وقته - في الليل - بين معابد الأقصر الخالدة ، وكان يحلو له ذلك أثناء الليالي المقمرة ، وذات ليلة من تلك الليالي الشاعرية الحالمة استوحى من تلك المعابد أروع قصائده الوصفية التصويرية « أنشودة الكرنك » التي يغنيها الموسيقار محمد عبد الوهاب والتي يقول في مطلعها » .

حلم لاح لعين الساهر وتهادى في خيال عابر
وهفا بين سكون الخاطر يصل الماضي بيمن الحاضر

ثم أخذ يسعى لينقل إلى القاهرة .. وأخيرا أفلح في أن ينقل إلى الفيوم عام ١٩٤١ - وهي قريبة من القاهرة - مدرسا بمدرستها الصناعية . وعاش بين جمال طبيعتها وسحرها حيث النخيل والأعناب والسواقي السبع تحوطها عيون « السلين » وعيون « الفديمين » و « الحدائق المعلقة » و « بحيرة قارون » واستوحى من جمال الطبيعة وسحرها عدة قصائد رقيقة ، استوحى من وحي سواقي الفيوم قصيدته « صوت السنين » التي تتسم بجمال اللفظ ورقته وحسن صياغة الكلمات والموسيقا الهامسة يقول فيها :

أي سحر بعثت شمس الأصيل في ضياء شاحب اللون خجول
ونسيم واهن الخطو عليل راح يلتف بأعناق النخيل

واستوحى أيضا قصيدته « من وحي الصحراء » التي تفصح عن نفسية قلقة حزينة مفتاحها : الاغتراب الروحي وتتسم برقة اللفظ وجمال المعنى وبساطتها :

ظمئت ، على قربي ، من النهل والعل فهل عاف عذب الورد ظمآن من قبلي
وضقت بليلي ، ساهدا ، ولو انني تعزيت لم أشك السهد في ليلى
وغشت حياتي وحشة ليس ينتهي مداها ودوني سائر الأهل

الاغتراب الروحي

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة جديدة وفريدة في حياة شاعرنا .. كان شاعرنا قلقا دائما حزينا لا يستقر على حال ، يعذبه شعوره « بالاغتراب الروحي » ، فهو دائما يشعر بغربة روحية ، لم يجد الاستقرار والأمان في المرأة أو الكأس أو الشهرة أو المال !

وكانت الحرب العالمية الثانية قائمة في تلك الحقبة ، فانضم لقوات الحلفاء وأخذ يندد بقوات المحور ويرحل إلى الميدان ويودع محبوبة العمر في الفيوم بقصيدة رقيقة يقول فيها :

أغاريد من ذكرى هواك وأنغام
تعود ، فهل عادت ليال وأيام ؟
هنا .. كان لي قلب سعيد ومرتع
رضى ، وآمال حسان وأحلام
وكان هوانا يملأ الرحب بهجة
يصورها في صفحة الكون رسام

ويصبح شاعرنا ضابطا بقوات الحلفاء في الصحراء الغربية المصرية .. ولكن كيف حدث هذا ؟ ..

إن شاعرنا يلقي بنفسه الأضواء على هذه الحقبة من حياته في رسالة أدبية ممتعة .

وبالمناسبة فإن هناك رسائل أدبية تعد قطعة من الأدب الرفيع بعث بها شاعرنا إلى الأديب أنور أحمد الذي قام بدور الزعيم مصطفى كامل في الفيلم السينمائي بهذا الاسم . وقد أتاح لي المرحوم أنور أحمد الإطلاع على هذه الرسائل حوالي عام ١٩٧٤ ونسخت معظمها .

ورسالة أحمد فتحي التي بعث بها من ميدان الحرب في الصحراء الغربية عام ١٩٤٣ تفصح عن نفسية حزينة قلقة تحاول أن تجد في ميدان الحرب ملاذا ومهربا من الشعور بالغربة الروحية وتبين الرسالة مدى شعوره الحاد بالغربة الروحية ومدى إحساسه بالقلق وعدم الاستقرار يقول :

« أنت تدري أنني رجل لا سبيل للمال إلى استمالته .. ولكن حدث أنني سعيت إلى الشهرة سعى المجد . وطلبت المجد ، طلب الملحاح ، وبذلت في سبيل ذلك من نضرة شبابي ونور عيني ..

« فلما بدأ نجمي يتألق في سماء المجتمع ، وأقبلت على الشهرة إقبال المشوق ، كان ما تبقى في النفس ذماء لا يكاد ينتفع بالحية في جملتها ولا في تفصيلها ..

« فقدت نصف قلبي منذ ثلاثة أعوام ، وفقدت نصفه الباقي منذ أيام .. و ..

صار جدا ما لهوت به | رب جد جره لعب

« ولقد فزعت إلى الشراب هربا من مواجعي وعذاب دنيي ، فما زادني إلا ضعفا عن احتمال الحياة ومواجهة متاعبها ، وعادت العلة ـ علة الجسد ـ تزيدني من يقظة جراح قلبي ، وأصبحت حياتي كلها مقاساة ونكرا .

« وتلفت حولي ، فإذا أنا .. ولا ناصر ولا معين .. وإذا مثي كمثل الكسرة من الخبز العفن . ملقاة في عرض الطريق ، إن وجدت تقيا يرفعها إلى جانب الحائط فإنها لن تجد من يأكلها بأية حال .

« قلت لنفسي : لعلنا نصطنع لنا وطنا جديدا وعملا جديد ، وآفاقا جديدة، يرتع في ظلالها الإحساس الجريح والخيال مهيض الجناح ، ولعل تغيير الجو المحيط وتبديل الوسط وتجديد المعالم .. لعل ذلك كله أن يعين على طي صفحة الماضي بخيره وشره ، بل بشره وحسب ، فما كان فيه من خير قط .

وفي بضعة أيام أبرمت الأمر ، وعقدت العزم على الرحيل ، لم أشاور أحدا ولم أستأنس برأي أحد ، بل استخرت الله في المضي ، وحضرت رحلي أطياف الشباب من أماني شاحبة غامت في عبرات الأسف على ما ضاع من ضحوة العمر ونضرة الشباب ، ورحلت وأنا لا أدري إلى أين ؟

ولست أدري حتى الساعة ماذا يراد بي ، فإن كان خيرا فقد أسلفت من الصبر والتجمل ما يثبت حقي في أن أنعم بما بقي لي في صحبة الحياة من خير . وإن كان شرا ، فقد :

تعودت مس الضر حتى ألفته | وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

◊◊◊

بعد هذه المرحلة ـ وبفضل مساعي صاحبه سعيد لطفي ـ مدير الإذاعة المصرية يومئذ ـ عين مذيعا ومترجما بالإذاعة البريطانية بلندن ، وسط أزيز الطائرات ودوي القنابل في عنفوان الحرب العالمية الثانية حوالي عام ١٩٤٤ .. ووسط ظلام لندن الحالك في تلك الحقبة المظلمة وجوها الرهيب القاتم حاول أن يدفن أحزان روحه وآلام نفسه في الكأس والمرأة ، فأثر ذلك في عمله خاصة أنه كان بوهيميا يعيش منطلقا لا يحب أن يقيد نفسه بعمل معين أو مواعيد ثابتة ، ومرجع هذا أيضا الإحساس الحاد بالاغتراب الروحي الذي من أهم آثاره على شاعرنا الانطلاق وعدم التقيد بقيود ما ..

ويروى صالح جودت صفحة مجهولة من حياة أحمد فتحي في ديار الغربة بلندن في تلك الحقبة فيقول :

«على أن لندن قد حملته ذكرى ظل يدمع لها بقية حياته .. لقد أحب هناك .. أحب شابة إنجليزية اسمها « كارول » وهي من بنات الطبقة المتوسطة ، وكانت تشتغل كاتبة على الآلة الكاتبة ، وتزوجها ، ورزق منها طفلة « جوزفين » .. وكان قد تعود أن يفرط في الشراب . فلا يفيق منه ، وهكذا لم يستطع أن ينهض بتكاليف الحياة الزوجية . وجاءه النذير حينما رفضت السلطات الانجليزية أن تجدد إقامته هناك ، فكان عليه أن يرحل ، ويترك زوجته وابنته خلف ظهره ، ويبحث عن أي مصير .

كانت هذه مأساة المآسي في حياة أحمد فتحي ولم ير ابنته التي بدل اسمها إلى «عائشة» بعد ذلك إلا مرة واحدة وهي في مطالع صباها قبيل وفاته ببضع سنوات (حوالي عام ١٩٥٥) ثم انقطعت أخبارها عنه حتى توفي دون أن يراها مرة أخرى .

تأتي بعد ذلك مرحلة عمله في الإذاعة السعودية في بداية خمسينيات القرن العشرين .. فقد استقدمته الشاعر الرقيق الأمير عبد الله الفيصل صاحب ديوان « وحي الحرمان» للعمل بالإذاعة السعودية في مدينة «جدة» ، وعمل شاعرنا هناك لفترة استطاع خلالها أن يدخل تغييرات هامة وتجديدات قيمة في برامج

الإذاعة وأن يشارك في النهضة الأدبية بالسعودية ثم لم يلبث أن عاد إلى القاهرة في أواسط الخمسينيات .

وظل يحرر في بعض المجلات والصحف خاصة في صحيفتي «الشعب» و«الأهرام» ينشر فيها مقالات وقصصا مترجمة قصيرة وبضع قصائد وسعد قبيل وفاته بقليل بغناء كوكب الشرق لقصيدته « قصة الأمس » .

شاعر قصة الأمس !

كانت في حياة أحمد فتحي قصة حب كبيرة .. ألهمته أجمل قصائد الحب وأعذبها في سنواته العشر الأخيرة كان حبا تحوطه الأشواك من كل جانب ، فقد أحب امرأة متزوجة .. وكان حبا عنيفا عاصفا دام بين مد وجزر لعشر سنوات كاملة ضاربين عرض الحائط بكل العقبات والأشواك التي تعترض حبهما العاصف وأخيرا تغلب منطق العقل على صوت القلب والعاطفة ، فطلبت منه محبوبته الافتراق ، وافترقا وملء قلبيهما اللوعة والأسى ..

وعكف بعد هذه التجربة العاصفة في حجرته بالفندق يسترجع ذكريات هذا الغرام الجميل ويحاول أن يدفن أحزانه في الكأس ساهرا الليل لا رفيق إلا الكأس والمصباح والذكريات التي تؤرقه وتضنيه .. واستلهم قصيدته الوجدانية الرائعة « قصة الأمس » التي تنبض بالحرارة والصدق وحرقة الوجد من وحي هذه التجربة التي صهرته بالعذاب والتي يقول في مطلعها :

أنا لن أعود إليك مهما ... استرحمت دقات قلبي
أنت الذي بدأ الملالة ... والصدود وخان حبي
فإذا دعوت اليوم قلبي ... للتصافي فلن يلبي

ثم يسهر شاعرنا واللوعة ملء جوانحه مع جراحه وشجونه وحيدا ، ولا يجد أنيسا له إلا المصباح والذكريات :

يسهر المصباح والأقداح ... والذكرى معي

وعيـــــون الليــــــل يخبـــــو   نورهـــــــا في أدمعــــــــي

وتمر لياليه طويلة ممضة مفعمة بالجراح والأحزان :

قصة الأمس أناجيها وأحلام غدى   وأماني حسانا رقصت في معبدي
وجراح مشعلات نارها في مرقدي   وسحابات خيال هائم كالأبد

وظل أحمد فتحي « شاعر الجراح والمصباح والأقداح » يحمل لهذا الحب أجمل الذكريات وأعذبها حتى آخر نسمة في حياته .

ولعل صديقه الشاعر السفير أحمد عبد المجيد قد أصاب عين الحقيقة حين قال : إن من شاء أن يقرأ قصة أحمد فتحي ، ويقف على دخيلة نفسه ، ويكشف عن معدن روحه ، ويقوم بتقييم شعره وذوقه وخياله ، فليقرأ أو ليستمع إلى سيدة الغناء العربي « أم كلثوم » وهي ترتل قصيدته « قصة الأمس » فهذه القصيدة ، هي أحمد فتحي وهي روحه وذوقه الفني ، وكبرياؤه واعتداده بنفسه وتعاليه على كل إغراء يقوده إلى المهانة والهوان !

لقد لخص حياته في قوله في هذه القصيدة : يسهر المصباح والأقداح والذكرى معي لقد كان الليل والقدح والذكرى يشقيها البهيج والمكتئب ، هي كل حياته!

من كل ما أحاط بأحمد فتحي من ضن النصيب وغدر الحبيب ، ووهن البدن وتوالي الحرمان ، تسلل إليه اليأس من الحياة ، والعمل غير الواعي على الانتهاء من أيامها بالانصراف إلى لياليها ، وما فيها من مضنيات وعلل ، ولذاذات لمن كان ذا أمل !

انصرف إلى الكأس وتفرغ لها ، حتى نالت من صحته بأكثر من القدر الذي كان يبغي كان ضيقه بالحياة والشكوى من نصيبه ومن قدره ومن حرمانه يمتلئ بها شعره حتى في عشقه وفي صباباته وفي نجواه وأناشيده وأغانيه !

وكانت مأساة أحمد فتحي أنه لم يستطع أن يقيم توازنا بين أحلام قلبه وواقعه .. وكان دائما لديه إحساس حاد بالاغتراب الروحي ، فعاش قلقا حزينا مشردا في الأرض لا زوجة له ولا ولد ، ولا مال ولا صديق وفي . لا ترى حوله أن شقى أو مرض أحدا من ذويه ، ولا صاحب إلا الكأس ، يرشفها في نشوة وتصرعه في قسوة .

وكانت له قلة من الأصدقاء انتقاهم بدقة وآثرهم بخلجات نفسه منهم : أنور أحمد ، ورياض السنباطي ، وصالح جودت وأحمد عبد المجيد . وعاش هذا « الطائر الجريح » يتنقل من مكان لمكان ومن روض إلى ررض دون أن يجد للراحة سبيلا أو للاستقرارمعنى ومن هنا كانت مأساته ..

ويرسم صورة دقيقة لا حساسه الحاد بالاغتراب الروحي فيقول : «إن تنشئتي الموحشة قد ملأت قلبي ظمأ إلى أنس المجتمع ، ومباهجه السافرة .

«كانت أيام شبابي الأولى ضروبا من الوحدة والضعف والألم ، وليس معنى هذا أنني كنت أحيا بمعزل عن سائر خلق الله . كما تحيا الشجرة النابتة في جوف الصحراء ، ولا معنى ذلك أنني نشأت مهيض الجناح معقل لبدن ، ولا أنني كنت أعيش في بوتقة تنصهر فيها الدموع . كلا ... ولكنني كنت في محيط أشعر في أعماقي أنه لا يمنحني من الحب بعض ما أمنحه . وأرجو أن يمنحني ، وكان هذا يشعرني دائما بأنني ضعيف بمن حولي .. فما كان بوسعي اعتبارهم قوة أصمد بهم في وجه الأيام .

«وكان هذا الشعور يجعل حياتي معرضة لأحزان طائفة تغشى لحظات سعادتي ، على قلتها» .



من هنا كانت مأساة أحمد فتحي .. هرب إلى المرأة والكأس والسفر يحاول

يجد فيها ملاذا من أحزان روحه وآلام روحه فتحطم .. وكانت مأساة شاعر الكرنك ..

وكما عاش أحمد فتحي وحيدا ، مات وحيدا .. في الغرفة التي قضى بها أعوامه الأخيرة بفندق كارلتون بالقاهرة ودفن بمقابر الإمام الشافعي .. رحل شاعرنا في الثالث من يوليو سنة ١٩٦٠ وملء قلبه الحسرة والمرارة والأسى .. وعلى شفتيه همسة حزينة شجية :

ماذا أفدت بأشعاري وروعتها ... إلا علالة تخليد لآثاري
وما الخلود بميسور لعارية ... إلا الحبيبين : أقلامي وأشعاري



مختارات
من شعر أحمد فتحي

▪▪▪▪

كنّا نسينا ....

« أيهذا الجرح القديم ، اليقظان ، أما آن أن تنام ؟! » .

يـــا قلـــب : كنـــا نَـــسينا
كنـــا نَـــسينا ، نَـــسينا

كنــــا قنعنــــا بحــــال
مـــن الأســـى ، ورضـــينا

نـــرَى الغـــرامَ متاعـــاً
لغيرنـــــا ، زاهـــــدينا

ونـــصرف الحـــسنَ عنـــا
نخـــاف يرغـــب فينـــا !

ونـــؤثر الـــصمت إلا
تـــذكراً ، وحنينـــــاً

كنـــا طرحنـــا صـــبانا
ولهـــوَه ، والفتونـــا

نفـــرُّ مـــن ظـــل مـــاض
أقـــام شـــجواً دفينـــا

ولا نـــضيق بأنـــا
دون البرايـــا شـــقينا

❖ ❖ ❖

يـــا قلـــب كنـــا نَـــسينا
فهـــل ترانـــا نـــسينا ؟!

كنـــا حـــسبنا هوانـــا
مـــضى مـــع الـــذاهبينا

فيـــا لنـــا قـــد رجعنـــا
نـــشكو جـــراح الـــسنينا

نفنـــي الليـــالي ســـهادا
ولوعـــــةً ، وظنونـــــا

ونـــسكب الـــروح ، لحنـــاً
موقّعـــــاً ، ورنينـــــا

ونبعـــث الآه تـــسرى
عـــلى الوجـــود ، شـــجونا

ونتفـــق العمـــرَ شـــوقاً
مفزّعـــاً ، مجنونـــا

يُغفـــى فنـــسلوه حتـــى
يفيـــق ، حينـــاً ، فحينـــا !!

أنشودة الكرنك (*)

حلمٌ لاح لعين الساهرِ ... وتهادى في خيالٍ عابرِ
وهفا، ملء سكون الخاطر ... يصل الماضي بيُمن الحاضرِ

❖ ❖ ❖

طاف بالدنيا شعاعٌ من خيالي ... حائرٌ يسألُ عن سرِّ الليالي
يا له من سرها الباقي وبالي ... لوعة الشادي، ووهمُ الشاعرِ

❖ ❖ ❖

كيف لا يدري إلى أين الشعاع ... وأماسيه لقاء ووداع
وخطاه في السبيلين مَتاع ... راحة المضني، وَهذى الحائرِ

❖ ❖ ❖

صحَت الدنيا على صبح رطيب ... وصغى المعبد للّحن القريب
مُرهفاً، ينساب من نبع الغيوب ... ويغاديه بفن الساحر

❖ ❖ ❖

حين ألقى الليل للنور وشاحه ... وشكا الطل إلى الرمل جراحه
يا ترى هل سمع الفجر نواحه ... بين أنداء النسيم العاطرِ

❖ ❖ ❖

ها هنا الوادي، وكم من ملك ... صارع الدهر بظل الكرنك
وادعاً يرقب مسرى الفلك ... وهو يستحيي جلال الغابر

❖ ❖ ❖

أين يا أطلال جند الغالب ... أين آمون، وصوت الراهب .!؟
وصلاة الشمس، وهمي طارَبي ... نشوةً، تزري بكرم العاصر

❖ ❖ ❖

أنا هيمان ويا طول هيامي ... صور الماضي ورائي، وأمامي

(*) أنشودة الموسيقار محمد عبد الوهاب .

هـي زهـري ، وغنـائي ، ومـدامي وهـي في حلمـي جنـاح الطـائر ...

◆◆◆

ذلـك الطـائر مخـضوب الجنـاح يـسعد الليـل بآيـاتِ الـصباح
ويغنـــي في غــدوٍ ورواح بـين أغـصان وورد نـاضرِ

◆◆◆

في ريـاض نـضّر الله ثراهـا وسـقى مـن كـرم النيـل رباهـا
ومـشى الفجـر إليهـا ، فطواهـا بـين أفـراح الـضياء الغـامرِ

◆◆◆

حلـم لاح لعـين الـساهر وتهـادى في خيـال عـابر
وهفـا مـلء سـكون الخـاطر يـصل المـاضي بـيمن الحـاضر



فجر (*)

■■■■

كل شيء راقص البهجة حولي هاهنا ... أيها الساقي بما شئت اسقنا ، ثم اسقنا
واملأ الدنيا غناءً ، وبهاء ، وسنا ... نسيَتْنا ، لمَ لا ننسى أغاريد المنى ؟!

علنا أن نعرف النوم هنا أعيننا ..

❖ ❖ ❖

ذهب الأمس ، بما راع ، ويومي نهبا ... يسرع الليل فراراً ، من هتافات الربى
وجبين الغد يلقى ، عن سماه الحجبا ... باعثاً في جانب الأفق بشيرا محسنا

تسبق النورَ خطاه ، قبلما يبدو لنا

❖ ❖ ❖

رُدَّ كأسي عن فمي يا أيها الساقي ودعني ... وأرِقْ من نشوة الراح ومن حلم التمني
كلّ ما مرَّ بنا وهمُ خيالٍ وتمنٍّ .. ... حسبنا وهماً ، وحلماً ، وخيالاً ، حسبنا

أقبل الصبح ، فهل تدري بماذا جاءنا؟!

❖ ❖ ❖

آه من قلبي وما يعتاده من ذكريات ... أبدا يشقى بماض من رُؤى العمروآت
لا أنا أسلو أمانيّ ولا الحظ يواتي ... يا نديمي لاحت الشمس فقم وامضِ بنا

فلعل الدهر أن يغفل عن موكبنا ..



(*) تلحين وغناء الموسيقار رياض السنباطي .

حديث عَينيْن (*)

■■■■■

يـــا لعينيـــك وبـــالى ... مـــن تـــسابيح خيـــالي ..!

فـيهما ذكـرى مـن الحـبِّ ... ومـن سـهد الليـالي

عـبراتُ الأمـلِ المـسحو ... رِ في دنيـا الجـمالِ

وشحوبٌ من ضنى اللوْ ... عـة والـسقم بـدا لي

وسـؤالٌ يعـبرُ الأفْـ ... ـقَ إلى رَدِّ الـسؤال

وحـديثٌ طـالَ في صحـ ... ـبةِ أيـام طـوالِ

وذهـولُ الـشاعرِ الهـا ... ربِ مِـن حلـم وصـال

وشـقاء الـروح يـسمو ... نحوهـا طيـف مـلال

وصراع في هـدوء ... وعتـاب في دلال

وعـذاب كعـذابي ... يـا لعينيـك وبـالي !!



(*) أهداها الشاعر إلى أسمهان في مارس ١٩٣٨ ثم غنتها أسمهان بألحان رياض السنباطي).

همسات (*)

أنا همْسُ الحبِّ في سمع الوجودِ   فاسمعيني !
كلما طاف بواديك نشيدي   يمسح الأدمُع عن ورد الخدودِ
وهو نشوانُ الخطى غير سعيدِ   يبعث الشجوَ عن أفق بعيد
أفقِ صحراء فقدنا في أماسيها غدا   كل ما فيها ضباب وسراب وصدى
وأنا حلمٌ بأجفانِ الليالي   فانظريني !
كلما عاتبَ عينيك خيالي   وشكا طول التجنّي والدلالِ
وهو يقظانُ الأماني غيرُ سال   يسبق العُمر إلى يوم الوصال

يوم ألقاك ، وهل أخلف قلبي موعدا ؟!
آه لو كان بعمري يوم حبي يفتدى

◆ ◆ ◆

وأنا ذكرى شباب وأماني   فـ[illegible]ي !
كلما ناداك قلبي في حنان   وتغني بجراحي وافتتاني
وهو بالأدمع سَلسال الأغاني   ينشر الآهاتِ في كل مكان

في عيون الزهرِ من آهاته دمع الندى
وبأنغام أساه هاتف الدوح شدا

◆ ◆ ◆

وأنا طيف عذاب وشجونِ   فارحميني !
كلما فاضت بكفيكِ عيوني   تطفئ الغلةَ بالدمع الهتون
وهي حيرَى بين قلبي وظنوني   تكشف الأستارَ عن سري الدفين

ليتها في الليل تَلقى ، يا غرامي مُسْعِداً
آه ما أشقى الليالي ، ذهب العمر سدى

(*) تلحين وغناء الموسيقار رياض السنباطي (أكتوبر ١٩٤٠) .

أنـا همـس الحـب في سَـمع الوجـود فاسـمعيني !..

وأنـــا حلـــمٌ بأجفـــان الليـــالي فـــانظريني ! ..

وأنـــا ذكـــرى شـــباب وأمـــاني فـــاذكريني ! ..

وأنـــا طيـــف عـــذابٍ وشـــجون فـــارحميني ! ..



نداء الغروب

«من وحي وادي الملوك»

■■■■

عـــادت الطـــيرُ إلى أغـــصانها ... تتغنَّى ..
حـــين ذاب النـــورُ في ألحانهـــا ... وتثنَّى ..
وجـرى في أدمـع الـذكرى شراعـي مُـذْ دَعـاه مِـن فـم الأجيـال داع
وكـسا النيـلَ وشـاحُ الـذهبِ ... في الأصيلِ ..
وروى المـوجُ حـديثَ الحقـبِ ... للنخيل ..

❖ ❖ ❖

طـاف بي همـس بعيـد كالنـداءِ أيها الساري على غير اهتداءِ ...
قف تأملْ ... هاهنا وادي الخلودْ !!
وتمهلْ ... كلّ مَن فيه رقودْ !! ..
لا تنبِّـهْ أعينـاً طـال كراهـا ... سحرُها صان على الدهر حِماها
أين منك الفنُّ والمجد العريقُ ... قف تمهل ..
فسحةٌ مِن أمل الوادي وضيق ... فتأملْ ..
سأل الرمل ، وقالت زهرات .. أيُّ سارٍ سبقته العبراتُ ؟ ..
أنا صدّاحك يا وادي الجلالِ ... نَمْ ودعني ..
أبصرُ الدنيا بقلبي وخيالي فأغني ..

❖ ❖ ❖

أخذتني وحشةُ الساري الغريب وتنبهتُ على صمتِ الغروبِ
وتملـــتُ ، لعـــلي أســـمعُ رجعـــةَ الهمـــس البعيـــد
وتأملــت ، وعينــي تــدمع صـــورَ العهـــد العهيـــدِ

وجرى في أدمع الذكرى شراعي !! ..

الأيّامُ (*)

أغاريدُ مِن ذكرى هواكِ وأنغامُ
تعود ، فهل عادت ليالٍ وأيامُ

هنا كان لي قلب وفيٌّ ، ومرتع
رضيٌّ ، وآمال حسانٌ ، وأحلامُ

وكان هوانا يملأ الرُّحب بهجة
يصوِّرها في صفحة الكون رسام

تسابق فيكِ المغرمون ، وقسمتْ
حظوظ ، فمظلوم لديك وظَلّام

تخلف قلبي في الزحام ، وخانني
إلى نبعك المورود صبر وإقدام

وأقبلت في ضعف الغريب ، بِذلّه
أغالب دمعي ، وهو بالوجد نمّام

لقيت الروابي ضاحكات ، كعهدها
كأن لم تَرُعْها مِن غيابك آلام

وفي كلِّ شيء هَهُنا منكِ فكرة
ومِلءُ خيالي منك وحيٌ وإلهامُ

◆◆◆

يخيَّل لي أني أراك ، وأنني
تُصافحُ سمعي من حديثِك أنغامُ

فأغفو على وهم اللقاء ، سويعةً
وأصحو ، وما بيني وبينك أعوام

هنيئاً لك الدنيا ، فإن خواطري
إذا هبطت آفاقَ دنياك ، آثام

وما دام في بعدي لقلبك راحة
فلا خطرتْ بي في رحابك أوهام !

(*) تلحين وغناء المطربة اللبنانية «لورد دكاش».

أنت(*)

■■■■

سَألَتني عنكَ أشواقي وأحلام سهادي
وأمانيٌّ التي تصحبني في كل واد ...
وخيالاتي ، وما أكثر ما تغشى فؤادي ...

◆◆◆

أنتَ في عيني ضياءٌ لا ترى عيني سواه
كلما أشرقت حيّاني شعاع مِن سناه
تبعث الفرحةَ والنشوةَ في روحي خطاه ...

◆◆◆

أنتَ في سمعي نشيد قدسيٌّ النغَم
كلما طاف بآفاقي توارَى ألمي
وتناسيت نواحي ، وجراحي ، ودمي ...

◆◆◆

أنتَ في قلبيَ معنىً سرُّه الباقي مصون
يملأ الدنيا ولا تدرك مرماه العيون
لو يقولون عرفناه ، فوهمٌ ، وظنون ...

◆◆◆

أنت في عيني ، وفي سمعي ، وفي قلبي ، مقيم
ابداً أشدو بذكراكَ وأصبو وأهيم
هيَ في بعدك الحاني ، وكأسي ، والنديم

◆◆◆

(*) تلحين وغناء محمد صادق .

إليها
« إلى عذراء القاهرة : بعد الفراق »

■■■■

سَـألتني : كيـف تـسترحم قلبـاً في يـديكا — يـا صـفيَّ الـروح ، يـا منيتهـا ، هـوِّن عليكـا

لم يـزل صـوت وفـائي هامـساً في أذنيكـا — وإليك الشوق في البعد ، وفي القرب ، إليكـا

❖ ❖ ❖

كيـف أنـساك ، وقـد طـاف الهـوى أمسِ علينـا

فـشربنا صـفوه حتّـى روينـا وانتـشينا

ونـسجنا حولنـا الأحـلامَ مِـن وَشـيِ يـدينا

❖ ❖ ❖

أنـا يـا منيـةَ روحـي وفـؤادي وصِـبايا — شـاعر حـيرانَ في دنيـا خيـالي ومنايـا

كلـما طافـت بقلبـي ذكريـاتٌ مِـن هوايـا — سـبق الـدمع إلى جفنـي ، وغّنيـت أسـايا

❖ ❖ ❖

أنشودَة هائمة

« من وحي الريف »

■■■■

هامتْ أغاريدُكَ بين الغصونْ
يا هاتفَ الدوح
يا شاكي السهدِ
وغامت الآفاقُ ملءَ العيونْ
في أدمع النوح
يا ناعس الوردِ
ونامت الدنيا وراء السكون
في غفوة الجرح
إلا أنا ، وحدي
ها أنا سهران لا تغفو جراحي
تصل الليلَ شجوني بالصباح
فإذا الفجر بدا ورأت عيني غدا
بسناه والندى
ودّعتْ عينيَّ أحلام سهادي
وتنبهت على شجو فؤادي

❖ ❖ ❖

طافت بروحي نسمات الخميلْ
ريانة النفح
تَسبح في النورِ
كأنها أطيار وادٍ ظليلْ
تشدو مع الصبح
في سمع مهجور
ولاح لي وجهُ وضيءٌ جميلْ
يسعد باللمح
أجفان مسحورِ
وأنا حلم بأجفان حياتي
شاحب الوجنة ساهي النظرات
كلما قلبي دعاني وتجنَّى فطواني
في خيالات الأماني
ودَّعتْ عينيَّ أحلامُ سهادي
وتنبهت على شجو فؤادي

❖ ❖ ❖

قصة الأمس

■■■■

أنا لن أعود إليك مهما
استرحمت دقات قلبي
أنت الذي بدأ الملالة
والصدود وخان حبي
فإذا دعوت اليوم قلبي
للصفاء فلن يلبي

◆◆◆

كنت لي أيام كان الحب لي
آمل الدنيا ودنيا أملي
حين غنيتك لحن الغزل
بين أفراح الغرام الأول

◆◆◆

وكنت عيني وعلى نورها
لاحت أزاهير الصبا والفتون
وكنت روحي هام في سرها
قلبي ، ولم تدرك مداه الظنون

◆◆◆

وعدتني ألا يكون الهوى ما بيننا
إلا الرضا والصفاء
وقلت لي إن عذاب النوى
بشرى توافينا بقرب اللقاء

◆◆◆

ثـــم أخلفــــت وعـــودا
طـــاب فيهــا خـــاطري
هـــل توســـمت جديـــدا
في غـــــرام نـــــاضر

◆ ◆ ◆

فغرامـــــــي راح
يـــا طـــول غرامـــي إليـــه
وانـــــشغالي في ليـــــالي
الـــسهد والوجـــد عليـــه

◆ ◆ ◆

كـــان عنـــدي ولـــيس بعـــدك عنـــي
نعمـــة مـــن تـــصوراتي ووجـــدي
يـــا تـــرى مـــا تقـــول روحـــك بعـــدي
في ابتعـــادي وكبريـــائي وزهـــدي

◆ ◆ ◆

عـــش كـــما تهـــوى قريبـــا أو بعيـــدا
حـــسب أيامي جراحـــا : ونواحـــا ووعـــودا
وليـــالي ضـــياعا ، وجحـــودا
وعنـــاء يـــترك القلـــب وحيـــدا

◆ ◆ ◆

يـسهر المصباح والأقـداح والـذكرى معي
وعيـون الليـل يخبـو نورهـا في أدمعـي
يالـــذكراك التـــي عاشـــت بهـــا
روحـــي عـــلى الـــوهم ســـنينا

ذهبـــــت مـــــن خـــــاطري إلا
صـــدى يعتـــادني حينـــا فحينـــا

◆◆◆

قـصة الأمـس أناجيهـا وأحـلام غـدي
وآمـــاني حـــسان رقـــصت في معبـــدي
وجــراح مــشعلات نارهــا في مرقـــدي
وســـحابات خيـــال هـــائم كالأبـــد

◆◆◆



صالح جودت

بين سهـا وزهـور الحب!

أجـــل أنـــت فاتنـــة .. إنـــما
أرى عـــزة الـــنفس لي أفتنـــا
وإن كـــان عنـــدك ســحر الجـــمال
فــسحر الرجولــة عنــدي أنـــا
وإن كثـــرت في هــواك القلـــوب
فــإن الــشباب سريـــع القنـــا

صالح جودت



صالح جودت

شاعر العيون الزرق والشعر الذهب !

■■■■

صالح جودت أحد أبرز شعراء جماعة أبولو ؛ حيث يشترك مع مجايليه على محمود طه وإبراهيم ناجي والهمشري في إرساء سمات التجديد في شكل ومضمون القصيدة ، وذلك الجرس الموسيقي الجذاب ، وتنوع الصور الشعرية ، وتلك الروح الرومانسية التي تغلف شعر تلك الجماعة وإن تفاوتت درجاتها من شاعر إلى آخر .

وكانت لصالح جودت حكايات مع الشعر والنغم والحب والجمال !

بين استانبول والقاهرة :

كان ذلك في تركيا ..

كان رب الأسرة « جودت باشا » أديبا لامعا وسياسيا محنكا يجيد أكثر من لغة يكتب بها ، وكما قال عنه معجم « المنجد» بالحرف الواحد [1] :

« جودت باشا (١٨١٣-١٨٩٤) ولد في لوفجة من ولاية الطونة ، وزير عثماني ألف بالعربية والتركية والفارسية . من كتب « تاريخ جودت » ترجمه عن التركية عبد القادر الدنا وفيه أحوال الدولة العثمانية ولا سيما أخبار الانكشارية».

هذا هو جودت باشا .. رب تلك الأسرة العريقة التي نزح بعض أفرادها إلى مصر واستقروا فيها واتخذوها وطنا لهم وأصبحوا من أخلص أبنائها وأوفاهم وكافحوا من أجل حريتها وعزتها .. ولذلك قصة طويلة ..



---

(١) المنجد ـ معجم الأعلام ـ بيروت ص١٤٤ .

كان إسماعيل جودت ـ نجل جودت باشا ـ أحد أحرار الترك الثوار .. وكان خطيبا مفوها وأديبا قديرا ووطنيا ثائرا ينظم الشعر بالتركية والفرنسية ، وقد لعب دورا بارزا في مقاومة السلطات التركية في بلاده فاضطهد ولاحقته السلطات بشتى ضروب الاضطهاد والتشريد والعنت .

وكانت مصر دائما وستظل موئل الأحرار الثائرين ، فشد رحاله إليها ، واستقر بها واتخذها وطنا له ، وكان متزوجا آنذاك من سيدة تركية ، وبرغم أرومته التركية فإنه أحب مصر بعمق وصدق وأسهم مخلصا في الكفاح من أجل حريتها وعزتها ..

واشتغل إسماعيل جودت بالمحاماة ..

وعندما نشبت الثورة العرابية (١٨٨٠-١٨٨٢) انفعل بها وشارك في أحداثها ولعب دورا بارزا وفعالًا في مقاومة الخديو توفيق والانجليز ، وثار على المظالم وعلى الاحتلال الإنجليزي وطالب بحرية مصر وسيادتها ..

ولكن القوى الاستعمارية والرجعية تألبت على تلك الثورة القومية الدستورية فشاء الله أن تخذل ، وقبض على الثواز الأحرار .. وسيق إسماعيل جودت إلى المحاكمة ، ثم قضى عليه بالنفي إلى ولاية النيل الأبيض بالسودان لمدة ثلاث سنوات [١] .

ولكن السلطات الحاكمة آثرت أبعاده إلى تركيا ليكون تحت العيون والأرصاد خشية أن يثير ثائرة الناس في السودان على الإنجليز والخديو والأتراك فنفى إلى استانبول .

وفي استانبول أنجب ابنه كمال الدين جودت عام ١٨٨٢ .. وفي حوالي عام ١٨٩٦ عاد إسماعيل جودت إلى مصر مرة أخرى بصحبة ابنه كمال الدين وهو لما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، وتشرب الابن من أبيه الوطنية وحب مصر ، فنشأ يكره الاستعمار منذ نعومة أظفاره ..

واستأنف إسماعيل جودت اشتغاله بالمحاماة ..

(١) عبد الرحمن الرافعي ـ الثورة العرابية ـ .

وورث كمال الدين جودت عن أبيه حبه للقراءة والاطلاع ، فقرأ أمهات كتب الأدب العربي مثل مقامات الحريري والأغاني للأصفهاني والأمالي وغيرها من شوامخ كتب التراث .

تم تعلم كمال الدين في مدارس مصر ومعاهدها حتى تخرج مهندسا زراعيا، ولما عين كان لا يستقر في بلد واحد بحكم ظروف عمله ، واستلهم من خلال عمله بين محافظات مصر فكرة إصدار كتاب يضم وصفا لكل المحافظات شعرا وأصدر ذلك الكتاب وكان لونا فريدا في أدبنا المعاصر .

وفي عام ١٩٠٨ تزوج كمال الدين من سيدة فاضلة من أسرة علم ودين والدها الشيخ عبد الرحمن من أصل تركي ووالدتها من أصل مغربي .

كانت سيدة مؤمنة تقية صافية القلب هادئة الطبع ..

وكان كمال الدين جودت عذب الروح حلو الفكاهة يعشق الأدب والفن والجمال ويكتب شعرا في الحب والجمال ، ومن شعره تلك القصيدة التي كتبها في وصف باليه راقص وقد نظمها عام ١٩١٢ ، يقول فيها :

راقـــــصات عاريـــــــات
في ضـــــياء الكهربـــــــاء
نظـــــرات قــــــاتلات
لنفـــــوس الأبريـــــــاء
مائـــــسات بقـــــدود
كغـــــصون في هـــــواء

وكان كمال الدين جودت - كما قلت - دائم التنقل والترحال من محافظة لأخرى بحكم وظيفته.

وفي مدينة « الزقازيق » كان مولد شاعرنا .

ميلاد شاعر

كان ذلك في ١٢ ديسمبر عام ١٩٠٨ ...

حين ولد صالح كمال الدين جودت بمدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية وعندما ولد شاعرنا كان والده يعاني سكرات الموت بالمستشفى .. وأرادت والدته أن تسميه « عبد الرحمن » تيمنا باسم أبيها فكان لها ما أرادت .

وفي اليوم السابع لمولده صنع الأطباء معجزة أنقذت الأب من الموت .. وخرج كمال الدين جودت من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل الصغير الذي اسمه عبد الرحمن والذي يجب أن يكون اسمه صالح تيمنا باسم شقيق له كان لامعا في دولة الأدب والقانون يومئذ هو المستشار صالح جودت[1] صاحب المؤلفات الكبيرة في الأدب والقانون .. وكان له ما أراد ..

وصدر إعلام شرعي بتغيير الاسم إلى « صالح جودت » ..

ثم ما لبثت الأسرة أن انتقلت إلى القاهرة بعد سبعة أيام فقط من مولد الطفل الصغير ..

طفولته :

كان للأسرة بيت أنيق بحي مصر الجديدة الهادئ تلفه حديقة خضراء .. وفي طفولة شاعرنا الباكرة كان يسمع أباه وهو ساهر في الحديقة بالليل وحوله نفر من أصحابه يتلو عليهم شعرا رقيقا ، فتشرب الطفل اللماح موسيقا الشعر وأنغامه منذ نعومة أظفاره .

وعندما استطاع الطفل أن يقرأ بدأ يقرأ مقامات الحريري مرات ومرات ..

---

(١) كان المستشار صالح جودت قانونيا لامعا وأديبا كبيرا من مؤلفاته : أمة الملايو (١٩٠٨) مصر في القرن التاسع عشر (١٩٣١) ومن مترجماته : رواية كيد الغانيات ، ورواية جهاد القلوب تأليف لويز اينو ، ومسرحية الإيمان تأليف أوجين بريو (١٩١٤) ، وترجمات جوستاف لوبون وغيرها كثير وقد توفي عام ١٩٦٨ عن عمر يناهز الثمانين عاما .

وبدأ يقلدها .. فكتب مقامات مماثلة لمقامات الحريري !

وبهذه البداية الطريفة بدأ اتصاله بدنيا الأدب والبيان ..

وكان والده يملك مكتبة ضخمة تحوي أكثر من عشرة آلاف كتاب .. فتفتحت عينا الطفل على الكتب الأدبية النفيسة التي تحيطه من كل جانب ..

وبدأ يقرأ كل ما يقع تحت يده .. ثم بدأ محاولات ساذجة لنظم الشعر .. واستمر ينظم ويترنم بالشعر منذ طفولته المبكرة وهو دون العاشرة .. واختلف الابن مع أبيه المهندس الأديب في كثير من أسس الأدب .. كان الأب يعجبه شعر حفني ناصف وعائشة التيمورية وغيرهما من معاصريه . وكان الابن شغوفا بالأدب الحديث ورواده المجددين ولكن الاثنين التقيا عند رأي واحد في أمير الشعراء . أحمد شوقي إذ فضلاه على الشعراء قاطبة ..

ذلك أن أول ما أخذ صالح جودت من شعر شوقي هو تلك الموسيقا الرقيقة الهامسة ، ولهذا حفظ شعره عن ظهر قلب ، ولم يتغير رأيه في شوقي طيلة حياته ، وهذا هو السر في احتواء شعر صالح جودت على قدر كبير من الموسيقية وكان الأب - كمال الدين جودت - أديبا ذواقة مسرفا .. فقد كان على قدر طيب من الثراء .. وعندما لقي وجه ربه في يناير عام ١٩٥٢ كان قد أضاع كل ثروته ولم يترك شيئا وراءه ولكنه ورث ولده صناعة القلم .. وهو أطيب ميراث !



اختلف صالح جودت إلى مدرسة إنجليزية في مصر الجديدة ، وكان في تلك الحقبة طفلا جريئا له ذكريات طريفة في تلك السن الباكرة ..

من ذلك أنه كان يكسر عدادات النور والمياه ويشعل مجموعة من الحرائق ..

وكانت في المدرسة حسناء إنجليزية شقراء من موظفات المدرسة .. كانت في تلك الحقبة في العشرين من عمرها .. وكان صالح جودت لم يتجاوز السابعة من عمره .. ورغم فارق السن الكبير إلا أن الشاعر العاشق الصغير هام بها

ونظم في حبها عشرات الأبيات من الشعر الغزلي الأفلاطوني يبثها حبه وجواه وعواطفه المشبوبة وعلمت بعواطفه الملتهبة نحوها فأولته اهتماما وشجعته ..

وأصبحت تلك الحسناء الفاتنة هي المثل الحي للجمال في رأي شاعرنا .

ثم التحق صالح جودت بعد ذلك بمدرسة الفرير ..

والتحق بعدها بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية وقاسى الأمرين من عصا ناظر المدرسة التركي القاسي بايزيد أفندي ..

في الدراسة الثانوية :

وظفر صالح جودت بالشهادة الابتدائية وعمره عشر سنوات وحسب .. وعندما وقف لأول مرة في طابور الصباح بالمدرسة الثانوية نادى ناظر المدرسة اسمه وقال : إن هذا التلميذ هو أصغر من نال الشهادة الابتدائية في تاريخ هذه الشهادة ..

ويعترف صالح جودت أن هذه الكلمة قد أدخلت في نفسه الغرور والزهو وجعلته يهمل دراسته ويمضي في سبيل آخر .. وهو سبيل الفن والأدب ..

فقد كان يقضي جل وقته في مسارح عماد الدين ومسارح روض الفرج في أوج تألقها وكانت كثيرة .. وفي هذا الجو الساحر المليء بألوان الفن والأدب والجمال تشرب النغم وتعرف في هذه السن الباكرة على عشرات النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات .

ودفع الثمن فادحا .. فقد تعثر في السنة الأولى من دراسته الثانوية ثلاث سنوات متصلة ! ..

وكان يرى أن هذه السنوات الثلاث لم تضع هباء بل زادت من ثقافته الأدبية وعمقت معرفته بخبايا النفوس وخفايا الفن وجمال النغم .. وكان شاعرنا يسهر الليل ولا يعود إلى البيت قبل الثانية صباحا .. واندفع في هذا التيار الساحر بلا وعي ، فأهمل دراسته وكاد يضيع مستقبله العلمي.

ولكن حدثت معجزة أنقذته من الانسياق في هذا التيار الساحر الجارف لقد قرر والده ـ وكان يعمل وقتئذ مهندسا زراعيا بمدينة المنصورة ـ أن ينتزعه من جو القاهرة ولياليها الصاخبة ويلحقه بمدرسة المنصورة الثانوية لعله ينجح ..

واتجه صالح جودت إلى مدينة المنصورة عام ١٩٢٧ حيث المدرسة الثانوية ليلتحق بها .. ونجحت المحاولة .. ومرة أخرى أصبح ترتيبه الأول على فرقته كل سنة ! .

في المنصورة :

قضى صالح جودت خمس سنوات بمدينة المنصورة ، وطن الشعر والجمال كانت من أجمل فترات حياته (١٩٢٧ – ١٩٣١) .. ولا يزال قلبه يحمل أجمل الذكريات لتلك المدينة الحسناء التي ذاق فيها أطايب الخلوات على ضفاف النيل في الأصائل والأماسي.

وفي المنصورة تعرف صالح جودت بشاعر الأطلال ، ناجي وشاعر الجندول علي محمود طه ، كان صالح جودت وزميله في الدراسة محمد عبد المعطي الهمشري يخرجان من المدرسة الثانوية ويلتقيان بشاعرين يكبرانهما سنا وكانا وقتئذ مغمورين هما على محمود طه المهندس وإبراهيم ناجي الطبيب اللذين كانا يعملان بالمنصورة .. وكان الشعراء الشبان الأربعة .. يجلسون عند شاطئ النيل يسمرون ويتحدثون في الأدب والفن والجمال .

وكانوا يؤثرون صخرة نائية على النيل تقع بين البحر الصغير والصحراء سموها « صخرة الملتقى » وكانت مكانا لحديث الأدب والشعر وموئلا للقاء العشاق ، وقد استوحى كل من على محمود طه وناجي وصالح جودت والهمشري قصائد من صخرة الملتقى !

وكان الشعراء الأربعة تجمعهم أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم وأصبح لهذه للمدرسة لون جديد في شعرنا العربي المعاصر وتميزت بسمات محددة يمكن أن تطلق عليها « مدرسة الشعر العاطفي

الرومانسي الوجداني الغنائي » .

ويذكر صالح جودت عن هذه المدرسة قوله : « كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة في الشعر تقاربت خطوطها في ذلك العهد إلى حد أن اختلط شعر الأربعة على الأدباء في كثير من الأحيان ».

ومن المنصورة بدأ صالح جودت - هو والشعراء الثلاثة - يتصل بصحف ومجلات القاهرة وينشر فيها بواكير إنتاجه الشعري ، وتبلورت اتجاهاته الشعرية، فقد اتجه شطر شعر الحب والغزل يبدع فيه أيما إبداع ..

وكانت له في المنصورة صولات وجولات ، فقد عاش هناك قصة حب كبيرة بطلتها ملكة جمال المنصورة وقتئذ واستوحى من تلك التجربة قصيدته الطريفة « تسورى » ويداعب فيها ملهمته حين رقت الصاد بين شفتيها فصارت سينا التي يقول فيها بعد فرقته بعيدا عنها :

قلت لها : تصوري
يا فتنة المنصور
تصوري حكايتي
في حبك المحير
حكاية .. كأنها
خرافة المعمر
وددت لو نظمتها
من لؤلؤ وجوهر
وددت لو رويتها
ملحمة للأعصر
وكيف أروى قصة العمر
ببعض أسطر ؟

وأمضى صالح جودت في المنصورة أجمل سنوات حياته الوجدانية والفنية

لذا فإنه يعد ابن المنصورة ، فقد تفتح شبابه الغض على ضفافها الفيح وعرف بين ربوعها حباً عاصفاً أوحى إليه أعذب أشعار الحب والغزل !

ثم أنجز دراسته الثانوية ..

وانتهت أيام المنصورة الحلوة ..

وزحف الشعراء الأربعة على القاهرة في عام واحد ، هو عام ١٩٣١ .. علي محمود طه إلى وظيفة بوزارة الأشغال وإبراهيم ناجي إلى وظيفته بالقسم الطبي بمصلحة السكك الحديدية والهمشري إلى كلية الآداب وصالح جودت إلى كلية التجارة ودع صالح جودت المنصورة وفي قلبه حسرات العاشق على فراق مهد الصبا ومدينة الحب والجمال والشعر والخيال ..

ودعها بقلب خافق مشبوب وهو يتحسر على لياليها الساحرة وأيامها الطيبات :

آه مما بي ، وهل تدرين ما بي ؟
يوم ودعتك ودعت شبابي
أين أحلامي على تلك الروابي
ذابت الأحلام في قلبي المذاب

ويسترجع ذكريات الجمال في مدينة الحب والجمال حينما كان يتهب بعينيه شوراد الحسن على ضفافها الخضر :

ما دعا لحني ولا غنى نشيدي
غير غاداتك في الخطو الوئيد
حين يخطرن على النيل السعيد
بالوجوه السمح كالنور المذاب
يتهادين بمعسول الدعاب
آه مما بي ، وهل تدرين ما بي
يوم ودعتك ودعت شبابي :

ثم يتحرق شوقا ويبث حسرات قلبه المفتون على ملهمته السمراء الفاتنة التي يحمل لها أطيب الذكريات وأعذبها :

لي حبيــب فيــك أفديــه بعمــري
ســمرة النيــل عــلى خديــه تجــري
هــو إلهــامي وأحلامــي وشــعري
ونعيمــي بــين عينيــه وســكرى
كــان عنــد الليلــة الظلــماء بــدري
ولــه نجــواي في دنيــا اغــترابي
يــا تــرى يــذكرني بعــد الغيــاب
آه ممــا بي ، وهــل تــدرين مــا بي ؟
يــوم ودعتــك ودعــت شــبابي

ولا يزال شاعرنا يحمل أجمل ذكرياته لمدينة الحب والجمال والفن والخيال ويذكر سنواته الخمس (١٩٢٧-١٩٣١) التي قضاها بين ربوعها ذاق خلالها من رحيق الحب والوصال وتشربت روحه من جمالها عبادة الحسن والجمال .

مع جماعة أبوللو :

التحق صالح جودت عام ١٩٣١ بكلية التجارة جامعة القاهرة ..

وفي تلك الحقبة أنشأ الدكتور أحمد زكي أبو شادي جمعية أبوللو للشعر ، وينضم صالح جودت والركب القادم من المنصورة إلى تلك الجمعية برئاسة أمير الشعراء ، شوقي ويصبح صالح جودت عضوا بمجلس إدارة جمعية أبوللو يجلس جنبا لجنب بجانب كبار الشعراء أمثال شوقي ومطران وأبى شادي وهو لما يتجاوز العشرين من عمره بعد وشهدت صفحات أبوللو بواكير إنتاج صالح جودت الشعري ، فكتب كثيرا من القصائد الوجدانية التي تميزت بالجدة والابتكار والرقة والموسيقا الهامسة وسبق الشاعر الشاب عمره ، فأبدع أجمل قصائده وأرقها وهو دون العشرين ومن أرق قصائد العاطفية التي كتبها في تلك الحقبة قصيدته « الشارد » التي نشرت عام ١٩٣٣ أي أن عمره يومئذ كان لا

يتجاوز العشرين ، واتسمت بالرقة العاطفية وحرارة وصدق العاطفة . والموسيقا الهامسة [1]:

أيها الشارد عن وكر الهوى
قد عفا من بعدك القلب وذاب
كنت لا أشهد إلا نضرة
فإذا النضرة قد أمست يباب
كنت لا أسمع إلا بلبلا
فإذا الشادي على الأيك غراب
كنت لا أشرب إلا خمرة
في كئوس قد ملئن اليوم صاب
كنت لي يا تاركي في لوعتي
أنت والألحان والكأس طلاب

ثم سجلت صفحات مجلة « أبوللو » العديد من قصائد صالح جودت الوجدانية التي عكست فلسفته في الحب والمرأة والجمال والحياة والوجود ..

وقد كانت روح صالح جودت في تلك احقبة تميل إلى الثورة على المألوف والتقاليد البالية والظلم الاجتماعي وكان أحيانا يشتط في ثورته ويعبر عن حيرته عن سر الوجود وفلسفة الحياة والموت بصورة جريئة بدافع من فورة الشباب وحميته .

وتجلي ذلك في قصيدته ذات الطابع الإصلاحي بعنوان « الهيكل المستباح » وملحمته الفلسفية التأملية الجريئة عن « الراهب المتمرد » التي يصفها الأديب الناقد الدكتور عبد العزيز الدسوقي بأنها تندرج تحت « النزعة التأملية » فيقول :

« على الرغم من أن هذه القصيدة تندرج تحت « النزعة التأملية » إلا أنها رمزية أيضا وهي رمزية موضوعية استخدم فيها الشاعر أحداثا تشبه الأساطير ،

() أبوللو - أبريل ۱۹۳۳ - ص۸۸۲ .

لينقل إلينا ما يعتمل في نفسه من ثورة الشك والتمرد على القيم الدينية ، ثم التسليم في النهاية أمام العجز المطلق الذي رمز له الشاعر بالموت ، ثم الإيمان بعد ذلك بالله والبعث والحياة والآخرة » .

وقد أثارت جرأة شاعرنا وتجديداته الجريئة في الشعر شكلا ومضمونا بعض المعارك الأدبية والمساجلات الصحفية وقتئذ مما دفع الدكتور إبراهيم ناجي أن يقول عنه :

« صالح جودت هو أحد الشعراء المجددين الجريئين ، الذين لا يبالون في سبيل الحرية الفكرية بأي عقبة ولا حائل ، وهو لذلك ماض إلى الأمام دائما ، مضطرد التقدم وعقله الخصب ، ونبوغه الوافر ، كفيلان بأن يضمنا له سبقا وتجلية في الميدان الذي اختاره لمواهبه الكبيرة » .

وقد كتب شاعرنا الكثير من قصائده العاطفية على صفحات « أبوللو » مثل « العيون الزرق » و « رمس الهوى » و « عاصفة » و « القصيدة الأخيرة » وغيرها كثير .

ونستطيع أن نستخلص من خلال إنتاج صالح جودت على صفحات أبوللو في تلك الحقبة (١٩٣٢-١٩٣٤) أنه بدأ حياته الفنية مجددا متفردا بسمات خاصة وله لونه الفني الخالص بعيدا عن التأثر بأي شاعر بل كانت له صوره وأخيلته الشعرية وسماته الأسلوبية المتفردة وموسيقاه الرقيقه الهامسة ورقته العاطفية بخلاف زعم بعض النقاد أنه تأثر بأبي شادي أو مطران أو العقاد على اختلاف فيما بينهم .. ولكن الدارس المنصف يجد أن بدايته الفنية قد بشرت بشاعر ذي مذاق خاص ولون متميز ..

الديوان الأول :

صدر أول ديوان لشاعرنا عام ١٩٣٤ وهو لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره بعنوان « ديوان صالح جودت » وكان تجربة أدبية جديدة ذات لون فريد استقبلها النقاد بحرارة وحماس لما في الديوان من تجديد في الشعر شكلا ومضمونا .

وتميز شعر الديوان الأول بحلاوة الجرس والطلاوة والموسيقا الهامسة وغلب عليه روح الحيرة والتساؤل وما يدور في النفس من هواجس وإن كان الخط الأساسي فيه هو الإغراق في العاطفية .

وقد عكس شاعرنا في ديوانه تجاربه الخصبة في الحب والعشق وتغنى طويلا بالعيون الزرق والشعر الذهبي حتى أطلق عليه لقب « شاعر العيون الزرق » وقد كتب الشاعر أحمد زكي أبو شادي مقدمة الديوان رحب فيها بظهور شاعر جديد وأصيل وبين نواحي الإبداع والتجديد في شعره وأصالته ونواحي ابتكاره، فقال [1] :

(إن صالح جودت بفطرته شاعر غنائي حساس ، حلو العبارة ، فياض العاطفة ، جياش بالمعاني العذبة الرقيقة ، ولكنه إلى جانب ذلك الشاعر الوطني والشاعر الفلسفي حينما تثيره ظروف خاصة فترى في ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة في مشاعر هذا الجيل ، ولو لم يكن لصالح جودت غير شعره العاطفي الخالص لكفانا ذلك داعيا للحفاوة بشعره) كان هذا هو مجمل رأى الدكتور أحمد زكي أبو شادي في شاعرية صالح جودت وأصالته .



أهدى صالح جودت ديوانه إلى « العيون الزرق والشعر لذهب » ونجد في الديوان قصيدتين عن صاحبة « العيون الزرق والشعر الذهب » يقصد بها الممثلة «زينب صدقي» التي أحبها في تلك الفترة حبًا كبيرًا عاصفًا.

ونحس من خلال حرارة القصيدتين والصدق الفني في أبياتها أن ثمة تجربة حب مرت بشاعرنا في تلك الحقبة مع تلك الملهمة وعكسها في هاتين القصيدتين اللتين تتسمان بالحرارة وحرقة الوجد وصدق العاطفة .

()ديوان صالح جودت ـ ١٩٣٤ـ المقدمة .

يقول صالح جودت في رباعيات قصيدة « العيون الزرق » [1] :

عــين مــن يهــواك تــشتاق الكــرى
قلــب مــن يهــواك يــشدو بــالحنين
هــل رأيــت الــدمع مــن عينــي جــرى ؟
هــل ســمعت القلــب موصــول الأنــين ؟

◆◆◆

يــا شــقيق الزهــر والطــير .. أمــا
ســاءلت نفــسك عنــي أخويــك
أنــا في روضــك أرويــه بــما
فــاض مــن دمعــي مــدى العمــر عليــك

◆◆◆

أزرع الآمــال في روض هــواك
وأرويهــا بــدمعي ودمــي
فــإذا مــا عــدت ألفيــت نــواك
في ثنايــا الــروض يبنــي مــأتمي ؟

◆◆◆

أيهــا الهــاجر مــن غــير ســبب
لــو تجــافى أنــا راض بجفــاك
العيــون الــزرق والــشعر الــذهب
ألجــأني يــا حبيبــي لهــواك

ولقد كان عام ١٩٣٤ هو عام البعث الشعري للتيار الجديد في الشعر الذي أحدث ثورة في الشعر المعاصر شكلا ومضمونا وتمثل ذلك في صدور عدد من دواوين الشعر لشعراء جماعة أبوللو باتجاههم الرومانسي الغنائي الوجداني العاطفي وتمثل ذلك في ديوان « الملاح التائه » لعلي محمود طه ، وديوان « وراء

[1] ديوان صالح جودت - ص٢٤ .

الغمام » لإبراهيم ناجي و « أغاني الكوخ » لمحمود حسن إسماعيل و « ديوان صالح جودت » وقد كان صدور ديوان صالح جودت في تلك السن المبكرة حدثا أدبيا هاما لفت إليه الأنظار كشاعر أصيل جريء مجدد في القصيدة المعاصرة بما أضافه في ديوانه من ابتكار وتجديد في الصور والأخيلة والمعاني والأسلوب فضلا عن تلك الرقة العاطفية لتي طبعت شعره وتلك الموسيقا الهامسة التي أظهرت غنائيته ورقته وعذوبته ، وكلها خصائص وسمات بشرت بمولد شاعر كبير سيكون له شأن في تطوير القصيدة العربية وإثراء القاموس الشعري بابتكاراته الأصيلة وتجديداته الجريئة .

ثقافته :

قرأ صالح جودت في صباه ويفاعته الكثير من أمهات كتب الأدب العربي القديم واستوعب كل الشعر العربي القديم ابتداء من امرؤ القيس ومرورا بشعراء العصر الأموي والعصر العباسي والشعر الأندلسي وحتى أحمد شوقي ..

وكان يميل بصفة خاصة إلى الشعراء الغزلبين وأحب بصفة خاصة شعر أبي نواس والعباس بن الأحنف والشريف الرضي ولكن شاعرنا توقف طويلا أمام شعر أحمد شوقي وحفظه عن ظهر قلب وأحس أنه يواجه روحا جديدا ، ولونا فريدا في شعرنا العربي كله واعتبره سيد الشعراء القدامى والمحدثين بموسيقاه وصوره وأخيلته وإسلامياته وصرخاته الوطنية ومسرحه الشعري وغزلياته ووصفياته ..

ولعل في شعر صالح جودت نفحات من روح شوقي وموسيقاه الهامسة وتدفقه ورقته العاطفية .

وفي الفترة التي قضاها شاعرنا في المنصورة لطلب العلم (١٩٢٧-١٩٣١) قرأ مع الشعراء الثلاثة شعر شعراء الرومانسية الإنجليز الخمسة الكبار وهم وليم بليك وورد زورث وكوليردج وشيللي وكيتس فقد كان هؤلاء الشعراء الخمسة يكونون وحدة منسجمة ويمثلون وجهة نظر موحدة في معنى الشعر ، وفي وظيفة الخيال كما يكونون وحدة في استعمال الصورة الشعرية ، والرمز

الشعري ، والأسطورة ، ونلاحظ في شعر صالح جودت تأثره بالمدرسة الرومانسية وتغلغلها في شعره حين يتغنى بالحب وفي تقديسه للجمال والصدق في تصوير مشاعره الذاتية وأحاسيسه بصدق وحرارة وأصالة .

ومن العوامل التي عمقت معارف شاعرنا إجادته للغتين الإنجليزية والفرنسية إجادة تامة وقراءة لروائع الأدب العالمي كما أن رحلات شاعرنا المتعددة بين ربوع العالم قد أمدت شعره بزاد خصب من المشاعر والأحاسيس والحيوية الدافقة والحرارة ..

المرأة في حياته ...

مر صالح جودت بتجارب عميقة في الحب والعشق ، وأطال حديثه عن بلائه في الحب ولكن هل صالح جودت موحد في الحب ؟

إن صالح جودت من أصحاب فلسفة التنقل بين رياض الحب وزهوره فهو خافق يترصد الجمال ويطير من هوى إلى هوى ولا يقنع بحب واحد بل يتنقل من روض إلى روض « وكل مليحة بمذاق» .

وقد كان لتنقله من غرام إلى غرام أثر كبير في إضرام عواطفه وإلهاب أحاسيسه !

ان قلــب الفنــان يــسجد للحــسن
بــشتى الظــلال والأضــواء

ولصالح جودت صبوات عاطفية سجلها في شعره حتى ملأ الدنيا غزلا وتشبيبا واضطر ذات يوم إلى أن يبرر لرفيقة عمره سر غزله المشبوب وتنقله بين رياض الحب وفلسفته في الغزل والحب فقال لها في قصيدته الطريفة « قالت سها» يعدد ألوان الجمال الذي استهواه فيقول »[1]:

يطــالعني وراء الــسرب سربُ

(١) ألحان مصرية - ١٩٦٨ - ص٤٨ .

ولي قلـــبٌ عَـــلى الظبيـــات حَـــدْبُ
أشـــاهدهنّ ألوانـــاً حـــسانا
فـــلا أدري لأيـــتهن أصـــبو
فـــضامرةٌ بكفـــيّ أحتويهـــا
وفارعـــة لقامتهـــا أشـــبُّ
وســـمراء، لهـــا في القلـــب وقـــع
وشـــقراء لهـــا في العـــين وثـــب
وعاقلـــة لهـــا فَـــتنٌ رواس
وماجنـــةٌ لهـــا هـــذرٌ ولعـــبٌ
وســـاذجةٌ براءتهـــا تغنـــىّ
ومـــاكرةٌ لهـــا دلـــعٌ ولـــوْب
وقاســـيةٌ محببـــة التحـــدّي
وناعمـــةٌ تلَـــذّ وتُـــستحب
يثـــير جمـــالهنّ شـــجون نفـــسي
كـــأنّ جمـــالهن عـــليّ ذنـــب

ثم يسرد حديث الوشاة والشانئين عن هذا العاشق المعنى الذي لا يكف عن الحب والتنقل بين رياض الهوى:

وقـــال الـــشانئون: فتـــىً لَعُـــوبٌ
نـــوازع قلبـــه لا تـــستتبّ
أحاديـــث الغـــرام عليـــه تـــترّى
وهاتفـــه المجلجـــلُ يـــشرئبّ
ويعبـــث في ملاعبـــه كطفـــلٍ
يظـــل إلى صـــدور الغيـــد يحبـــو
يهـــيم بحلـــوةٍ، فتلـــوح أخـــرى

فيتبعهــــــا ، فثالثـــــةٌ فيكبـــــو
فرابعـــــةٌ ، فيخـــــدعها بعهـــــدِ
ولا يـــــدري أيُـــــبرم أم يخـــــبّ ؟
ولا تـــــصل الحكايـــــة منتهاهـــــا
ألا تبّـــــتْ حكـــــايتهم وتبّـــــوا

ويبرر لها سر ولعه بألوان الحسن والجمال:

أنـــــا إن أغْـــــر أحـــــلام الـــــصبايا
بـــــما أغـــــرى ، فلـــــيس علـــــيّ عتـــــبُ
أتـــــرجمهن للأيـــــام شـــــعرًا
تـــــضوع بنـــــشره صـــــحفٌ وكتْـــــبُ
وأمـــــنحهن مـــــن شـــــعري خلـــــودا
كـــــأني بـــــالخلود لهـــــنّ ربٌّ

ثم يصل إلى النقطة الحاسمة حين يحاول أن يقنع رفيقة العمر بفلسفته في الشرك في الحب وكيف أنه في حقيقة الأمر ليس إلا من أكبر الموحدين في الحب :

وقالـــــت لي « سُـــــها » : أتحـــــب غـــــيري ؟
فقلـــــت لي : وحَقّـــــك لا أحـــــبُ
تخـــــذتك دونهـــــن هـــــوىً مقـــــيما
لـــــه بيـــــتٌ وناصـــــيةٌ ودرب
ونعتُـــــكِ غـــــشرتي ووهبتـــــك اســـــمي
ولي ، مهـــــما ارتحلـــــت ، إليـــــك أوْب
ولكـــــن الخيـــــال يعـــــزّ إن لم
يُحـــــرّك شـــــجوه بُعـــــدٌ وقُـــــربُ
يعربـــــد في تبذلـــــه فيحلـــــو
ويقبـــــع في تبتلـــــه فينبـــــو

وكيـف أغـضّ طـرفي : أهـو أعمـى ؟
وكيـف أرد قلبـي ، أهـو صُـلب ؟
وهـل يرضـيك أن أجفـو خيـالي
وأشـهد لهفتـي والنـار تخبـو ؟
وأمـا الأخريـات ، فهـن كـأسي
مـن الإلهـام ، أشربهـا وحـسب
وهـن منـابعي في الـشعر ، لكـن
إليـك المنتهـى ، وهنـا المـصب !

إن صالح جودت هنا يفصح عن قلب محب عاشق يصور لنا في صدق وأمانة سر عشقه لروائع الحسن وبدائع الجمال وأثر الجمال في فنه .

ويجب أن نسجل هنا أن شاعرنا كان يكن لرفيقة عمره كل مودة وحب وإخلاص كما أنها بادلته نفس المشاعر ولا ننسى موقفها النبيل الرائع إبان محنة رفيق عمرها الصحية في خريف عام ١٩٧٤ ولهفتها عليه بكل شغاف قلبها ووقوفها بجانبه حتى رحيله عن الحياة في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ .

شاعر الحب

رسم لنا صالح جودت عواطفه ومشاعره وأحاسيسه بصدق وأمانة في شعره وسجل لنا خفقات قلبه واعترافات حبه ..

ونرى في شعره عدة أوتار .. فهو أحيانا أخرى نراه يمعن في تصوير صبواته ومغامراته العاطفية الطريفة .. وإن كنا نراه قريبا في مزاجه وظرفه وصبوات قلبه بشاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة !

وصالح جودت كشاعر رومانسي محلق تعبد طويلا في معبد الجمال وصلى للحب حتى كأن شعره قصيدة حب حالمة ..

إن شعره يكشف لنا اللثام عن قلب أشرق الحب في ثناياه ، فإذا هو خفقة من خفقاته وومضة من ومضاته .

فهو مفتون بالجمال يمتزج في شعره الجمال والفن والحسن ، وهو يصور عاطفة الحب بصورة دقيقة تدل على عمق تجربته في هذا السبيل وعلى فهمه لسرائر روح المرأة وتلونها ..

نرى في شعر الحب والغزل عنده صدق العاطفة وحرارة المشاعر وعمق التجربة في قصيدته الغزلية « فتنة المغرب » يحلق صالح جودت تحليقا شعريا عاليا ويضفي على محبوبته صفات خيالية سامية فيصور مفاتنها وسحرها وجمالها الخمري الآسر الذي أوقعه في شراكها فلم يستطع أن ينجو من أسرها الساحر !

في تلك القصيدة الغزلية نلمس حرارة العاشق المدمن وصدق المحب المفتون وتلك العاطفة الدافقة حين يصور مشاعره وأحاسيسه نحو محبوبته الحسناء في أنغام عذبة تسيل رقة وجمالا كموسيقى موقعة راقصة مرحة كمرح روحه العاشق وقلب الواله ! ..

يقول صالح جودت في قصيدته « فتنة المغرب » يناجي محبوبته ويبثها عواطفه المشتعله ومشاعره الدافقة وتأثير جمالها الفتان على قلبه العاشق المفتون ، فيقول [1]:

* ضحيتُ بالعمر
للبيض والشقر
وكنت لا أدري
أني سألقاك
يا فتنة السمر

---

(١) حكاية قلب - ١٩٦٥ - ص٩٢ .

بلونـــــك الخمـــــري
قــــد حــــيرتْ أمـــري
في الحــــــب عينـــــاك
يـــــا هالـــــة البـــدر
ولمحـــــــة الفجـــــــر
النيـــــــل لا يجـــــري
إلا ليرعـــــــــــــاك
* تلـــــك العيـــون الـــسود
وليلهـــــــا المعبـــــود
وســــــحرها المـــــشهود
في جفنـــــــك الــــــساهي
وشـــــعرك المـــــدود
وعـــــودك الأملــــــود
يـــــا جنـــــة الموعـــود
يـــــا آيـــــــة الله !
تـــــراقص العنقـــــود
واهتــــز قلــــب العـــود
للحنــــــك المنــــشود
آه لـــــــــــــــه .. آه

ثم يمضي في تصوير جمال فاتنته وسحرها وحسنها الظلوم في صور شعرية رائعة يوردها في تتابع وتوافق فيقول :

مـــــن مغـــــرب الـــشمس
أشرقـــــت في نفـــــسي
كليلـــــــة العــــرس
عذريــــــة الحلــــم

والليـــــــل إذ يمـــــــسي
أضـــــــللت لي نفـــــــسي
أنــــــسيتني خمـــــــسى
ضـــــيعت لي صـــــــومي
مـــــــلأت لي كـــــــأسي
مــــــن خمـــــرة اليــــــأس
أشــــــقيت لي أمــــــسي
فأســــــعدي يـــــــــومي

وهو كشاعر رومانسي حالم يتمنى أن تخلو له الدنيا هو ومن يحب ليسعدا بالعاطفة بعيدا عن ضجيج العالم .. ليغني معها في جزيرة نائية أنشودة الحب الصادق ، وقد صور لنا تلك الأمنية المحلقة في قصيدته الغزلية الرقيقة «في جزيرة معك» التي يقول فيها :

إن تـــــسلني يـــــا حبيبـــــي
أي حلـــــــم أشـــــــتهيه
فهـــــو أن أقـــــضي عمـــــري
في فـــــراغ أنـــــت فيـــــه
فمتـــــى تـــــأمرني أن أتبعـــــك
وأغنـــــي في جزيـــــرة معـــــك؟

ثم يصور لنا شاعرنا جوا عاطفيا مشحونا بالظلال والشاعرية وهمسات المحبين في جزيرة الحب المنشودة :

اســـــأل الليـــــل إذا الليـــــل دنـــــا
بـــــدره المـــــشرق أم بـــــدري أنـــــا؟
المنـــــى والـــــسحر والعطـــــر هنـــــا
والهـــــوى والكـــــأس والليـــــل لنـــــا

وأنـــــا بـــــين يـــــديك
أجتنـــــي مـــــن شـــــفتيك
رشـــــفة منـــــك إليـــــك
وأســـوى فـــوق صـــدري مـــضجعك
وأغنـــــي في جزيـــــرة معـــــك

ويمعن شاعرنا في حلمه الهامس الذي حمله إلى جزيرة نائية مع محبوبته ويمضي في تصوير عواطفه وأحلامه معها بصورة تدلنا على أن العاطفة (emotion) عند شاعرنا قوية ، فنراه يرسم لنا لوحة فنية ساحرة تحيطه هو ومحبوبته في جزيرة الخيال لا شيء حولهما إلا جمال الطبيعة وبراءتها !

العـصافير التـي توقظنـا عنـد الـصباح
والأزاهـير التـي تـسكر أنفـاس الريـاح
والمـزامير التـي تهتـف بالحـب المبـاح
والمقـادير التـي تجهـل ألـوان الجـراح
كـل هـذا الحـسن يـدعوك هنـا
أي شيء لـــك في تلـــك الـــدنا ؟
لا تجيبهـــا وأجـــب قلبـــي أنـــا
واســـأل الأقـــدار بي أن تجمعـــك
لأغنـــي في جزيـــرة .. معـــك !

إن شاعرنا هنا عاشق رومانسي يتعبد في محراب الجمال ويتمنى أن يخلو له الوجود ليسعد مع محبوبته في ظلال الطبيعة الحالمة .. وهذه الفلسفة الوجدانية نرى لها أصولاً عند كبار شعراء الرومانسية خاصة جان جاك روسو .

ثم نلمس حرارة عاطفة شاعرنا وهو يناجي محبوبته تلك المناجاة الهامسة التي تفصح عن محب صادق العاطفة واله القلب !

لقد أبدع صالح جودت في شعر الحب (Love Poetry) أيما إبداع

وأصـدقه واستحدث تعبيرات جديـدة وتراكيـب طريفـة أضـافها إلى قاموسـنا الشعري المعاصر .

لقد رفض شاعرنا لغة الشعر العقيمـة عنـد الشعراء التقليـديين واسـتحدث بعض التعبيرات الـشعرية الجديـدة ، فمـن رأيـه أنـه يجـب اسـتخدام أرق كلـمات اللغة وأكثرها موسيقية وعذوبة والابتعاد عن اللغة التي تقـترب مـن النثـر وهـو هنا يختلف عن الشاعر الانجليزي الكبير وردذورث وهـو أحـد أقطـاب الاتجـاه الرومانسي في الشعر الانجليزي .

الصدق الفني

إن الذاتية (Subjectivity) عند صالح جودت قوية جدا في فنه وحياته..

أننا نلمس شخصية صالح جودت واضحة السمات والملامح في شعره وهذا مما يعطي شعره الصدق . فالصدق الـشعوري هـو أن يكـون شـعر الـشاعر دلـيلا على شخصيته وكاشـفا عنهـا ، فـإن شـعر صـالح جـودت يعطينـا صـورة حقيقيـة صادقة لشخـصية شـاعرنا ، فهـو شـعر عـاطفي ووجـداني بخـلاف ذلـك الـشعر الذي يطالعنا كثيرا ولا يهزنا لأنه لا يضع أيدينا على الـسمات الأسـاسية لشخـصية صاحبه ومن الممكن أن نطلق عليه اسم « النظم » .

وهذه الخاصية الرئيسية في شعر صالح جودت هي من أبرز سـمات المـذهب الرومانسي ولذا فإن الأصالة (Originality) أصبحت من أبرز سمات شعره.

مـن القـصائد التـي تفـصح عـن ملامـح شخـصية صـالح جـودت قـصيدته «أرض وسماء » التي نلمس من خلالها مدى اعتزاز شاعرنا بذاته وفنـه إزاء دلال محبوبته وتعنتها حين يضع اعتداده بنفسه وكرامته فوق عاطفته .

يقول شاعرنا في ثورة العاشق المهجور ومرارة الغضب :

نـــزل الـــستار عـــلى الروايـــه

وتبـــــدلت تلـــــك الحكايـــــه
طلـــــع الـــــصباح بنـــــوره
فرفعـــــت للعـــــصيان رأيـــــه
لا تـــــسأليني مـــــن هـــــواي الآن
مالـــــك في هوايـــــه ؟
يكفيـــــك أنـــــك لـــــست أنـــــت
ولم تعـــــد لي فيـــــك غايـــــه
فلكـــــل عاطفـــــة مـــــدى
ولكـــــل عاصـــــفة نهايـــــه!

ثم يعلن في النهاية القطيعة لها :

يـــا مـــن جعلـــت الحـــب تـــسلية
لقلبـــــك أو هوايـــــة
إن استـــــشرت العمـــــر فيـــــك
فقـــــال لي عمـــــري كفايـــــة
لا تـــــسأليني أن أعـــــود
فـــأين أرضـــك مـــن ســـمايه ؟!

وفي قصيدته « كبرياء » نلمس اعتزازه بنفسه ورجولته أمام طغيان سحر محبوبته ودلالها ورفضه للضعف أمام فتنتها :

أجـــل أنـــت فاتنـــة .. إنـــما
أرى عـــزة الـــنفس لي أفتنـــا
وإن كـــان عنـــدك ســـحر الجـــمال
فـــسحر الرجولـــة عنـــدي أنـــا
وإن كثـــرت في هـــواك القلـــوب
فـــإن الـــشباب سريـــع الفنـــا

ويكون الشاعر أكثر وضوحا في تبيان موقفه منها وفلسفته في الحب فيقول :

وأنـــت المنـــى غـــير أني امـــرؤ
يـــذلل للكبريـــاء المنـــى
ويكـــره في الحـــب بـــذل الـــدموع
ويـــسط الخـــضوع وفـــرط الـــضنى
إذا المـــرء هـــان عـــلى نفـــسه
لكـــان عـــلى غـــيره أهونـــا
فـــلا تجعـــلي مـــن غـــرور الأنوثـــة
بابـــا يـــسد الهـــوى بيننـــا

وفي شعر صالح جودت ألوان متباينة .. فتارة نراه يهتف في حسية موغلة لمحبوبته :

أسرعـــي الآن أسرعـــي
فـــات وقـــت التمنُّـــع
لم تعـــد غـــير ليلـــةٍ
مـــن غـــرام مُـــودِّع
كنـــت بـــشرى وجنتـــي
ومراحـــي ومرتعـــي
كـــم عـــلى صـــدرك الحنـــون
توســـدت مـــضجعي
وعـــلى ثغـــرك الحبيـــب
تخـــيرت موضـــعي
وحـــوالي فرحتـــي
وحواليـــك أذرعـــي

نراه في موضع آخر في صورة رقيقة سامية يذوب حبا ووجدا في حب مثالي سام رفيع يطهره ويرقى بعواطفه ريذكى .

حكاية قلب

وعندما صدر ديوان صالح جودت « حكاية قلب » عام ١٩٦٥ تندر بعض أصدقائه من الأدباء والنقاد بأن لكل شاعر حكاية حب واحدة أو حكايتين ، أما صالح جودت فأن له عشرات من حكايات الحب حاول خلال ديوانه الأنيق أن ينقلها بأمانة إلى الناس ، فاعتبر الأديب كمال النجمي أن هذا الديوان للشاعر العاشق إلى الأبد صالح جودت - يلخص الشوط الذي قطعه في رحلة الحب الطويلة خلال شبابه الثاني أي خلال عشرين عاما انقضت بعد شبابه الأول ، حيث اعتبر أن الشباب الأول عند صالح جودت ينتهي في الثلاثين عن عمر الإنسان ، ثم يبدأ شبابه الثاني .

فإذا كان المرء شاعرا عاشقا كصالح جودت ، فإن شبابه الثاني لا ينتهي ولو بلغ الثمانين أو التسعين من عمره السعيد [١].

وهذه الحكمة نقشها صالح جودت على غلاف ديوانه الأنيق ، كأنه يدعو كل قارئ إلى الإيمان بها : « الشباب الثاني لا ينتهي إلا بانطفاء شعلة الحياة » .

وفي ظلال الشباب الثاني الظريف المختال كالطاووس نظم صالح جودت قصائد ديوانه الجديد وسماها « حكاية قلب » .. فجاءت هذه الحكاية تسجيلا منغوما أمينا حلو المذاق لمغامرات شبابه الثاني التي لا تقل توهجا واندفاعا عن مغامرات شبابه الأول المأثورة ..

هذا الشاعر ذو القلب الخافق بحكاياته التي لا تنتهي ، ينتقل من شباب إلى شباب ، بنفس الخفة والرشاقة والسهولة التي ينتقل بها من غرام إلى غرام ..

وما أطيب الحياة ، وما أهون تكاليفها ، حين تكون انتقالا من شباب إلى شباب .. ومن غرام إلى غرام ..

غير أن طيب الحياة وهوان تكاليفها على هذا النحو الذي يبدو من السطح

---

(١) مجلة الكواكب.

اللامع المعطر لأشعار صالح جودت ، ليس إلا انطباع الوهلة الأولى العابرة من قراءة هذه الأشعار ..

فإذا أنعمت فيها النظر ، وتأملتها على مهل ، رأيت خلف أبياتها الثملة الراقصة وجه الشاعر مكسوا بالألم والملل واليأس والرغبة في الهروب !

فبعد ثلاثين عاما قضاها في عالم المرأة السحري ، لم يعد يجد فيه ما يجتذبه بقوة وعمق .. وتساوت لديه في نهاية المطاف ذات الشعر الذهبي وذات الشعر الكستنائي .. وأصبح كل شيء عند هذه ، ككل شيء عند هذه ! ..

وكثرت النهايات الحتمية التي ينقضي بها كل غرام وتختفي بها كل امرأة من حياة الشاعر ، حتى سئم من تكرار الحب .. فكل بداية حب جديد ، تفضي إلى نهاية حب قديم ..

وبمرور الزمن ، والخروج من الشباب الأول إلى الشباب الثاني ، يصبح الوقوع في الحب عادة مزمنة ، كأنه تدخين سيجارة .. ويصبح النهوض من عثار هذا الحب سهلا كذلك ، كأنه إطفاء السيجارة بعد تدخينها ..

وهذا هو السبب في أن كل قصيدة من ديوان « حكاية قلب » ترسم صورة امرأة جديدة ..

والسعيدة عند صالح جودت هي من تظفر منه بقصيدتين أو ثلاث .. فقلبه - بعد طول تجاريه - أصبح يسع كل وجه جميل ، وكل عين سوداء أو زرقاء ، وكل شعر ذهبي أو بلاتيني ..

وعندما تسأله إحدى عرائس الزرقاء والشعر الذهبي فإنه لا يكذب ، ولا يقول لها إلا الحقيقة والحقيقة يشرحها بقوله :

وانتهينا إلى الحديث عن الحب فقالت في رقة وحياء ..

أترى أنت لا تزال على مهدك تصبو للأعين الزرقاء ؟

وتشيم الجمال في ذهب الشعر فتهفو لموجه الوضاء ..

قلت : لا زلت غير أني تغيرت　　　وبات الفؤاد رحب الفضاء
إن قلب الفنان يسجد للحسن　　　بشتى الظلال والأضواء

وهكذا أصبح قلب الشاعر أشبه بمخرج سينمائي يبحث دائما عن الوجوه الجديدة[1].

كل قصيدة جديدة .. وراءها وجه جديد ، أو فكرة جديدة عن وجه قديم تجعل منه في نظر الشاعر وجها جديدا ..

ومن هنا كان الحديث عن الصغيرات و الصبايا في ديوان صالح جودت أكثر من الحديث عمن طرقن أبواب الشباب الثاني .. أي أصبحن - كالشاعر نفسه - في منتصف العمر ..

فإن الصبايا يستهوين الشاعر العملاق الذي تسلل الشيب إلى رأسه » ويجدن فيه فارسا غامضا محفوفا بضباب مثير ، يحلق بهن في سماء الخيال ..

أما ذوات الشباب الثاني ، فلا الشيب يستهوين ، ولا فارس الضباب يهز قلوبهن ، ولا يجدن أية متعة في التحليق إلى سمائه العالية !

إلا أن الشاعر برغم تمسكه بوهم الشباب الثاني ، بشعر في أعماقه بغضاضة من فارق السن في دنيا الحب ..

ففي الحب الشاعري - كما في الزواج - لابد من حدوث تعقيدات معينة بسبب الفارق الكبير في السن .

وصالح جودت يعترف بهذا كله فى قطعة شعرية بديعة يقول فيها :

لك الله ، مالك يا طفلتي
تذوبين في حبك الصامت؟
أطالعه في اختلاج الشفاه

---

(١) المرجع السابق.

وفي لونـــك الـــشاحب الباهـــت
وأقـــرأه في اضــــطراب القمـــيص
عـــلى صـــدرك الخـــافق النابـــت
ومـــا كنـــتُ يومـــاً حديـــد الـــشعور
ولا كـــــان قلبـــــي بالمائـــــت
ولكـــن .. أتـــصلح عـــشرون عامـــا
تـــدورين في طوقهـــا الكابـــت
لحـــب فتـــى جـــاوز الأربعـــين
يجـــرر في عمـــره الفائـــت
ويـــسمع منـــك نـــداء الـــشباب
وترهبـــه ضـــحكة الـــشامت ؟

ولكن .. لماذا يخاف صالح جودت من ضحك الشامتين به في مغامرة الحب بين الربيع والخريف ؟

أليس هو الشاعر الفاتك الذي يصور نفسه في ديوانه في صورة « كازانوفا » و « دون جوان» وبقيه الفاتكين في عالم الغرام ؟

بلى .. إنه لكذلك عند نفسه .. إنه هو بعينه الشاعر المغير على نبض قلوب العاشقات ..

ولكن الحقيقة فيما يبدو تحمله أحيانا على الإفاقة من هذه النسوة التي صنعها لنفسه بيديه ..

فها هو ذا يعترف في إحدى قصائه بأنه ظل واقفاً « ملطموعا » في الشمس على كورنيش الأسكندرية عدة ساعات ينتظر من إحدى ملهاته الوفاء بوعد اللقاء ، فلم تف بالوعد وعذبته بتجربة من تجارب الشك لا تقل عن تجربة الشك التي عاناها « عطيل » في شعر شيكسبير .

هذه التجربة الفريدة التي وصفها صالح جودت في قصيدة « الموعد الخائب » تحولت من موقف درامي هائل ، إلى موقف أنيق من مواقف الظرف

والتجميش النواسي ..

قال صالح جودت :

وموعـــد للوصـــل .. يـــا غانيـــه
أخلفتـــــه .. للمـــــرة الثانيـــــه
وقفـــت والـــشمس عـــلى هـــامتي
جهـــــنم مـــــشبوبة حاميـــــه
حتـــى دنـــا الميعـــاد فاســـتعجلت
أشـــواق روحـــي اللحظـــة الباقيـــه
خيـــــل لي إذ طـــــال بي مـــــوقفي
أن عيـــــون النـــــاس تهزابيـــــه
ومـــــرت الـــــساعات محزونـــــة
ومالـــت الـــشمس عـــن الناصـــيه

هذه القصيدة ذات اللغة الشعرية الصافية تكتمل معانيها بقصيدة أخرى عنوانها « فوق الظنون » .. فإن الشاعر الذي أحلفت ملهمته ميعاد حبه لم يستطع أن يشك فيها إلا لحظات قليلة .. ثم فاء إلى نفسه وبرر سلوكها .. فقال :

كـــم أرجـــف المرجفـــون عنكـــا
فهـــل تـــراني غـــضبت منكـــا
مـــا قـــصدهم ؟ أن أذوب ظنـــا
وامـــلأ القلـــب فيـــك شـــكا
أشـــك في معبـــدي وقـــدسي ؟
أعـــوذ بـــالله أن أشـــكا

لقد تعلم الشاعر من طول خبرته أن يرضى في الحب بما هو كائن ، فإن « الفلاسفة » يقولون: إن السعادة الحقيقية هي الرضا ... ويريد شاعرنا أن ينعم في الحب بالسعادة ، فكيف يفتح قلبه للشك الرهيب الذي دفع عطيل إلى قتل ديدمونة ؟!

هكذا يبدو صالح جودت شاعرا كبير القلب ، يسع الجمال بأنواعه ، ويسع الحب بألوانه ، ويغفر لمن يحب كل هفوة ، ويرفعهن فوق مستوى الشك .

ولكن النبرة العالية في تعبيره عن تجاربه الغرامية ، هي نبرة الحس لا نبرة الروح ، وإن كان يستخدم الكلمات الدالة على المعاني الروحية في المواقف الصاخبة باللمسات الحسية ..

وهو يجد تبريرا روحيا لكل لمسة حسية ، فيقول في قصيدته « عصير التفاحة» :

لا تلــــوميني لأفكـــــاري الجريئـــــ،
أول القـــــصة في الأرض الخطيئـــــه
لا أبونـــــــا آدم عــــــــفّ ولا
أمنـــا كانـــت مـــن الـــذنب بريئـــه
عـــــصرا في دمنــــا تفاحــــــة
مـــا لنـــا فـــيها تغذيــــه مـــشيئة

إلا أن صالح جودت - في حالات نادرة - ينوح برقة وعذوبة عذرية ، متمسحا بمعاني الحب العذري ، خاضعا للحرمان ، واعظا نفسه بشتى العظات..

هذه الحالات النفسية النادرة تنتاب شاعرنا عندما يصطدم بغرام لا سبيل إليه إلا « المشاهدة » من قريب أو بعيد ..

عندئذ ينفجر في أعماقه شاعر عذري معذب ، وترتسم على وجهه ملامح قيس بن الملوح يناجي ليلاه .

وهو يصف هذا اللون النادر من الحب في قصيدة عنوانها « حب من السماء » .. يقول فيها :

ســـلواي يـــا أحـــلى مـــن الحلـــوى
يـــا لـــذة اللـــذات يـــا ســـلوى
أهـــــواك في صـــــبر وفي عفـــــة

أهـــواك في طهـــر وفي تقـــوى
اصـــنع مـــن وحيـــك قيثـــارتي
وامـــلأ الـــدنيا بهـــا شـــدوا
ولا أرى معـــــصية في الهـــوى
مـــا دمـــت أرضى منـــك بـــالنجوى

وبهذه القصيدة العذرية تكتمل للشاعر معانيه في الحب .. وهي - كما رأينا - معان متعددة ؛ لأن الشاعر لم يمارس نوعا واحدا من الحب ، بل غمس نفسه في بحر الحب العميق غمسا ، واستخرج منه كل ما امتلأت به يداه من لآلئ وأعشاب !

فهو شاعر حس ، وشاعر روح وحرمان .. وهو شاعر مشاهدة من قريب أو بعيد ، وشاعر جلسات ناعمة في صالونات مكيفة الهواء ..

وهو باختصار شاعر المرأة الجميلة كيفما كانت .. فارعة القد أو صغيرة القد .. زرقاء العينين أو سوداء العينين .. محبة له أو متدللة عليه هاجرة .

وهو في كل حب ، يشدو كطائر منفرد على أيك .. يعزل نفسه عن الدنيا عزلا شديدا .. فشرط الحب الأول عنده عزلة شاعرية يستوحي منها شعرا ، بعيدا عن عيون الناس ..

إن الناس يعكرون الهواء النقي الذي يتنسمه مع حبيباته .. فيتمنى لو استطاع أن ينفرد بهن في جنة وارفة الظلال كجنة الخلد ! ..

وهو خلال عزلته يشد الوتر الذي يعزف عليه .. إن مثله الأعلى في التعبير الشعري الموسيقى هو « شوقي » .. ولكن صالح جودت هو الابن الرومانسي لهذا الوالد الكلاسيكي العظيم ..

صحيح أن شوقي كانت له نفحات رومانسية ، ولكن رومانسيته كانت امتدادا عصريا لرومانسية العصر العباسي ..

أما رومانسية صالح جودت فهي امتداد للرومانسية الأوربية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، مختلطة بقليل من العبث والظرف العباسي القديم ..

وهو لا يحفر بيديه في تجاربه ، بل يومئ إليها إيماءات شعرية دقيقة خاطفة كاللمحة البارقة أمام الأبصار ، تومض بالتحية والتوديع في وقت واحد تقريبا ..

وهو - في أيامنا ومجتمعنا - يعبر عن جانب من الحياة .

ويمكن دائما أن يختلف تعبير عن تعبير .. ولكن يبقى دائما هذا السؤال :

أيهما أجمل ؟!

والأجمل ليس هو الأنفع دائما .. ولكن المرء لا يستطيع إلا أن يتأمل الشيء الجميل ..



أحلى قصائد

صالح جودت العاطفية

■■■■

ظمآن

أجلْ .. ظمآن يا ليلى .. وماء الحب في نهركْ
خذيني في ذراعيك وضميني إلى صدرك
دعيني أشرب النور الذي ينساب من شَعرك
وروِّى لهفة الظمآن بالقبلة من ثغرك
هبي لي ليلةً أثمل يا ليلاي من خمرك

◆◆◆

تقولين : جمعتَ السحر يا ظمآن في شِعرك
وأنتِ قصيدتي الكبرى ، وهذا الشِّعر من سحرك
كأني راهب الفتنة يستشهد في ديرك
وقد يشرك هذا القلب ... إلا بك لا يشرك
على أني عرفت الله ... لكن حرت في أمرك

◆◆◆

أجل ... ظمآن يا ليلى ... وماء الحب في نهرك

فرحة العيد

أفديـــه لمـــا أتـــى في ليلـــة العيـــدِ ... مـــنغَّم الخطـــو معـــسول المواعيـــدِ
العطـــر في صـــدره والـــشهد في فمـــه ... والـــورد في خـــده والفـــل في الجيـــد
ســـألته وهـــو مُـــستلقٍ عـــلى كتفـــي ... ودمعـــة الـــشوق تجـــري في الأخاديـــد
مـاذا عليـك لـو اخـترت الـرضى وطنـا ... ومـا يفيـدك مـن هجـري وتـشريدي ؟
أتشرب الـراح مـن دمعـي ومـن سـهري ... وتـــستخفك أنـــاتي وتنهيـــدي ؟
فرشـت دربـك ورداً مـن ربي غـزلي ... وزنـت جـوك عطـراً مـن أناشـيدي
يـا مـن عـشقتُ فلـم أشركْ بـه أبـدا ... هل صُنت عهدي وهـل قـدَّرت توحيـدي؟
عرضـتَ حريتـي والقيـدُ يخنقنـي ... فبعـتُ حريتـي واخـترتُ تقييـدي
وجـــد النـــاس في أهـــوائهم وأنـــا ... أراك أجمـــل أهـــوائي وتجديـــدي
عرفَتني ، ما جحود الفضل من خُلُقي ... ولا تبـدّل عهـدي مـن تقاليـدي



أنشودة محروم

أيها النور الذي أضحى مشاعا
كل قلب نال منه ما استطاعا
ما لروحي في الدجى هامت، وما
لفؤادي لم ينل منك شبعاعا ؟

◆ ◆ ◆

أيها الدير الذي رهبانه
سجدوا في صحنه الزاهي تباعا
هل أنا الكافر بالحسن، لكي
تحرم القلب من التقوى متاعا ؟

◆ ◆ ◆

أيها السر الذي غنَّى به
بلبلُ الحب فأفشى وأذاعا
كل سمع في الورى أشجيتَه
ما لأذني لم تنل منك استماعا ؟

◆ ◆ ◆

أيها الملاح .. : قد أغرقتني
في محيط الحب قذفا واندفاعا
كيف أنقذت الورى من لجة
ضيعت مني ضحى العمر ضياعا ؟

◆ ◆ ◆

أيها الساقي الذي جرَّعني
من دموعي، وسقى الناس الدماعا
قد عفا المحروم من كأس الهوى
فوداعا أيها الساقي ... وداعا !

◆ ◆ ◆

في جزيرة ... معك

■■■■

إن تَسَلْني يا حبيبي
أي حلم أشتهيه
فهو أن أقضيَ عُمري
في فراغ أنت فيه
فمتى تأمرني أن أتبعك
وأغنىّ في جزيرة معك ؟

◆◆◆

أسأل الليل إذا الليل دنا ...
بدره المشرق أم بدري أنا ؟
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا
وأنا بين يديكْ
أجتني من شفتيكْ
رشفةً منك إليكْ
وأسوِّى فوق صدري مضجعك
وأغنى .. في جزيرة معك

◆◆◆

العصافير التي توقظنا عند الصباح
والأزاهير التي تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التي تهتف بالحب المباح
والمقادير التي تجهل ألوان الجراح
كل هذا الحسن يدعوك هنا

أي شيء لـــــك في تلـــــك الــــدُّنا ؟
لا تُجيبهـــا ... وأجِـــبْ قلبــــي أنـــا
واســـأل الأقــــدار بي أن تجمعـــــك ...
لأغنــــي ... في جزيــــرة معـــــك

◆◆◆

يـا حبيبـي ضُـمّني يومـا إذا كنـت بقـربي
تـسمع اللحـن الـذي تعزفـه أوتـار قلبـي
إنـه باسـمك يـشدو .. وعـلى حبـك يُنبـي
وبأحلامـك يُـشجى ... وبإلهامـك يُـصبى

◆◆◆

ضُــــمّني واســــمعْ دُعـــــائي
في صــــــباحي ومـــــــسائي
لا تُعــــــذّبْ كبريــــــــائي
إن أحـــــلى أمـــــلي أن أمتعـــــك
وأغنــــى .... في جزيــــرة معـــــك



أرض وسماء

نــزل الــستار عــلى الروايــه وتبــدلتْ تلــك الحكايــه
طلـــع الـــصباح بنـــوره فرفعــت للعــصيان رايــه
لا تــسأليني مَــنْ هــواي الآن ... مالـــكِ في هَوايـــه ؟
يكفيــكِ أنــك لــست أنــتِ ولم تَعُــذْ لي فيــك غايــه
فلكــل عاطفـــة مــدى ولكــل عاصــفة نهايــه

◆◆◆

إن كــان غــرّك أن حــسنك آيــةٌ فتنــتْ صِــبايه
ثُــوبى ، فقــد ذهــب الــصبا واجتــزتُ مرحلــة الغوايــه
وغــدوتِ في عينــيَّ للنكــران والتـــبريح آيـــه

◆◆◆

يــا مــا غفــوتُ عــن الإســاءة واحتملتُــكِ في البدايــه
يــا مــا شــكوتُ لــك الظنــون ولم أمــلّ مــن الــشكايه
يــا مــا غفــرْت لــك الــذنوب وكــم صــبرت عــلى أســايه
وتكلـــم الواشـــون عنـــك فـــما أخـــذتك بالوشـــايه
ومـــضيتُ أســـقيك الحنـــان وبـــتُّ أوليـــك الرعايــه
وأبثـــك اللحـــن الجميـــل فتـــسمع الـــدنيا صـــدايه
إلّا فـــؤادك لا يحـــس ولا يحـــن إلى نِدايـــه
فرفعـــت رأسي أســـتجير مـــن الــضلالة بالعنايــه
والله يهـــدي المـــستجير متـــى أراد لـــه الهدايــه

◆◆◆

يــا مــن جعلــت الحــب تــسلية لقلبــك ، أو هِوايــه
إني استـــشرتُ العمـــر فيـــك فقـــال لي عُمـــري : كفايــه
لا تَـــسأليني أن أعـــود فـــأين أرضــك مــن سمايه ؟



أحمد عبد المجيد

شاعر أحب السراب!

في معبـــدي ناجيــتُ طيفـــك خاشـــعاً
ونـــداي في ســـمع الـــدجى ترتيـــل
أصـــغى إلى همـــسي إذا وافى الـــدجى
فالليـــل بـــين العاشـــقين رســـول
فترفقـــي بـــصريع حـــب صـــابر
وتخـــيري فـــسواه لـــيس خليـــل
وتـــزودي بالـــصد حتـــى يـــنجلي
مـــن حـــول عـــشك مغـــرم وعـــذول
فـــأهيم وحـــدي في العـــذاب متـــيماً
وعـــذاب حبـــك وارف وخليـــل



أحمد عبد المجيد

أحمد عبد المجيد
وأنشودة الحب والوفاء

هناك علاقة قديمة بين الشعر والغناء ، فالشعر الحقيقي في حد ذاته لون من ألوان الغناء ، بموسيقاه الهامسة ، وكلماته المنغمة ، وسحره الدافق .

وقد بدأ السفير لشاعر أحمد عبد المجيد حياته بقول الشعر الفصيح ، ثم اضطر لكتابة الأغنية الدارجة ليغنيها الموسيقار محمد عبد الوهاب بعد أن وصل مستوى كلمات أغنيات تلك الفترة في العشرينيات من القرن العشرين إلى مستوى من الركاكة والابتذال لا مثيل له .. ولكن ما هي حكاية شاعرنا مع الشعر والأغنية ؟

ولد أحمد عبد المجيد فريد في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٢٥ بحي المنيرة بالقاهرة لأسرة محافظة ميسورة الحال ، حيث كان والده عبد المجيد فريد يشغل كبير ياوران الخديو ، فضلاً عن أنه كان عضواً بمجلس الشيوخ .

التحق أحمد بالمدرسة الناصرية الابتدائية بالمنيرة ، وفيها برز وتفوق على أقرانه .

وكان لنشأته في بيئة كلها ثقافة وأدب وسياسة دور كبير في تكوينه الأدبي ، حيث كان والده يعقد صالوناً أدبياً يجتمع فيه أقطاب الرأي وقادة الفكر وأعلام الأدب والصحافة والسياسة .

وعندما أنجز دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة السعيدية الثانوية وفي تلك المرحلة برزت موهبته الأدبية وكان أمير الشعراء أحمد شوقي من رواد الصالون ، فأولى أحمد عناية خاصة رغم أن محاولاته الأولى كانت إرهاصات اتسمت بالطلاوة والرقة .

وبعد أن أنجز أحمد دراسته الثانوية التحق بكلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٢٤ .

وبجانب قصائده الشعرية كان ينظم أغاني باللهجة الدارجة بأسلوب راق وقد ساءه أن يجد أن مستوى أغنيات تلك الفترة كان هابطاً ومبتذلاً يغلب عليها طابع الإثارة والخفة مثل أغنية « ارخي الستارة إللي في ريحنا أحسن جيرانك تجرحنا » ، وأغنية « يا بتاع النعناع » للمطربة بهية المحلاوية :

يـــا بتـــاع النعنـــاع يـــا منعنـــع
يـــا بتـــاع النعنـــاع يـــا واد أنـــت
ودينـــــي بلـــــدي واديلـــــك
بوســـة مـــن خـــدي وأوهـــب لـــك
مـــالي وأموالـــك وأحـــوش لـــك
حـــوض مـــن النعنـــاع يـــا منعنـــع

ومثل أغنية « توحيدة » :

مـا تحسبوش يـا بنـات إن الجـواز راحـه
أول سبوع يا بنات على الفرش مرتاحه
تـاني سـبوع يـا بنـات خوخـة وتفاحـه
تالـت سـبوع يـا بنـات حـاتي رداحـه
رابـع سـبوع يـا بنـات في البيـت نواحـه
خامس سبوع يا بنات على القاضي سواحه

ومن أشهر أغنيات منيرة المهدية التي اشتهرت يومئذ :

قمـر يـا قمـورة يـا محنـي ديـل العـصفوره
إن كنـــت خـــايف مـــن أبويـــا
أبويـــا عـــدي المنـــصوره
وإن كنـــت خـــايف مـــن أمـــي
أمـــي عليـــك ســـاتوره
وإن كانـــت تايـــه عـــن بيتنـــا

بيتنـــا قـــصاده دحـــدوره
وإن كنـــت تايـــه عـــن اســـمي
اســـمي منـــيرة الغنـــدوره

فكانت كلمات أغنيات أحمد عبد المجيد التي تغنى بها الموسيقار محمد عبد الوهاب ما بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٣٠ انطلاقة واسعة للأغنية العربية شكلاً ومضموناً، منها :

كلنا نحب القمر ، مريت على بيت الحبايب ، ما كانش ع البال ، خايف أقول اللي في قلبي ، حسدوني وباين في عنيهم .

ووجد النقاد في تلك الأغنيات روحاً جديدة ومعاني مبتكرة أصيلة وقد نالت إعجاب أمير الشعراء شوقي ، حيث نصح عبد الوهاب بأن يتغنى بكلماته.

وفي عام ١٩٢٨م أصدر أحمد عبد المجيد كتاب « مجموعة شعر » تضم أغنيات بالفصحى والعامية .

تخرج أحمد عبد المجيد في كلية الحقوق عام ١٩٢٨ بعد حصوله على شهادة الليسانس في القوانين فاتجه إلى ميدان العمل في المحاماة ، فاشتغل لفترة في هذا المجال وأثبت فيه كفاءة وقدرة عالية ، فعين وكيلاً للنائب العام ، وفي عام ١٩٣٠ التحق بالسلك الدبلوماسي ، حيث تنقل في مختلف السفارات والمفوضيات والقنصليات في أكثر من عشر دول منها لبنان وفلسطين وتركيا وإيطاليا وفرنسا ، وأثناء عمله الدبلوماسي كان لا يكف عن تسجيل أحاسيسه ومشاعره وكان الشعر أداته في تصوير ما يجيش في صدره من عواطف وأحاسيس وغلب على شعره اللون الرومانسي الحالم ، الذي يحلو لعشاقه التغني الحزين الذي يدغدغ حواس المستمع ، ويحمله إلى دنيا من شجن لطيف ولحن أليف . مثل قوله في قصيدة « موكب الذكرى » :

يـــا حبيبـــي إننـــي حطمـــت راحـــي
أنـــت دنيـــاي أفراحـــي وراحـــي

مــادري غــيري بــشجوى أو نــواحي
عــزني الأســى فأخفيــت جراحــي

وفي تلك الحقبة من حياته مر بتجارب حب في كل بلد عمل فيه ، وكان دائماً يأسى للفراق مثلما يصف لحظة فراقه عن محبوبه :

عنـــدما حــان النــوى اشــتد عنــاقي
وسرت في الجـــو أنفـــاس اشـــتياقي
وبـــدت ســـهمة حـــزن في المـــآقي
أيهـا الـساقي قـد مـضى عهـد التلاقـي
وانطــوى لــيلي وهــذا الــشوق بــاقي
يــا لروحــي في غــد مــا تلاقـــي

أغاريد الحب والوداع

في سنواته العشرة الأخيرة (١٩٧٠-١٩٨٠) عاش أحمد عبد المجيد كـالوتر المشدود يشده الجمال ، ويعذبه الحرمان ، وتضحكه البسمة ، وكأنه يعشق لأول مرة وكأنه نسى كل ما مر به من قصص حب تراوحت فيها أنغام الوصال والهجر واللقاء والحنين والغضب والرضا ، وعاش تجربة حبه الكبير مع تلك الملهمة المثقفة الجميلة والتي تجمع في حبها لديه مشاعر المحب والأب والصديق فأحالت حياته أتونا من مشاعر الرضا والغضب والغيرة والسهاد والحنين والتمرد !

لقد جاءه هذا الحب في خريف العمر بعد أن جاوز السبعين ، وكان يعاني في تلك الحقبة الوحدة ، فلا ولد يؤنسه ، ولا عمل يشغله سوى القراءة والكتابة ولا صديق مخلصا يخفف عنه العناء إلا فيما ندر ، فجاءت هذه العاطفة وكله أمل أن تملأ حياته بالبهجة والرضا والسعادة ، لكنه عانى في هذا الحب العذاب

والحرمان ، وكان يردد دائماً لي أن بعض الأدباء يظنون أن أقوى حب وأبقاه وأمتعه هو الحب المحروم ، ذلك الحب الصامت اليائس المستوحش الذي يرسل أروع الصرخات وأعذب الأنغام لكن ليتهم يعلمون مدى عذاب مثل ذلك المحب وضناه ، وتقلبه على نيران الغيرة والسهاد والحنين والحرمان ! وكنت أنظر إليه في تلك الحقبة وكأنه طائر جريح يغني طول حياته بمفرده ، وإن كان يعزينا دائماً أنه ليس وحده الذي يتعذب ، بل كانت ضريبة حب العظماء دائماً هكذا ، فهم لا يحبون بالجسد بقدر ما يحبون بالقلب فقد استطاع أحمد عبد المجيد في حبه المحروم أن يتغلب على الأنانية ، وحاول أن يقهر الغيرة ، وأن يسمو بمشاعر الوجدان والروح ، فقد تفوق على الغيرة في حبه النقي لتلك المرأة التي كان يعلم حق العلم أنها تحب زوجها وتخلص له ، فلم يتبرم بها ولم يسخط عليها بل قدر فيها سمو أخلاقها ونبل طباعها وكان سعيداً برؤيتها مطمئنة وسعيدة في صحبة زوجها، فكان أحمد عبد المجيد مثله مثل عظماء العشاق الذين عبر عنهم الكاتب إبراهيم المصري . فكانوا مضرب المثل في الحب الصحيح : الحب المنزه عن الأنانية والغيرة ، الحب القائم على إسعاد الحبيب ، الحب النابع من الروح لا من الجسد فقط ، الصادر عن الرغبة العميقة ، في الولاء المطلق والتضحية .

أغاريد الرحيل

كانت السنوات الخمس الأخيرة في حياة أحمد عبد المجيد (١٩٧٥-١٩٨٠) فترة معاناة وضني تقلب فيها على أتون من القلق والشك والسهاد ، بسبب هذا الحب المحروم اليائس الذي جاءه في خريف العمر ، والذي كان ينشد فيه السلوى وتعويض ما فاته من الاستمتاع بالأبوة التي حرم منها حيث كان يعيش هو والسيدة زوجته بشقته بشارع قصر العيني ، وأذكر أنه قال لي ذات مرة والمرارة تغمر صوته :

« يبدو أن الله قد عاقبني على أنني بطرت على الأولاد ، فلم أرزق بولد يؤنس حياتي في سنوات عمري الأخيرة » !

وعندما دخل الحب حياته عام ١٩٧٦ نشد في هذه العاطفة الحب الروحي ، والأبـوة الحانية ، لكـن تقلـب أطـوار الحبيبـة ، وإحـساسه بأنهـا لم تفهـم عاطفته الأبوية الفهم الصحيح ، وغيرته التي كانت تستبد به بسبب طبيعة عمل الملهمة التي كانت تجعلها تتعامل مع العديد من الشخصيات كل ذلك أثر في نفسيته وجعل أعصابه مشدودة ، في تلك الحقبة ، وأذكر أنني تعرضت منه لإحدى تلك الانفلاتات العصبية في فترة معاناته وإن كان قد اعتذر فيما بعد عن ذلك .

وكان كثير الشكوى والأسى على ما يعانيه من تقلب أطوار ملهمته بجمالها الشامخ الرصين فكتب يقول لي في إحدى رسائله :

« كلما عانيت حب من أحببت ، وصادفني منها ما كنت على ثقة من أني ملاقيه ، أعود من لقائها وأنا مهيض الجناح ، كسير الخاطر ، شارد الفكر ، متجدد الأمل في لقاء قد يكون أكثر حظاً ، كالمقامر الذي يتمنى كسباً بعد كل خسارة ، ثم أراني أبحر في تيار كلمة عميقة رقيقة مفادها : « أزكى الورود أكثرها شوكاً » !

وكتب يستجديها الوصال والحنان :

ليلاي .. ليتك ليلة تسقينني خمر الرضاب
يا من سعدت بقربها ، وأضر بي لمع السراب
لا تعذليني إنني شيخ تمرس بالعذاب
يشكوك ما صنع المشيب به وما صنع الشباب

وعندما أحب الشاعر العاشق في خريف عمره تلك الملهمة الحسناء المثقفة التي عذبه حبها ، أحس أن كل شيء حوله يتبدل ، وأن الصلة قد انقطعت بينه وبين ماضيه ، وأنه قد ولد من جديد ، فأصبح كل شيء حوله رائعاً جميلاً باسماً .

ومضت حياة أحمد عبد المجيد خلال العام الأخير من حياته عام ١٩٨٠

يكابد اللوعة والحرمان ، والظمأ ، للحب الصادق ، والحنان الدافق ، والقلب الرحيم الذي يواسيه ويخفف عنه .

لقد أعجب بملهمته المثقفة بجمالها الشامخ وحديثها العذب الطلي ، وبذكائها وأنوثتها الغامرة فأحس أن تأثيرها قوي في كيانه ، وخيل إليه أن كل ما حوله ينطق بحديثها ويتجسم في صورتها ، في يقظته ومنامه .

استولت عليه وتمكنت منه ، فسهر وسهد ، وغار ، وغضب من صدودها وبعدها عنه : لأن ظروفها الاجتماعية حتمت عليها التحفظ لأنها زوجة وأم تعيش في مجتمع محافظ رغم ثقافتها وسعة أفقها ، لكنه كان يأمل أن تملأ حياته وتعوضه سنوات الجفاف والحرمان بعد أن أحيل للتقاعد ، وتفهمه كأب افتقد الأبوة ويحتاج للحنان والعطف والحب الصادق ، وفي وسط عذابه ، وسهاده وتخبطه حاول أن ينساها ويتحرر من حبها الغلاب ويقهر ضعفه حيالها ، لكنه كان ينهزم أمام طيفها ، وهمسات صوتها الذي كان يطارده في صحوه ومنامه ، فينتابه ما يشبه الصداع والإحباط ، فيستوحي منها قصائد يبثها فيها مشاعره . فمرة يجعلها ملاكاً سامياً وطيفاً نورانياً يملأ حياته نوراً وبهجة ، فيستعذب عذابه في حبها وضناه في صدودها وإعراضها عنه ، ومرة أخرى يئن بالشكوى من تعذيبها له وتنكيلها بأعصابه ، وفي كلا الحالين كان مستسلماً لطيفها ، لا يعرف الراحة ولا السلوان !

لم يستطع هذا القلب الحساس الرهيف أن يصمد طويلاً أمام هذا الصراع الحاد الذي دمر أعصابه وأنهك قواه ، وجعله كالطائر الجريح الذي يتخبْط في شراك أوهام الحب وسرابه لقد عذبه هذا الحب ومزقه ، فتناثرت شظاياه قصائد شجية آسية مملوءة بالوجد والهيام والعذاب . لكن طبيعة حواء بتلونها لم تدرك أن مثل هذا القلب الحساس الصادق لا يستطيع تحمل آثار تلك المناورات

والمداورات وفنون الدلال . فكانت الحيرة وكان الشك ، ثم كان هذا الانهيار الكبير ففارق الحياة وهو مكلوم القلب . حزين الروح ، معذب النفس ، فسرعان ما انهار هذا القلب العاشق وفارق الحياة في ١٠ من أكتوبر عام ١٩٨٠ وعلى شفتيه ابتسامة صافية وكانت آخر همساته قبل أن يودع هذه الحياة إلى الملهمة التي عذبته وأضنته:

أنـــا لـــست أطمـــع في فكـــاكي
مـــــن شـــــباكك أو أذاك
وعـــلام والـــدنيا تمـــد إليّ
أســـباب الهـــلاك

وبعد رحيله وجدت على مكتبة قصيدة لم يكملها كانت من وحي ملهمته التي أحبها بكل الصدق والوفاء ، لقد صنع من ملهمته تمثالاً رائعاً خلع عليه أحلام قلبه المشبوب ، وآمال روحه الظمأى إلى الحب المثالي المنشود ، وشرع بطبيعته المرهفة ، وقوة مخيلته ، وسعة أفق تصوره يرتل في محرابها أجمل أناشيد الحب والتقديس فكان يراها في نفسه ، وفي وحيه ، وفي شعره ، وفي شتى مظاهر الطبيعة ، وطيفها ما يفتأ يطارده في صحوه ومنامه .

كانت ملهمته معجبة بعمق تفكيره ، وغزارة ثقافته وحبه النادر المثالي لكنها كانت في ذات الوقت يغلب عليها الطابع العقلاني الواقعي الذي يرتبط بالعادات والتقاليد الشرقية ، وطبيعة ظروفها العائلية .

ولكن شاعرنا الرومانسي الحالم المحتاج للحب والحنان ظل يرسل أناشيد الحب والجمال ، ويدبج عشرات الرسائل المفعمة بعاطفته الفياضة ، وليس أمامه سوى ملهمته ، يرتل لها تلك الأناشيد وكان همه الدائم :

في معبـــدي ناجيـــت طيفـــك خاشـــعاً
ونـــداي في ســـمع الـــدجى ترتيـــل

وفجأة شعر أنه ضيع في الأوهام عمره ، وأن أناشيد الوجد والحب التي رتلها في محراب حبها ليست إلا مجرد سراب .. فأصابته الطعنة في قلبه الحساس ، فأصبح تائه الفكر ، مشبوب الحواس ، ينادي أمله المنشود دون جدوى ، فيعود ليستعيد ذكراها ويرتل في محراب حبها الضائع ، وكما ينشد الغريق ملمس الحطام ، فهام بالصمت ، وكلف بالوحدة ، وانكمش وانطوى على نفسه واستبد به طيفها ، راوده وأذهله وسحره ، لكنه أفاق عن حلمه الجميل فلم يجد أمامه وحوله سوى السراب الفاجع فتهاوى وفارق الحياة وهو يرتل أنشودة الحب والوفاء !

أحلى قصائد الحب

عند أحمد عبد المجيد

مراح الصبا (*)

الـــصبر إلا عـــن هـــواك جميــــل
ورضـــاك وإن ضـــنّ الزمـــان بـــديل
يـــا أنـــس أيـــامي جفـــاك مذلـــة
ورضـــاك إن يومـــا بـــذلت بخيـــل
ولكـــم يعـــز الـــصبر في دنيـــا الهـــوى
ونفـــاد عمـــري في هـــواك قليـــل
وخـــبرت كـــل كريمـــة وضـــنينة
لكـــن ضـــنك مفـــرد وأصـــيل
يـــا مـــن خفـــضت لهـــا الجنـــاح معـــزة
صـــوني وفـــاء لـــيس منـــه قبيـــل
في معبـــدي ناجيـــت طيفـــك خاشـــعا
ونـــداي في ســـمع الـــدجى ترتيـــل
اصـــغي إلى همـــسي إذا وافى الـــدجى
فالليـــل بـــين العاشـــقين رســـول
النـــرجس النعـــسان صـــفّق للنـــدى
ونـــداك عنـــدي يـــوم صـــفوك نيـــل
وجفـــاك معلـــوم المطـــالع ســـابق

(*) من ديوان نجوى / مخطوط .

وصــــفاك إن يومـــا رضـــيت عليـــل
صـوني هـوى أنـا مـا عرفـت لـه مـدى
إن حـــال ضـوء الــشمس لـيس يحـول
إن عـــزني في الحـــب قلـــب معـــرض
فالـــصب إن عـــز النـــصيب طويـــل
أحيـــا بـــه ، بعذابـــه ، بـــسرابه
والحـــب لا يبقـــى عليـــه ملـــول
وســـواي مغلـــوب فقلبـــك نـــافر
وعـــصيٌّ حبـــك لـــيس منـــه مثيـــل
أحيـــا بقلـــب تـــشتهي دقاتـــه
لـــو أنهـــا نطقـــت لـــرحن تقـــول
يـا طيبهـا حـرق الجـوى عنـد النـوى
وجـــواك موفـــور الأذى موصـــول
وأغـــار منهـــا وهـــي في نبـــضاتها
نـــشوانة ، تخـــشى الهـــوى ، وتميـــل

◆◆◆

فترفقـــي بـــصريع حـــب صـــابر
وتخـــيري فـــسواه لـــيسْ خليـــل
وتـــزودي بالـــصد حتـــى يـــنجلي
مـــن حـــول عُـــشك مغـــرمٌ وعـــذول
فـــأهيم وحـــدي في العـــذاب متـــيماً
وعـــذاب حبـــك وارف وظليـــل

صبابات

خبرينـــي كيـــف يـــشقى مـــن لـــه
مـــن جنـــي عينيـــك هـــذي البـــسمات
خبرينـــي كيـــف يظمـــأ مـــن غـــدا
عيـــشه ترديـــه منـــك النظـــرات
كيـــف أشـــقى ونعيمـــي ماثـــل
بـــين جفنـــين لغاهـــا همـــسات
هـــي مـــن دائـــي دوائـــي وأنـــا
أمنيـــات في حواشـــيها النجـــاة
مـــا الهنـــاءات التـــي ينـــشدها
شـــاعر قـــصت جناحيـــه الحيـــاة
غـــير صـــفو منـــك أبغـــي وردة
في صـــبابات ، وحـــسبي نظـــرات
ويكفيـــك مـــصيري كلـــه
وعيـــوني مـــن مـــصيري قلقـــات
حـــسب قلبـــي أن مـــا يربطـــه
بـــالوجود المـــر هـــذي اللفتـــات
هـــو هـــدى الـــشوق الـــذي أرقنـــي
واعـــدلي فالعـــدل ترعـــاه الرعـــاة
وهبـــي قلبـــي نـــصيبا فأنـــا
مـــن رعايـــا الحـــسن تحلـــو لي الهبـــات

ساعة لقاء

تمهلي يا ساعتي
ففي التأني صبوتي
دقائقي محسوبة
ودقة بدقة
وفي الحنايا خافق
يحسبها بدقة
صبرت حتى تلتقي
تعلتي بلهفتي
كيف السبيل للسنا
يضم أسمي نجمة
لبدر تم ساطع
ينير أعمي عتمة
حبيبتي أنشدها
كأنها قصيدتي
مشغولة بفنها
الهادي لأدنى غاية
فكيف ألقاها ولا
أفقدها في الزحمة

حبيبتـــــــــي وغـــــــايتي
بعـــــد اللتيــــا والتـــــي
دانـــــت بثغـــر ســـاحر
ورقـــــــة في البـــــــسمة
تخفـــي رضـــا عنـــي بـــدا
في الهمــــس أو في النظــــرة
حتـــام أصـــلي في النـــوي
نــــاراً وقـــــربي جنتـــــي

◆◆◆

والله مـــــا غـــــير اللقــــاء
لا الطـــب ، يـــشفي غلتـــي
يـــا بعـــد غـــب عـــن مجلـــسي
يـــا قـــرب خفـــف لـــوعتي



وداع

خـــافق بـــين الحنايـــا ودعـــك
حـــافظ مـــن عهـــده مـــا اســـتودعك
ذاهـــل عـــن كـــل شيء يرتجـــى
غـــير شـــأن خالـــد مـــذ شـــيعك
فالأمـــاني اســـتحالت غايـــة
للغـــد المرجـــو لمـــا يجمعـــك

◆◆◆

إن شـــدا طـــير بأفنـــان الربـــى
يـــذكر المـــاضي وأيـــامي معـــك
حيـــث كنـــا في الـــربي يهتاجنـــا
ســـجع أطيـــار تنـــاغي موقعـــك
أو رأى زهـــراً بـــدا فيـــه النـــدى
يحـــسب الأنـــداء تحكـــي مـــدمعك
إذ تـــوافيني بعـــين ثـــرة
شـــفها مـــا شـــفّ ممـــا روعـــك

◆◆◆

كـــم ســـألت البـــدر يتشـــو ضـــوءه
أحـــسب الأضـــواء تـــدني موضـــعك
واشـــتهى نجـــواي ليـــل فعـــسى
يحمـــل النجـــوى فترعـــى مـــضجعك
فـــإذا مـــا مـــر بي ريـــح الـــصبا
قلـــت خـــذ يـــا ريـــح أشـــواقي معـــك

أغنيات خالدة

هذه مجموعة الأغنيات التي نظمها الشاعر أحمد عبد المجيد وتغنى بها الموسيقار محمد عبد الوهاب في الفترة من ١٩٢٧ حتى عام ١٩٣٠ وأصبحت من التراث الغنائي المصري والعربي الأصيل والتي تجمع بين رقة الكلمات وسمو المعاني وروعة الألحان، وجمال الأداء.

كلنا نحب القمر

كلنـــا نحــب القمــر　　والقمـــر بيحـــب مـــين
حظنـــا منـــه النظـــر　　والنظـــر راح يـــرضي مـــين

❖ ❖ ❖

كـــل يـــوم يظهـــر عـــذول　　تفتنـــه ويغـــير عليـــك
وإن ســباه النـــوح وطـــال　　فيـــك أنينـــه يلـــومني فيـــك
عذّبـــه قلبـــه الـــلي مـــال　　ياما غـــيره وهـــان عليـــك
وإن شـــافني صـــابر عـــلى نـــاري　　وحـــلالي تعـــذيبك فيَّـــه
يحـــسدني ويغـــير مـــن صـــبري　　عـــلى بعـــدك مـــا تحـــن عليَّـــه

❖ ❖ ❖

وأن كنـــت يـــوم تـــرضى وتعطـــف　　حتـــــــى لغـــــــيري
أعـــيش بأمـــل أنـــك يمكـــن　　يـــــــوم تـــــــصفي لي
مـــا تقـــول لي إزاي أنـــساك　　لا أنـــا طايـــل تعـــذيب في هـــواك
ولا قـــادر قلبـــي يـــسلاك　　جرَّبـــت خـــضوعي يكفـــاك

خايف أقول اللي في قلبي

خـــايف أقـــول الـــلي ف قلبـــي　　تتقـــل وتعنـــد ويايـــه
ولـــو داريـــت عنـــك حبـــي　　تفـــضحني عينـــي في هوايـــه

أنـــا زراني طيفـــك في منـــامي — قبـــل مـــا أحبـــك
طمعنـــي بالوصـــل وفـــاتني — وأنـــا مـــشغول بـــك
عـــايز أعاتبـــه لكـــن خـــايف — يـــروح يقـــول إني باحبـــك
ولـــو داريـــت عنـــك حبـــي — تفـــضحني عينـــي في هوايـــه

❖ ❖ ❖

صـــعبان عـــليَّ أشـــوف غـــيري — عـــاش متهنـــي
راضي بقلـــبلي ويرضـــيني — صـــدَّك عنـــي
وأمـــلي قربـــك ونعيمـــي — أقـــول لقلبـــي أني باحبـــك

❖ ❖ ❖

عتاب

يـــا لاهيـــاً أيقظـــت ظَنـــيِّ — ومـــلأتَ أكـــوابي ودَنِّـــي
وســـقَيتني كـــأس الظنـــون — وخمرهـــا عبثَـــتْ بـــأمني
إني أعيـــــذُكَ أن تظـــــنَّ — الحـــب غايتـــه التجنـــيِّ
إن كـــان ذاك هـــواك — فاســـتمرئ هـــواك ولا تـــدعْني
وكـــما أردت وشـــئت كـــنْ — فهـــواي موصـــول التمنـــي

❖ ❖ ❖

أنـــا إنْ لقيتـــك في الكـــرى — ألقـــاك تُبعـــدني وتَجْنـــي
مـــا ضَرَّ لـــو أدنيتنـــي — في الحلـــم أو أقـــصيت ظنـــيِّ
وأنـــا الـــذي أنـــشدت فيـــك — قـــصائدي وأنـــا المغنـــيِّ
وأنـــا الـــذي مـــلأ الفـــضاء — أغانيـــا ومـــلأت عينـــي
يـــا ليتنـــي مـــن بعـــض شـــأنك — مـــثلما أصـــبحت شـــأني

❖ ❖ ❖

يـــا مـــن ســـقاني الـــشهد — مـــن رضـــوانه وشـــجيت أذْني
يـــا مـــن جلـــوت لنـــاظري الأيـــام — فاتنـــة التثنِّـــي

في خطوهـــا أرج النعـــيم وقـــد حـــلا فيهـــا التغنّـــي
كـــنْ كيـــف شـــئت مـــن الهـــوى يـــا غـــافلا عـــن كـــل شـــأني
نـــــي وبينـــــك موثـــــقٌ ألا يغيـــب رضـــاك عنّـــي

❖ ❖ ❖

الصمت الهاتف

يـا حُلـوة التوديـع صـمتك هـزّني وأنـا الـذي أبكـاه مـا أبكـاكِ
أخفيـتِ دمعـاً مـثلما أخفيـتُ وأنـا الـذي أفنـى الـدموع هـواكِ
وطويـتُ مـا بـين الجـوانح والحَـشَا مثـل الـذي أخفيتـهِ وشـجاك
حتى التقى دمعي ودمعك في الكرى ولثمـت في وَلَـه المتَـيَّم فـاك
ورأيتنـي في الحلـم بـين مفـاتنٍ من صَـفْو ماضـينا ومـن ذكـراك

❖ ❖ ❖

يـا حلـوة العينـين ذِكـرُك نـاضرٌ أسـقيه مـن عينـي التـي ترعـاك
وأصـونه في العـين أو إنسـها فـإذا نظـرت فـلا يـبن سـواك
يـا ليتنـي نغـمٌ بـسمعك هـائمٌ يختـال لـو نطقـت بـه شـفتاك
هـل تـذكرين الـضفتين وعهـدَهُا وهُيـا روحـي في سـماء رضـاك
والنيـل يجـري أسـمرا متهاديـاً يهفـو إليـك برغبـة النُـسَّاك

❖ ❖ ❖

في الـصدر واهٍ لا يقـر قـراره أبـدا يحـنُّ إلى زكـيِّ جَنَـاك
قـد راعـه بُعـدي وبُعـدك حقبـة ورأى منـاه عزيـزة الإدراك
فمـضى إلى الـذكرى يعـاقر خمرهـا حتـى أضـاع صـوابةَ ربَّـاكِ
كيـف الوصـول عـلى جنـاح تـوهُّمي لِحِمـاك والـوهم احتمـى بحِمـاك
صـوني عهـودا كالنـدى في طهرهـا وعهـود حبـك ترتـوي بنَـدَاك

أين أنا؟

أيـــن أنـــت الآن أو أيـــن أنـــا ... يــا هنــاء العــين يــا وحــي المُنــى
إننــي يــا أنـــس أيــامي هنــا ... أحــسب الأيــام قــد عــادت بنــا
حيــث كنَّــا إن عــدمنا الأمــن ... والأمــــن عزيــــز في الهـــوى
تتمنَّـــــى مـــــزج روحينـــــا ... كراحينــا فــلا نخــشى النــوى

❖ ❖ ❖

حــين نلقــى الليــل في الأفــق حَبَــا ... نــسبق الليــل إلى تلــك الربــى
بـــين أفـــراح تناهـــت طربـــا ... تبعــث النــشوة في النهــر النمــيرْ

❖ ❖ ❖

أو حَنَــا الــضوء عــلى هــام الــشجرْ ... بــين همــس الطــير مــن فــرط الحــذرْ
لا نُبــــالي إن طوانــــا أو نــــشر ... إنــما يــسرى الهــوى مــسرى العبــيرْ

❖ ❖ ❖

كــــما تــــساجلنا الحنــــانْ ... وتناســـــــينا الزمـــــــان
وتغنَّينــــــا أمانينـــــــا ... إذا مـــــا البعـــــد حـــــان
واصـــطفانا الحـــب في إقبالـــه ... نـــاشرا في الجـــو أنفـــاس الحنــينْ
دَبَّ منـــا الـــشوق في أوصـــاله ... فاغتــدى يحنــو عــلى القلــب الطعــين
يــا هنــاء العــين يــا وحــي المنــى ... إننـــي أنكـــرت أيـــامي هنـــا
أيـــن أيـــامي ومـــا أوحـــت لنـــا ... أيـــن أنـــت الآن أو أيـــن أنـــا

❖ ❖ ❖

حديث

تلفّتــتْ ثــم قالــت وهــي باســمةٌ ... كــأنني لا أرى مــن حولنــا أحَــدا
ولّي الرقيــبُ ونامــت عــين حاســدنا ... أو غــاب عاذلُنــا أم ذاك منــه بَــدَا
فقلــت يــا ضــوء عينــي لم يغــبْ أحــدٌ ... والناسُ مــن حولنــا ترنــو لنــا حــسدا

لكنَّ سحر الهوى ألهى بصائرنا وذاك من سحره أنْ ظلَّ متَّقدا
تبارك الحب ما أندى تساَجله والله في عون من بصلاه منفردا
فمن رآنا بحمد الحب يحسبنا أنا غدونا كلاتـ واحداً أحَدا
ومن نراهُم بعين الحب نَحْسبهُم طيوف.حُلم كرَى والصوت رجْع صدى

❖ ❖ ❖

كيف أنسى

قالت ستنساني إذا طال المدى وتروُحُ غير مقيدٍ بتوددي
وكما نسيت على الزمان كواعباً تنسى هواي وما الهوى بمخلَّد
فاهنأ بإقبال الزمن وطيبه واشرب على طَللَ العهود وعربدِ

❖ ❖ ❖

قلت اسمعي عصف الهوى في أو إن أردت كما عهدتكِ فاعتدي
شرف الهوى في أن يدوم وفاؤه وهوى الوفاء على الدوام مقيِّدي
وهواك بين جوانحي متجدِّدٌ قسما بحق شبابك المتجدد
لا تسأليني كيف أبقى ذاكرا فأنا الأمين على غرام مُسعدي
لا تسأليني كيف أبقى صابراً فأنا الذي بضياء روحك أهتدي
وأنا الذي سكنت حَشاه صبابةٌ عصماء تزهو بالوفاء المفرد

❖ ❖ ❖

أنا إنْ نسيت فكيف أنسى ثغرها أيضلُ ظمآنٌ سبيل المورد
أنا إنْ نسيت فكيف أنسى شعرها من مُطْلقي من شعرها المتمرد
أنا إن نسيت فكيف أنسى نهدها ياما أجلّك فوق صدر بمسجدي
أنا إن نسيت فكيف أنسى خصرها ما في الغصون كخصرها المتأوِّد
يا ظبية البيد اتَّقي شرر الهوى فاحب يُجزى أين كان المعتدى

❖ ❖ ❖

إني رأيت بعين ظني أنني ألقاكِ من بعد انتظاري في غدي

فتسائلين النفس مَن ذاك الذي ... يرنو إليّ بنظرة المتعبِّد
أين التقينا ؟ أين كان لقاؤنا ؟ ... ومتى وكيف ؟ فهل نسيت قصائدي
وإذا عَيِيت عن الجواب فإنّني ... من كان يُدعى إن نسيتِ بأحمد

❖ ❖ ❖

همسات ظني

أغار عليك من همسات ظني ... وحسبي أن أغار عليك منّي
وأنت هنيَّة في روض حبي ... وتسقين الخواطر خمر ظنّي
وفي عينيك آثام الليالي ... بدتْ لعيون ظنّي لا لعيني
فأين نظرتِ تبتعثين همّا ... يداعب كلّ صبٍّ بالتمني
وأين خطرت تنتزعين أمناً ... وما برحت عيون الغيد تجني
ومن شفتيك ينسرب ابتسام ... يُضلل من يلاحقه ويُضني
دعيني أبتغي أمناً لروحي ... وهيهات الأمان وأنت شأني

❖ ❖ ❖

ملكتِ خواطري فنسيتُ أمسي ... وأنكر حاضري إن غبت عني
وأنظم فيك من دمعي عقوداً ... ومن شعري أغاريد التمّني
وفيك تطيب ألحاني وتسمو ... فأنت قصيدتي وأنا المغنّي
فإن أعرضت سال اللحن يبكي ... وإن أرضيت قلبي طاب لحني
تعَالَيْ واخطري في خفْق قلبي ... تعَالَيْ وامرحي في جفْن عيني
تعَالَيْ أنت من دنياي همّي ... وأنتِ قصيدتي وأنا المغنّى

❖ ❖ ❖

من وحي النيل

وزْقاء غنَّت على أيْكِ لتشجينا ... يا ليتها علمتْ ماذا تُغنّينا
صدَّاحة اللحن إلا أنه نغمٌ ... لم يقْوِ يوما على إرواء صادينا

نـوحي بنجـواي إن يممـت ربوتهـا وذكّريهـا ـ إذا شـءت ـ ليالينـا

وبلغيهـا ـ وقـد شـطّ المـزار بنـا أنّـا عـلى العهـد إنْ غِبنـا مقيمينـا

يـا جـارة النيـل أيـامي بكـم سـعدتْ والنفس كـم نعمـتْ في ظلّهـا حينا

يـا جـارة النيـل بـاب الحُلـم سـامرنا وفي مغـاني الكـرى أمـسى تلاقينـا

بـالله يـا طيفهـا زُرني إذا غفلـتْ عينـاي ـ أو أرِقـتْ ـ والليـل حادينا

قـم اروِ عنّـا إليهـا مـا أكابـده أو غابـك عنّـا فقـد جفـت مآقينـا

❖ ❖ ❖

يـا جـارة النيـل هـل مـن آجـلٍ مَـرح يضْوي له الغيب من بُشرى تلاقينا

صـوني عهـود ليـالٍ طـاب موردهـا فـما لقيـت لهـا مـن بَعـدكم لينـا

يا سـعد مـن بـات شذْو النيـل يُطربه ويـا هنـاءة مـن يـشقى بوادينـا

❖ ❖ ❖

من وحي الراين

النهر الأسمر

غَـنِّ يـا أسـمر واجـري مـثلما يفعـل فكـري

أيـن مـن واديـك وادي النيـل مزدانـا بنهَـرْي

لي عـلى شـطّيه يـا أسـمر آمـالي ووكـري

لي عـلى شـطّيه سـمر إليهـا الـرئح تَـسْرى

كـم عـلي شـطيه سمـرائي تغنَّـتْ لي بـشعري

تـسمع الـدنيا أغـا نيهـا نـستَمهل نجـري

❖ ❖ ❖

كـم تبادلنـا وفـاء صُـنْتُه مـن عـين دهـري

لا أراني الله يومـاً تبتغـي لي فيـه هجـري

إنهـا دهـري وأيـامي وزادي وهـي عمـري

إنهـــا والله بعـــــد   الله إيـــماني وذُخْـــري
إنـنـــي يـــاعزّ إنْ أسرفـــت   لي في الحـــب عُـــذري

❖ ❖ ❖

دنيا

يـــا هـــاجري دَعْنـــي أراكْ   فـــالكون لم يـــشمل ســـواك
فلأنـــت دُنيـــا يحتَـــسى   منهـــا المفـــاتن مـــن يـــراك
ولأنـــت كـــونٌ قـــائمٌ   فيـــه الـــسلامة والهـــلاك
فيـــه الـــصبا والحـــسن   والوصـــل المعلّـــق بالـــشراك
فيـــه الـــرضى والـــصفو   والخـــير المؤمَّـــل في صـــفاك
فلـــئن أبَيْـــت عـــليَّ أن   ألقـــاك لم أعـــدم رؤاك
والعـــين إن جاوزتهـــا   فـــالحُلم يَعـــرض لي بهـــاك
والـــروض يلقـــاني فـــألقى   في أزاهـــره لمالـــك
والـــنجم في لألائـــه   وســـناه لا يعـــدو ســـناك
أو إن تجهَّـــم لي الزمـــان   وضـــنَّ ذكـــرني جفـــاك
والخـــير في دنيـــاي يـــا   دنيـــاي مـــن غـــالي رضـــاك

❖ ❖ ❖

أنـــا يـــا حبيبـــي عاشـــق   أســـتاف في الـــدنيا شـــذاك
فلـــئن صـــبوتُ إلى الجـــمال   ففـــي الجـــمال أرى أخـــاك
ولـــئن نهلـــت الحـــسن مـــن   دنيـــاي لا يغنـــي غنـــاك
إني ســـألتك بـــالعيون   الـــسود مـــذكنّ الـــشّباك
أن تـــرحم الخفّـــاق في   صـــدري ودعْ عينـــي تـــراك

❖ ❖ ❖

حجبـــوك عنـــي يـــا حبيبـــي   أم هـــوى غـــيري دعـــاك
حجبـــوك لـــما أيقنـــوا   مـــن صـــبوة ملكـــت نُهـــاك

لهفـي عليـك وقـد تكـون　　عـلى فـراش مـن ضـناك
يـا ليـت بي فـوق الهـوى　　هـذا الـضنى ممـا عَـرَاك



سراب الأماني

تسأليني كيف أصبحت وفي عيني الجوابْ ؟
اقرئي فيها سطور السهد من ماضي العذاب
وانظـري منهـا إلى قلبـي لعـلّ القلـب ذابْ
واسأليه اليوم عنيً نحن في البلوى صحاب
كلّـما حذّرتـه مـن يـوم صـدٌ واغـتراب
قـال هـذا الـشأن شـأني أجـره لي والعقـاب
إنـما عـشقي فنـونٌ لـيس يحويهـا كتـاب



يـا رعـي الله مُحيًّـا ضـاء مـن بـين الـسحاب
مالئـاً آفـاق روحـي　بالأمـانيِّ العِـذاب
يـوم أقبَلـتِ وفي عينـي وعينيـك الجـواب
يـا تُـرى يـا مبعـث الوحي أمانيـك كِـذاب
فـالمنى شـيَّعتها مـن قبـل أن تُمـسى سراب



يـا رعـى الله ظلامـا　وقـد طوانـا في حجـاب
وانتحينـا وحـديثي آهـة الـشوق المـذاب
وانـصرفنا عـن شـئونٍ تتهاداهـا الـصحاب
نبتغـي مـن لمـس أيـدينا عناقـاً أو عتـاب



من عيون النرجس النعسان غشي باضطراب

خشية الواشين مذ كانت وشاياهم ضباب
والهوى الغالي شموعٌ نفتديها بالرقاب
دارِ شَمع الحب يبقى في ضياء والْتهاب
ما لقلبينا لفرط الحب ناءا بالرِغاب
ما لعينينا لفرط الحب تهمى كالسحاب
ما لأيدينا أمانيها تناءتْ بارْتياب
آه لو نامت عيونٌ وتهادينا وغاب
بادليني بالهوى من قبل أن يمضي الشباب
وَصِلي ما بيننا فالوصل ضَمٌّ واقتراب

◆◆◆

وعود

أيا ليته ما وَعَدْ ويا ليته ما ابتَعَدْ
فلو أنه حاضرٌ بديلَ النوى ما وَعَد
ولكنَّ خُلْفَ المواعيد طبعُ الهوى والغَيد

◆◆◆

إعراض

يا مُعرضاً عن غرامي ومُمعناً في جفاه
وَغائباً عن مُحبّ وساكنا في حَشَاه
لبىَّ ندائيَ طيفٌ أسعى إلى رؤياه
ثم انثنى الطيف عنِّي إلا شذا ذكراه
قُل لي السبيل لألقى مرآك أو مرآه

◆◆◆

أوهام

أنتِ التي عبثَتْ بأمْني وملأتِ بالأوهام ذَنِّ
يا حبذا كأسٌ مُشعشةٌ بأطيافِ التمنِّي
كان المرام ولم يزلْ أنشودة والشعر فني
أمضي أرتلها ولا أصغي إلى همَسات ظنٍّي
وغدا هواك صبابتي وغدوتِ أنت جميع شأني

◆ ◆ ◆

لا أشتكي حُرق الغرام إذا نأى بالوصل عَنيّ
فأنا الذي رضع الجوى وشدوتُ بالشجَن الأغَنِّ
فإذا شربت اليوم كأسك لا يُروِّعني التجنيِّ
وإذا ضننتِ فإن طيفك يا ضنينة لم يَدَعْني
ألقاه في صحوي وفي حُلُمي وفي خَلَجات جفني
وأكاد أفضي بالذي أخفيه والأسرار تُضني
وأهم بالطيف الحبيب أضمه لو كان يُغني
هيهات أغْنَى عن مذاق الخمر بالحب الممنى
هيهات أغنى عن رخيم الصوت بالوَتر المَرن

◆ ◆ ◆

في خاطري أملٌ وبين جوانحي مثواه مِني
لا تسأليني واسمعي ما أشتهي في رجع لحني
وَسَلِي عيونك وهي تدري كيف تُبعدني وتدني
وهواك مقسومٌ أكابده ولا ينفك يجني

◆ ◆ ◆

طالت همومي في الهوى وعدمت عند الناس أمْني
وغدوت ألقي عطفَهم نَغَماً أكذِّب فيه أذْني
فترفقي بي إن بدا لك أو دَعي قلبي وشأني

◆ ◆ ◆

بنت أوهامي

ما أنت إلا خَلقُ عيني وظلالُ حُسنك صُنع ظني
وجمال روحك من صنع توهُّمي وخيال فنِّي
وَليان غصنك صورة أنشأت فتنتها بعيني
ورنين صوتك ما جرى في مَسْمَعي إلا بإِذْني
وقْعتِه وشدوتهِ نغماً أحيِّيه لأذْني
وسبحتِ في أَفقِي وكنت لخشيتي أقصيك عني
شطِّي رقيقٌ واصطخابُ الموج في عينيك مُضني
أدنيتُ مَوْجَك وهو بَعْدُ تِعلَّة بيد التمني
وتعلّة الفنَّان أوهام تلاحقه وتضني
بيدي أثرتُ كوامنا من صبوةٍ عبثتْ بأمْني
وأقمت تمثالا جمعت شتاته من كلِّ حُسْن
هذي جنايةُ ما صَنَعْتُ فليته يرتد عني

◆◆◆

يا بنت أوهامي وصُنْع خواطري ورنين لَحني
إنا لم يَرُعْني يا فتاتي منك صَد أو تجني
فلقد حفظتِ عليَّ ماء الوجه من سؤلٍ ومنِّ
لا كان إلهامي ولا وَحْيي ولا قُرْبي وبَيْني
إني أحطم ما صنعت عساه يتركني وشأني
وأريق فوق ثراه كأس توهُّمي وخمور ظنِّي

◆◆◆

بداية

ألقاكِ باسمةً وقلبك باكي ... وأنا الذي أبكاه ما أبكاك

وأنا الذي عانى الهوى وخَبرتُه ... فتحدثت لي بالأسى عيناكِ

وقرأتُ فيها ما عفَى من أسطرٍ ... ورأيتِ في عينيَّ ظِلّ أساك

وأساكِ لا يبدو لغير مكابد ... وأنا الذي كابدتُ ما أضناك

وكتمتِ عن نهم العيون لواعجاً ... وافترَّ ثغْرك عن جوى فتّاكِ

ولقد رضيتِ من القضاء بما قضى ... ورضيتِ مؤمنةً فما أتقاك

◆ ◆ ◆

جمع الأسى قلبين لم يتساجلا ... حبّاً بحب قبل أن ألقاكِ

ولكم أراق أساهما دمع الضنى ... من بؤس أيام وغدْر شراك

وألمَّ بالعينين في وَمَضَاتها ... إشفاقُ من يأسى لقلبٍ باك

فأسوتِ جُرحي وهو بعد مُخَضَّبٌ ... يشكو الجوى وتعهَّدته يداك

ورشفتُ من بعض الثنايا خمرة ... يا طيب خمر ذاب فيه شذاك

وغدوتُ أشفق من تباريح النوى ... ولكم تعجَّلتْ النوى لولاك

◆ ◆ ◆

نهاية

طيفٌ من الذكرى أهاب بخافقي ... فأطاعه ومضى إلى لقياكِ

ورآكِ مدبرة الوداد ضنينة ... وتحدثَتْ عن زهوها عيناك

لكأنه ما جال في تلك الربى ... وأرنَّ بالترجيع في مغناك

وكأنك استروحتِ أنة نوحه ... وردته نضو المواجع شاكي

ونسيتِ من أيامه ما صانها ... وأنا الذي أبكاه ما أبكاكِ

◆ ◆ ◆

كم رجعَّت تحنانه ريح الصبَا ... وسرت تردد أمنه برضاك
وكم انتشى من عذب ما أترعته ... ورواه تهتاناً زكي نداك
ولكم أسال مدامعي فرط الرضى ... لتخيلي من بعد ذاك جفاك
أترُى رأيتِ مصيره فهنيْته ؟ ... وعلمت سر الغيب ؟ ما أهناك

◆◆◆

أسوان حار أساته في طبه ... وتعرّف العواد داء هواك
فكتمت ما أشكو وما بك رحمة ... وتهامسوا فكتمت جرح أذاك
وغدوت أخشى إن بدا لك داميا ... يذوي هناؤك بالأسى الفتاك
وترينه ملقى صريع وفائه ... ويراك باسمةً وقلبك باكي

◆◆◆

وعد

وَعْدُ الحبيب دعاني ... وأول الغيث قطَره
ورقّ قلب زماني ... وراح يبذل يُسرّه
ورن صوت حبيبي ... منادياً . ما أبره
وجاء في الليل لما ... أعاره الليل ستره
ولفّنا في ظلام ... ليل تجاهلت فجره
أغنى به عن ضياء ... يشو على الكون دره
فهو الضياء لعين ... طلابها منه نظره

◆◆◆

وظل يشرب خمري ... وكنت أشرب خمره
وكان سحر حبيبي ... من كوثر الحب سُكره
وزال عنه حياء ... وشاع في الخد حُمره
فقلت أفضي بسرِّي ... عساه يشرح أمره
ورحت أشرح أمري ... وكان يكتم سره

وشـــــاقه بــــــثّ سري — وشــــاقني مـــــا أسرّه

◆◆◆

وكـــــان يقـــــرأ شــــعراً — نظمتـــــه فيـــــه مـــــره
« ضــــممت جيـــــداً ونحـــــرا — وبـــــت ألـــــثم ثغـــــره»
فقـــــال : « يهنيـــــك وصـــــل » — وألهـــــب الـــــشرك ذعـــــره
فقلـــــت « زار خيـــــالٌ — نظمـــــت بـــــالأمس ذكـــــره
وكـــــان طيفـــــك حُلمـــــي » — فقـــــال : « هـــــاجر ذكـــــره
واليـــــوم جـــــاء بوعـــــدٍ — فقبّـــــل اليـــــوم ثغـــــره





علي محمود طه

الملاح التائه

بين « أنيتا » و « فاطمة » !

أيها الهاجر عز الملتقى
وأذبت القلب صداً وامتناعا
أدرك التائه في بحر الهوى
قبل أن يقتله الموج صراعا
وارع في الدنيا طريداً شارداً
عنه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
ضل في الليل سُراه ، ومضى
لا يرى في أفق منه شعاعا



علي محمود طه

شاعر الجندول علي محمود طه وحبه الأول المجهول !

يعد الشاعر المصري الخالد عي محمود طه (١٩٠١-١٩٤٩) ؛ من أعلام شعرنا العربي المعاصر الذين أثروا شعرنا العربي بأرق أنغام الحب والجمال وقد عاش . شاعرنا كملاح تائه في بحار الحب والجمال ، يبحث عن الحبيبة المنشودة ، والأمان المفقود ، فقد عاش قصة كان هو بطلها وهو مؤلفها وهو مخرجها ، وهو صاحب الموسيقى التصويرية المصاحبة لأحداثها ، وكانت القصة ، من ثلاثة فصول : انطواء حزين دامع ، ثم اندفاع في سبيل الملذات ، ورهن متلف ، ثم عود إلى التأمل والفلسفة والغناء على حد تعبير السفير الشاعر أحمد عبد المجيد ، ويذكر الناقد أنور المعداوي أن حياة علي محمود طه كانت على لسانه سلسلة من الأحاديث ، وكانت في شعره سلسلة من الاعترافات .

لقد اشتهر على محمود طه في ثلاثينيات لقرن العشرين بقصيدته الغنائية الشهيرة « الجندول » التي تغنى به الموسيقار محمد عبد الوهاب حتى أطلق على الشاعر لقب « شاعر الجندول » نظراً لمكانة هذه القصيدة الغنائية بين الشعر الغنائي واعتبارها نقطة تحول حاسمة في مسار الأغنية العربية المعاصرة .



ولد علي محمود طه في ٣ أغسطس عام ١٩٠١ بمدينة المنصورة بمصر لأسرة ميسورة الحال وتلقى تعليمه الأولى في الكتاب حيث حفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بمدرسة الفنون والصناعات التي سميت فيما بعد « كلية الفنون التطبيقية» ، وفي تلك المرحلة اتجه شطر التراث العربي يقرأ فيه بنهم وتعمق فقرأ دواوين المتنبي والبحتري وأبى تمام والشريف الرضى وأبى نواس ، وبعد أن استوعب دواوين الشعراء القدامى اتجه صوب دواوين الشعراء المعاصرين له ، فقرأ أشعار البارودي وشوقي وحافظ إبراهيم وتوقف شاعرن طويلا أمام شعر شوقي الذي سحرته موسيقاه الهامسة ومعانيه العميقة وصوره الشعرية الرائعة وتعبيراته المبتكرة وشعره المسرحي الفريد ، وحفظ شعره عن ظهر قلب ، ثم بدأ

على محمود طه أثناء دراسته الابتدائية ينظم شعرا سبق به عمره .. ثم تخرج شاعرنا في مدرسة الفنون والصناعات عام ١٩٢٤ حيث عمل مساعد مهندس معماري وعين في هندسة المباني بمدينة المنصورة . وكان يحلو له قضاء أوقات فراغه عند أطراف المدينة بين المزارع الخضر والطبيعة الفاتنة وكان في هذه المرحلة من حياته يتخيل المحبوبة المثالية التي ينشدها والتي ينتظرها في ظلال الطبيعة ولكنها لا تأتي !

أنيتا .. حبه الأول

ومر في هذه المرحلة الرومانسية الحالمة بتجربة حب كبيرة كان لها أعمق الأثر في حياته وتفكيره فيما بعد ، وهي قصة حبه مع الفتاة اليونانية المتمصرة « أنيتا » ابنة ماتيو اليوناني أحد كبار تجار المنصورة ، وقد انتهت هذه التجربة نهاية حزينة بالاحباط والفراق ، للتباعد الكبير بينهما في المستوى الاقتصادي واختلاف الدين ، وحين تزوجت أنيتا من شخص آخر ظل يذرف الدمع السخين على تجربة حبه اليائسة التي خرج منها بالفشل والاحباط والأسى المتجدد .

وكان يحلو له أن يجلس وحيداً في ظلال الطبيعة في المكان والموعد الذي كان يلتقي فيه معها ولكنها لا تأتي ورغم ذلك لا ييأس بل يعود لينتظرها علها تأتي في موعدها المنتظر ويمضي يتخيل صورتها المنشودة فيناجي سرابها هائماً :

أطالع وجهك تحت النخيل ... وأسمع صوتك عند النهر
إلى أن يمل الدجى وحشتي ... وتشكو الكآبة مني الضجر
وتعجب من حيرتي الكائنات ... وتشفق مني نجوم السحر
فأمضى لأرجع مستشرفا ... لقاءك في الموعد المنتظر

الملاح التائه

في عام ١٩٣٤ نشر على محمود طه ديوانه الأول « الملاح التائه » وكانت تغلب عليه الروح الرومانسية المجنحة في بحار الحب والفن والجمال تتنازعه روح القلق والحياة وتتقاذفه أمواج الأسى والحنين باحثا عن مرفأ للراحة

والأمان بلا جدوى !

وقد استقبل كبار نقاد الأدب هذا الديوان استقبالا طيبا واحتفوا به ، وكتبوا عنه طويلا . ونبهوا إلى قيمة شاعرية هذا الشاعر المبدع وتجديداته المبتكرة في الصور والتعبيرات وعمق المضمون ، وقد كتب عنه الدكتور طه حسين فصلا مطولا في صحيفة « السياسة الأسبوعية » قال فيه عن الشاعر :

« إن شخصيته الفنية محببة إليّ حقا . ففيها عناصر تعجبني كل الإعجاب ، وتكاد تفتنني وتستهويني : فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس وفيها هذه الحيرة العميقة الطويلة العريضة التي لا حد لها كأنها محيط لم يوجد على الأرض » .

كان هذا خلاصة رأى الدكتور طه حسين في شاعرية علي محمود طه من خلال ديوانه الأول وشاعرنا في هذا الديوان حين يصور هيامه في بحار الحب والجمال وحيرته وقلقه بين أمواج الأسى وعواصف الهجران يقول :

أيها الهاجر عز الملتقى ... وأذبت القلب صدا وامتناعا
أدرك التائه في بحر الهوى ... قبل أن يقتله الموج صراعا
وارع في الدنيا طريدا شاردا ... عنه ضاقت رقعة الأرض اتساعا
ضل في الليل سراه ومضى ... لا يرى في أفق منه شعاعا

شاعر الجندول

في عام ١٩٣٨ بدأ علي محمود طه يكثر من رحلاته الصيفية إلى أوربا والتنقل بين مغانيها وشواطئها الجميلة . فشعر بالتحرر والانطلاق حيث أضافت له هذه الرحلات المرحة وترا جديدا في شاعريته الخصبة وكانت بمثابة نقطة تحول حاسمة في حياته وشعره .

وقد حكى هذه المشاهدات والأحاسيس والمشاعر الحية بعد هذه الرحلات الخصبة في ديوانه الثاني « ليالي الملاح التائه » . الذي صدر عام ١٩٤٠ والذي جمع بين ضفتيه شعر الوطنية والروح الإسلامية بأسلوب رقيق شفاف .

وقد تغنى الموسيقار محمد عبد الوهاب عام ١٩٣٩ بأنشودته الرائعة « الجندول » التي نشرت بهذا الديوان والتي استوحاها الشاعر من كرنفال فينسيا بمدينة البندقية بإيطاليا وقد أحدثت هذه الأنشودة شهرة مدوية للشاعر لغنائيتها وأسلوبها الرقيق وفكرتها الجديدة المبتكرة .

وتتجلى في قصيدة الجندول روح الاعتزاز وقوميته ، فهو في ذروة نشوته العاطفية يهمس لملهمته الأوربية قائلاً :

قلت والنشوة تسرى في لساني :	هاجت الذكرى ، فأين الهرمان ؟
أين وادي السحر ، صداح المغاني	أين ماء النيل ، أين الضفتان ؟

ويجانب أناشيد الحب والجمال مضى شاعر الجندول في شعره يغني لوطنه مصر ولأمته العربية والإسلامية كلها ، ويستعيد الأمجاد التليدة في قصائد عديدة تفيض اعتزازا بعروبته وإسلامه . فبجانب تعنيه بالحب والجمال ، فقد كان شاعرا إنسانياً مغرماً بالعلا والأمجاد ، مشاركا أبناء العروبة مسراتهم وأحزانهم ، فيقول :

أنا من يغني بالمصارع والعلا	ويشيد بالآلام والأحزان
أصبحت ذا القلب الحديد وأن أكن	في الناس ذاك الشاعر الإنساني
ووهبت قلبي للخطار ، فللهوى	شطر ، وللعلياء شطر ثاني
وعشقت موت الخالدين وعفت	من عمري حقارة كل يوم فإني

ويلح شاعرنا كثيراً في شعره على تآزر أمة العرب وتماسك أبنائها في مواجهة أعدائهم ، وقد حيا الشاعر زعماء العرب بقصيدة « يوم الملتقى » بمناسبة اجتماعهم بالأسكندرية عام ١٩٤٤ لإنشاء الجامعة العربية ، والتي قال فيها :

اليوم شيدوا كما شادت أبوتكم	شرقا دعائمه كالطود شماء
دستوره وحدة مثلي ، وشرعته	بالحق ناطقة ، بالحب سمحاء
أي التخوم تناءت بين أربعها	لها من الروح تقريب .. وإدناء

وأثناء محنة فلسطين وضياعها عام ١٩٤٨ كانت قصيدته المدوية « نداء

الفداء » التي غرد بها الموسيقار محمد عبد الوهاب صيحة تحفيز وتنبيه وصرخة مدوية للصمود والكفاح :

أخـي ، جـاوز الظـالمون المـدى	فحـق الجهـاد وحـق الفـدا
انـتركهم يغـصبون العروبـة	مهـد الأبـوة والسـؤددا ؟
وليـسوا بغـير صـليل السـيوف	يجيبـون صـوتاً لنـا أو صـدى

ورحل الملاح التائه

كان علي محمود طه شعلة متوقدة من الإحساس بالجمال في شتى صوره وألوانه ومعانيه : جمال الصداقة وجمال الكرامة وجمال الحياة .. أخلص للجمال الأول فاغترف الأحباب من نبع وفائه وآمن بالجمال الثاني فقبس الكرام من وهج آبائه .. وهام بالجمال الأخير فأنتج أعذب الألحان وأرق الأشعار على حد تعبير مؤرخه وصديقه أنور المعداوي .

ولقد كان علي محمود طه أشبه بالبلبل في حياته .. أن حلق فلا يحلق إلا في أفق يهيئ له وسائل التغريد .. وإذا وقع فلا يقع ألا على غصن يشد له أوتار الغناء ، وكان إذا طوف تخير البقعة التي تثير خيال الشاعر ، وإذا شد الرحال فإلى الأرض التي تفجر عواطف الفنان .

وظل شاعر الجندول ملاحا هائما يغرد أجمل الألحان وأعذبها سابحا في بحار الحب والجمال حتى غاب زورقه وتحطم مجدافه وودع الحياة في ١٧ نوفمبر عام ١٩٤٩ ، وأحدثت وفاته صدى حزيناً في كل من عرفه عن قرب ولمس إنسانيته الدافقة وتهر وفائه المتدفق وخلقه الرفيع ، ورثاه معارفه وأصدقاؤه أبلغ الرثاء وأعمقه وبكوا فيه الخلق الرفيع والوفاء النادر ورددوا بيته الذي ودع به الحياة :

وعشقت موت الخالدين وعفت من	عمـري حقـارة كـل يـوم فـاني !

الحب الأخير في حياة الملاح التائه !

عاش الشاعر علي محمود طه ملاحاً تائهاً في بحار الحب والغزل والجمال ، يتنقل من زهرة إلى زهرة ، ومن فنن إلى فنن منذ مولده في مدينة المنصورة ، عام

١٩٠١ حتى رحيله عن الحياة في ١٧ نوفمبر ١٩٤٩ ، باحثاً عن الحب الحقيقي الذي يروى قلبه الظامئ لمباهج الحب والجمال ، وروحه الوالهة التواقة إلى الحنان والحب الحقيقي .

لكنه ظل يجوب تلك البحار الصاخبة دون أن يصل إلى شاطئ الحب الحقيقي المنشود !

ولكن في سنواته الأخيرة لمح من بعيد طيف ذلك الحبيب المجهول الذي لاح له وسط الأمواج الصاخبة والرياح العاصفة .. لكنه ما كاد يقترب منه ، وكله أمل وحنين إلى أن يرسو زورقه الظامئ المتعب على شاطئ الأمان والاستقرار حتى وجد ذلك الطيف المنشود .. وهما وسراباً .. فتحطم المجداف .. وغرق الزورق الحالم النشوان .. وتاه الملاح التائه في أعماق اليأس والأسى والأحزان !

الحب الأخير

في سنواته الأخيرة أحس علي محمود طه أنه وحيد في هذا العالم الصاخب برغم كثرة المعارف ، وتعدد الغراميات ، واستحضر مأساة قلب الشاعر الفرنسي ألفريد دي موسيه عندما أحب بكل صدق الأديبة الجميلة جورج ساند التي تخلت عنه في النهاية ، وخشي علي محمود طه أن تتكرر نفس مأساته عندما أتيح له أن يحب المرأة النادرة التي حلم بها طويلا والتي تجمع إلى فتنة البدن ، جمال العقل والروح كان اسمها « فاطمة » من المنصورة لقد اكتشف أنه كان سريع التحول ، خيالي النظرة إلى المرأة والحياة ، وأن ما قضاه في عنفوان شبابه مطلقا العنان لغرائزه على شواطئ أوروبا الفاتنة ، يلهو ويمرح في صحبة النساء ، اللائي أمتعنه بكل ما في الحياة من ملاذ حسية سرعان ما تبددت وخلفت في نفسه فراغا عميقا ، فأحس بأسي ممض أليم ، زين له العزلة في أوقات كثيرة وشعر أن إمعانه في عشق الغواني ، زاده رغبة في المرأة الكاملة المنشودة التي كان خيالها يطوف بذهنه ، ويحتل عقله ، ويعكر صفو لياليه ، ويفعم نفسه بضرب من النظرة الحالمة الممزوجة بالضجر والتبرم والحسرة كان يخشى أن يموت قبل أن

يشعر بعاطفة حب صادقة ، كان يخاف أن يصرعه القدر وهو لم يعرف من الدنيا غير اللذة العابرة التي تزول بزوال الساعة وكان شعره في تلك الفترة من حياته (١٩٤٥- ١٩٤٩) رجع صدى نفسه القلقة في سعيها المضني وراء العاطفة المشبوبة الخالدة :

أنــا أهــواك مــن آثــام وطُهــرِ
حُلَـم إغفـاءتي وضـحَو غرامـي
أنــا أهــواكِ تُبــدعين يقينـي
مـن نـسيج الظنـون والأوهـام
أنـا أهـواكِ دفء قلبـي وينبـوُعَ
اشـتهائي ، وشِرّتي ، وغُرامـي
وحنانـا مُجـسَّداً إن طـواني الليـلُ
وسُـدَّتْ صـدَرهُ آلامـي

لقد تعرف على « قلطمة » على شاطئ ستانلي بالأسكندرية في صيف ١٩٤٧ رأى فيها فتاة أحلامه التي تجمع بين فتنة البدن وجمال العقل والروح ، كانت مع أسرتها التي لها صلة قرابة بعيدة بأسرة علي محمود طه بالمنصورة .. وجد فيها إلف روحه ، ومنية نفسه .. رأى فيها « أنيتا » حلمه الضائع ، وحبه القديم الذي لم يتحقق .

وأتاح القدر له أن ينفرد بها على شاطئ البحر بضع مرات .. فسعدت روحه وأحس أنه يحب للمرة الأولى ..

وذات يوم حزين صحا فلم يجدها ... فقد غادرت مع أسرتها المصيف عائدة إلى المنصورة بغير وداع ..

فجلس في الليل يناجي طيفها في رسالة شعرية مليئة بالشجن والأسى :

إذا أقبـلَ اللّيـلُ ، يـا حـبرتي   تفقّـدتُ في الـشط حـوريتّي
وعـدتُ كئيبـاً إلى غرفتـي   أراعـي الكواكـب مـن شرفتـي

وأشــعلُ بالوجِــد ســيجارتي فــلا البــدُر حبَّــبَ لي ســهرتي
ولا البحــر هــدَّأ مــن ثــورتي وحيـــداً تُـــسامرني فكـــرتي
أأجلـسْ يـا بحـر وحـدي هنـا ؟ فــأين مــن العــين ذاك الــسنَّى ؟
وأيــن مــن القلــب تلـك المُنـى ؟ وأيــنَ مواعيــدُ نــادت بنــا ؟
وأيـــن المـــساءُ الـــذي ضـــمَّنا لـــديك ، وألـــفٌ مـــا بيننـــا ؟
فيــا ويَــح قلبِّــي مــاذا جنَــى ؟ ليحمــل هــذا الأســى والــضنَّى ؟

واستبانت في شعر الملاح التائه في تلك الحقبة رنة أسى ونغمة حزن وشجن ولكن ذات مساء في أحد أيام شهر مايو تلقى مكالمة هاتفية من فاطمة تطلب أن تلتقيه في السابعة من صباح اليوم التالي عند صخرة العشاق بميامي .

وتعجب الشاعر العاشق من هذا الموعد المبكر الغريب خاصة أنهما كانا معاً في نفس المكان في الليلة الماضية وأخذ يضرب أخماساً في أسداس .

وسارع في صباح اليوم التالي فجلس على صخرة الملتقى ، يتأمل صفحة السماء الصافية ، وينظر إلى أمواج البحر الزرقاء يتخللها زبد الأمواج ، فتعزف سيمفونية للسحر والجمال .

ومرت الدقائق عليه ثقيلة وهو يمد بصره كل لحظة ناحية الشاطئ علها تهل عليه بوجهها الصبوح وابتسامتها المشرقة .

وأخذ يدندن بصوت هامس :

عـــــشاقنا نـــــــاموا عـــن فجرنـــا الوهـــاج
والأفـــــــق أنغـــــــام والــــــشط والأمـــــواج

وبينما هو يتلفت هنا وهناك ضيقاً من مرور الوقت بطيئاً ، وقع بصره على مظروف مغلق مكتوب عليه اسمه ، وإن بدا مطموس الحروف ، فتناوله مأخوذاً مدهوشاً ، وأسرع ففض غلافه ، فعرف فيه خط فاطمة ، فإذا هي رسالة طويلة ، خفق لها قلبه منذ سطورها الأولى ، فداخله سهوم ووجوم ، ولكنه عاد إلى تلاوتها وهو يكاد يسمع دقات قلبه الوالهة ، فشرع يقرأها متلهفاً وقلبه يخفق.

« **إلى الملاح التائه :**
كانت هذه الرسالة في جيبي ، وأنت جالس على هذه الصخرة بقربي ، أجل لا ـ حذك العجب ولا يمضي بك الغضب ، فما أردت أن أفاجئك بالملام ولا أن أنغص عليك ليلتك الجميلة وأنت معي على هذه الصخرة تصف لي فتنة القمر ، وجمال الليل على شاطئ البحر في ساعاته الأخيرة : أجل لقد شاقني خيالك ، وراقني مقالك ، ولكني كنت قد أعددت هذه الرسالة من قبل ، فلم يستطع أن يغير منها حرفا ذلك القمر أو ذاك الليل .

أين هذا الحب ؟

وأين الآن ذلك القلب ؟

أو لم تكن كل غرامياتك القديمة مزاجا من الروح والجسد ؟

إذن أين ذهبت وأين ولت ..إنك الآن لا تذكرها .. إنك لا تعرفها ، لقد أسدل عليها النسيان ستار الأبد ! ..

تقول: إن حب الروح فقير ، وأن الهوى العذري ضرب من الأوهام والأحلام ، وأن الصورة أو الرسالة في ذهن [illegible] لا تغني عن النعمة و[illegible] ، فكيف بالله إذن تنكر أحاديث هؤلاء العشاق ؟

وما لهذه القصائد والغنائيات التي تهتف بها وترسلها حافلة بحنين زاخرة بالأشواق ؟

أراك ناقما على دنياك ، أو هاربا من ذكريات صباك ، وأنت تخدع نفسك عن نفسك ، حين تقول هذا الكلام ؟

« إنك لم تعرف الحب الصحيح ، أجل أني أعتذر إليك فلا شك إنك عرفت حب الروح ولكن آلامك قد طغت عليك واستبدت بك فأنت تحاول الفرار منها بالاستغراق في ملذاتك ، وملاشاة آهاتك وأناتك في صدى ضحكاتك ! .. تقول أن الحب هو الحنان الأعظم ، وأنا أصدقك ، وتعبيرك هذا صائب ،

وتفسيرك تصوير للواقع ، ولكنك تقول أن الجسد هو أداة التعبير عن الحنان ، بل هو البرهان الذي يعطيه الروح عليه .. ولكن أي حنان هذا وأي برهان ؟

وأين هزة الروح من رعشة الجسد ؟

« حقا أني لا أريد أن أنكر المادة إطلاقا ، ولا أستطيع القول أننا نستطيع أن نعيش أرواحا بلا أجساد ولكن ألا ترى أن معظم متاعبنا وآلامنا إنما تأتي عن طريق الجسد وأن الأرواح الشفافة تستطيع أن تتقابل وأن تتصافح وأن تتعانق وأن تتزاوج على بعد المزار واختلاف الديار ؟

لقد حسبتك ، وأنا أصغى إليك ، أنك تقرأ لي صفحات من قصة « الينبوع » أو أنك تمثلت روح مؤلفها شارلي مورجان ؟

ولكن هيهات أن تخدع نظرتك أو طبيعتك ، إنك تحاول ، ولشد ما حاولت، أن تشوه في عيني صفاء جوهرك ؛ لأنك تريد أن تنسى ماضيك وأن تهرب من حاضرك ، أنت الذي يجذبك الروح المشرق ، والعقل المتألق .

وهذا البحر الذي ترامى زبده الآن تحت قدميك ، وتمتد آفاقه بين ناظريك ، ليحدثك عن مغامراتك الكثيرة ، وذكرياتك الحلوة والمريرة ، أنه يصيح بك ماذا بقى لك الآن أيها الملاح ؟ أيها العائد بآلامه وأوصابه من متاهات الأسفار ، أين عالمك الحبيب ، عالم الأرواح والأصدقاء والأفكار ، المزدهر بغرائب الأنوار ؟ لكأنك الآن تغضي ببصرك ، وقد ذهبت روحك تبحث في أغوار حياتك لتعود إليك بالحقيقة التي باح بها صديقك « الخيام » .

أجل : أنت متعب مكدود ، حائر شريد ، تحاول بهذه الفلسفة المشبوبة أن تبعد الناس عنك ؟

وتنّفر حتى الحبيبات منك ... ولماذا ؟

لأنك في صميمك تبحث عن ذلك الحب .. الحب الكامل .. الجسد والروح والفكر .. ثالوث الحنان الأعظم .. قل أنك تبحث عن ذلك الحب فلا

تجده ، أو قل أنك وجدته ، ويا لِلعذاب الذي جشمك ، وجدته ولكنك فقدته لأن صاحبته لم تفهمك ؟ ..

« إنه سرك الخفي الذي تأبى أن تبوح به ، يا حامل الأسرار ، يا عاشق الأنوار يا عابد الأفكار ! ..

ولماذا أسرف عليك في النقد والاتهام ، كما أسرفت عليّ في التغرير والإيهام ؟

« وأنا لا أنكر الجسد ولا أنكر عليك إغفالك عشق الفكر وحب الخيال وحماستك لما لا تعتقد ! .. لقد أنكرت على صديقتي « س » بالأمس أن قالت أنها تستطيع أن تحب رجلين في وقت واحد فأخذت تسألها : وكم قلب لك ! ثم أخذت تداعبها ساخرا بقوله : لا شك أن في قلبك متسعا للجميع ؟

أو أن به غرفتين .. أو أن به غرفة رحبة فيها سريران ؟

لشد ما أضحكني تهكمك هذا وسخريتك هذه .. فبالله قل لي أنت ما هو عدد الأثيرات من صديقاتك بإعجابك ؟

وكم من رفيقة تلقاها في نهارك أو ليلك فتنثر عليها ابتساماتك أو قبلاتك ، وتلقي في أسماعهن من رقيق غزلك وسحر كلماتك ! .

كيف يستطيع قلبك الصغير أن يسع هذا العدد الكثير ، ألا ترى أن قلبك هذا يسع الوفير من الجميلات إن بابه يفتح للعشرات منهن بل للمئات ؟

ولماذا أسألك وليس عندك من جواب ؟

وأنا البرهان الحي على ما أقول : وأنت تعرف إني حضرت إلى الأسكندرية من أجلك ؟

وأنك ألححت عليّ مرارا وتعجلت الظروف والأيام حتى صدقتك وتسلفت الأعذار ، وأتيت إليك في عاصفة من الشوق والهيام ، قل لي بالله ألم تقابل غيري [illegible] .

قل ولا تكذب . ما شأن هذه النظرات الجارحة والالتفاتات المفضوحة التي كثيرا ما وجهتها إلى حوريات الأرض وعرائس البحر ؟!

أراك تشيح بوجهك الآن إلى صديقك العظيم إلى البحر الخضم تسأله أن يسعفك بالجواب ولكن ماذا يقول البحر في صاحب هذا الشعر الذي هتف به وهو فوق غواديه من الشرق إلى الغرب :

وقيل ردته عن دنيا مباهجه ... بيضاء من شعرات الرأس غراء
لا يا غرامي وهذا الفن ملء دمي ... بالنار والصبوات الحمر مشاء
ما أفلتت من يدي غيداء عاصية ... إلا وعادت إليها وهي سمحاء !

أجل لقد وجم الشعر ، وسكت البحر ، وتكلمت أنا ، أنا التي كنت تدعوني بالساذجة صغيرة السن ، أنا التي تعرف سر ابن القمر ، والتي اشتق اسمها من لغة الغيب ومعنى القضاء والقدر .

« أيها الملاح التائه ... هذا هو الصيف قد أقبل ، وهذا هو البحر قد تهلل وترسل فأين شعرك الرقيق المهلل .. اجلس الآن وحدك على هذه الصخرة ، وطالع من مشرق النور فجره ، وأنشد الشاطئ في أرخم نبرة :

« أجل : أنشد أيها الشاعر وترسل في الغناء ، وانس ما كان مني ، من قطيعة وجفاء ، أو فاذهب كيفما شئت ، وإلى اللقاء في الصيف القادم .

وبعد أن فرغ شاعر الجندول من قراءة رسالتها سارع بالاتصال بها ، فلم يسمع رداً ... وذهب ليسأل عنها حارس المنزل الذي كانت تصيف فيه مع أسرتها فأخبره أن الأسرة غادرت المصيف إلى المنصورة .

ولم يستطع أن ينساها فسافر إلى المنصورة ليطلب يدها للزواج من أسرتها .. أحس لأول مرة أنه يحتاج للقلب الحاني ، والروح العطوفة التي تحبه لشخصه لا لمجده وماله ..

لكنه فوجئ بشيء لم يتوقعه .. فوجئ برفض أسرتها للزواج منه وهم يعلمون عدم استقراره كشاعر وولعه بالغزل ، ومغامراته العاطفية المتعددة ..

تلقى الملاح التائه صدمة عمره المروعة .. أدرك أن كل شيء قد انتهى ، فاسودت الدنيا في عينيه ، وتاق إلى الهرب بعيداً لينقذه من صدمة الرفض وقسوة الصدود ... أراد أن يصارع الحب ويصرعه .. أراد أن يعشق شيئا غير « فاطمة»، وغير الجمال .. فلم يستطع .. فلم يعرف إلى أين يذهب ، وإلى من يلجأ ، وبأي حطام يتعلق قبل أن يغيبه اليأس في لجة العدم ، وجاشت عواطفه واصطخبت ، فلم يجد إلا الشعر يبثه مأساة قلبه ، لينقذه من لوعته وحسرته ويأسه ، فكتب إليها يناجيها للمرة الأخيرة علها تعود إليها لتعود إليه الابتسامة والأمل في الحياة :

غدا يا حبيبة عند المساء ستسأل عنا نجوم السماء
وألم يضربا موعداً للقاء على صخرة بين رمل وماء؟
أجل، يا حبيبة هذا الضياء ذهبنا وعدنا بحكم القضاء
غريبين نضرب عبر الفضاء كأنا على جفوة أو تنائي
مددتُ إليكِ يَد الواثقِ فعادتْ بلذع جوًى حارقِ
وأبعدتِ ، يا رحمة الخالقِ ، فمَ الحبِّ عن نبعك الدافقِ
تعاليْ إلى روحي الوامقِ تعالي إلى قلبيَ الخافق
تعالي على عهدكِ السابقِ تعالي إلى إلفكِ العاشقِ



فتاة السفينة

منذ سنة ١٩٣٨ بدأت مرحلة جديدة في حياة علي محمود طه وشعره ، وهي السنة التي بدأ فيها رحلاته الصيفية إلى مغاني أوربا وشواطئها الساحرة ..

وقد أتاحت له هذه الرحلات الصيفية المنطلقة فرصة لإشباع حواسه الظامئة وروحه الحائرة المتلهفة إلى الغزل واللهو والكأس والانطلاق ، فألهبت المرأة حواسه ، وأطلقت الخمر مشاعره الحبيسة ..

وفي صيف سنة ١٩٤٦ كانت آخر رحلاته الصيفية التي سجلها شعراً في ديوانه الأخير « شرق وغرب » الذي أصدره سنة ١٩٤٧ .

وفي تلك الرحلة التي سافر فيها إلى عدة موانئ أوربية على ظهر سفينة كانت هناك مغامرة عاطفية مع إحدى الحسان تجلت فيها موهبته كمحدث لبق ساحر يستطيع الكر والفر مع النساء الحسناوات حتى يلين جموحهن ، بشخصيته الآسرة التي لا تقاوم ، وقد سجل لنا هذه التجربة في هذا الاعتراف المفصل المثير.

« كان فارس الليل قد اقتحم حومة الشرق ، وقد بدأ الغرب يطوي راياته الحمر ، كانت السماء رقائق ومفارق من الغمام البنفسجي تنشرها الرياح الدافئة حينا ، وتدفع بها حينا آخر صوب الجنوب ، ولم تزل على صفحة البحر المائج سطور من قصة النهار ، يقرأ فيها ركاب السفينة الصاعدة إلى الشمال . آثار يوم مشرق جميل !

« واشتدت العاصفة رويدا رويدا على خطا الليل الزاحف وأخذت السفينة تهبط وتعلو ، وتترنح خلفا وأماما ، فلاذ بعض الركاب بمقاعدهم الطويلة المسندة إلى حواجز الممر ، يتمددون عليها وهم مفتوحو العيون ، هؤلاء الذين تستهويهم الرياح الراكضة ، وتفتنهم اللجة الزرقاء المزبدة ، ونزل كثيرون إلى دهاليز السفينة يسلمون أنفسهم إلى مخادعهم الصغيرة ، أولئك الذين تهتاج

رؤية الماء الثائر معداتهم ويثير دويه أعصابهم ! وظهر النجم القطبي من مفارق السحاب لامعا قويا . وكان قيدوم السفينة يتاخم أفقه ثم يثني ضاربا في اللجة المزبدة ، حتى ليخيل للبصر أنها تثب بنا من البحر إلى السماء إلى البحر ، على حين أخذ الظلام يلف ما حولنا حتى هذه الأضواء البرتقالية الراقصة على مشارف الصخور البركانية الناتئة ، تلك التي تتمثل جزائر الأرخبيل اليوناني ودارت السفينة نحو الغرب . فارتسم لها ظل طويل عريض على الأمواج والأثباج ، مبشرا بشروق كوكب الليل العظيم ، وضاءت شرفة الأفق المبتهج بمطلع القمر على بحر الآلهة .. فهدأت شدة الرياح ، وخف زحام السحاب الطائر ، واطمأن الموج المتعب قليلا وتساقطت بوارق الضوء على السفينة ، فغمرت سطحها وجانبها ورفرفها ولم يكن من شبح يرى في ذلك الممر الطويل المواجه للأفق الشرقي ، غير خيالها .. هي ، هذه المرأة الفارعة الأنيقة ، التي تظهر وحدها كل ليلة ، في ثوب أبيض هفهاف ، يتماوج فيه الضوء المضطرب وقد اتكأت بمرفقيها على حاجز السفينة ، حانية الرأس على البحر ذاهلة ، مستسلمة إلى ما يشبه الحلم أو الاغفاءة ، كانت في وقفتها ونظرتها وكأنها آلهة مرتحلة من إلهات هذا البحر ، تصغي إلى آخر كلمات الوداع المنبعثة من أعماق الطبيعة الشادية أو شاعرة من صواحب (سافو) ترقب هي الأخرى من مخدع برجها السامق عودة ملاحها «الميتليني» الجميل ..

« هذه المجهولة مني غير البعيدة عني ، ها هي ذي الليلة الرابعة منذ غادرنا « بيروت » وودعنا « أثينا » وأنا أراها وأرعاها في مكانها هذا الساعات الطوال من كل ليلة ، وهي على قيد خطوات قصار مستغرقة في تأملاتها ، أو ذكرياتها ممعنة في الصمت محوطة بالأسرار ، وأنا أذكر كيف رأيتها وحدها أول مرة في مرقص « كاردينيا » على الطريق بين « بيروت » و « عالي » يوم رست بي الباخرة على ساحل لبنان ، وكانت في ثوب سماوي يزيد في رونق وجهها النحيل الشاحب روعة وفتنة ، وكان شعرها الأشقر المعقوذ فوق رأسها على شكل زهرة يزيد الفتنة بجمالها هياما وانسجاما ، ثم كيف كانت تعتذر إلى الشبان والرجال

الذين يتقدمون إليها في أدب بطلب مرافقتها ، دون أن ترفع بصرها على واحد منهم .. ثم كيف رأيتها بعد ذلك فوق ظهر السفينة ليلة غادرنا لبنان في طريقنا إلى اليونان وكيف أمضيت ليلتين في متابعتها ومحاولة التحدث إليها ، وهي تصد تحيتي أو ابتسامتي عنها بانحناءة خفيفة من رأسها دون أن تتكلم حتى حسبت نفسي غرا أحاول المستحيل .

ثم كيف التقيت بها بعد ذلك في «أثينا» وكانت هي بطلعتها الشائقة ، وانفرادها المجيد. في ثوب أصفر فاقع ، تدور على أطرافه خطوط عريضة سوداء، تصور مزاجاً بدائياً فيه إثارة وفيه إغراء وظننت الفرصة سانحة مواتية ، فلما حاولت أن أعرض عليها مشاطرتها سهرتها أو جولتها في العاصمة الخالدة ، رفعت إلي عينيها الواسعتين الذاهلتين بنظرة لطيفة ضارعة معتذرة بأن هناك من ينتظرها ، ولكن لم يلبث أن غاب عني طيفها فجأة وسط هذا المضطرب العجيب لكأنها غادرت المكان سابحة على أمواج الدخان المنعقد في فضائه . وها هي ذي الليلة في المكان الذي آثرته من السفينة ، وفي الميعاد الذي اختارته لظهورها كل ليلة في بياضها الهفهاف ، الموائم لجو يوليو وطقسه الحار فمن تكون هذه الغريبة التي لم أرها مرة واحدة منذ وطئت قدماها هذه السفينة، ترتاد المشرب ، أو غرفة المطالعة أو حجرة الموسيقى لحظة من نهار أو ساعة من ليل ؟ من هذه الضاربة الوحيدة المنفردة في بقاع الشرق وبحار الغرب ؟

« من تكون هذه التي تصطنع الصمت ، وعدم المبالاة بما حولها ، كأن شيئاً في هذا العالم لا يلفت نظرها أو يثير انتباهها ؟ وإذا كنت لم أنجح في ذلك وأنا ابن الخامسة والأربعين فما بال هؤلاء الشبان المرحين الممتلئين نضارة وبشارة ما بالهم لم ينجحوا فيما أخفقت فيه لا بالعبارة ولا بالإشارة ؟! إن الكلمات القصيرة التي ظفرت بها منها ليلة مرقص «الأرجنتين» لا تنبئ بانجليزية أصيلة ، وهذا الطابع الذي يتمثله ذوقها وزيها ، وهذه الخطوات الثابتة المتزنة ، بعيدة عن [illegible] اللاتين وصفاتهن [illegible] تكون هذه المجهولة [illegible]

[illegible]

وأعد جناني وأهيئ لساني لاقتحام هذا الخفاء وإزعاج هذا الصمت» .. فأن منظر امرأة شابة غريبة ساهرة وحدها حتى هذه الساعات الأخيرة من الليل ، تشاركني في عبادة هذا الجمال والجلال المنسكبين من ذروة الليل على حواشي البحر المائج بضوء القمر ، لكفيل أن يثير فيّ حب الاستطلاع الجسور ، وروح الحنان المغامر » وجلس علي محمود طه على ظهر السفينة ينظر إلى القمر وأخذ يتمتم ببعض الأبيات التي أوحت بها إليه هذه الحسناء الصامتة المتلفعة بالغموض وأخذ ينقل بصره ما بين مياه البحر الذي يعشقه وبين الحسناء الغامضة التي يتمنى أن تفض صمتها وغموضها :

*أعلمُ ما تكتمين عنّي	وإن تلثمتِ بالخفاءِ
خمس ليالٍ وأنت مني	متبوعةُ الظلّ باشتهائي
* هاربةٌ أنتِ يا فتاتي	من عالم الشك والريب
هربت من ضجة الحياة	فكيف من نفسك الهرب
* بها ابدئي أو لاَ فُسلّي	وردكِ من شوكه الأثيم
لا البحر يجدي ولا التسلي	كطعنك الغدر في الصميم

لقد خفق قلب الملاح التائه لها وشعر بتعاطف معها وهو يرى ذلك الوجه الحزين الشاحب وتلك النظرات الغائمة الشاردة ، وتمني لو ضمها إلى صدره ومنحها كل حبه وحنانه الدافق لينسيها أحزانها الدفينة .

وتخيل أن الطبيعة حوله : البحر والقمر والرياح تود أن تواسيها :

عجبتُ للبحر ما عراهُ	يودُّ لو مسَّ ناظريها
يتاخم النجم في علاه	وينثني جاثياً لديها

واستجمع الشاعر الملاح شجاعته وقرر أن يكاشفها بدخيلة نفسه ومشاعره نحوها وليخفف عنها أحزانها :

« وهكذا دنوت منها حتى كدت ألتصق بها ، وحييتها مشيراً إلى قبة السماء المتلالئة وأنا أقول : يا لهذا الصفاء والنقاء المشعشعين بخمر الجمال وعطر الخيال،

إن في هذه اللانهاية اللامعة لتغني كل شعاعة في ذلك الليل وكل ذرة بالشعر .. ذلك سر الحياة الأعظم .. حتى عالم النجوم والكواكب يعرف من أسرار الحب ما لا نعرف ويصور من ألوانه ما ننشده على هذه الأرض كثيرة الادعاء والغرور ولكنا لا نجده . وكأنما أيقظتها كلماتي من اغفاءتها وهزت حجاب سرها المكنون هزاً عميقاً ، فانتفضت في وقفتها بغتة ، ونظرت إليّ نظرة صامتة معبرة وكأنها تقول : لا تزد ولا تتكلم . دعني وحدي أتالم .. ومددت ذراعي على الحاجز فمس مرفقها مسا رفيقاً واجهتها باسما فبادرتني هاتفة : عذراً فإني لا أكاد أفهم ما تقول .. وشكراً على اهتمامك بي ، ولكني أسألك أن تكف عن مراقبتي أو متابعتي . فليس عندي ما يشوقك ولا فيّ ما يروقك ويؤسفني ان أكون غير ذات غنية لك ! .. فوقفت صامتاً ولكن ابتسامتي لم تفارق شفتي كأنها تمزح معي ، فاستطردت تقول في شيء من الجد الرفيق : إذا لم تتركني فكأنك تلقي إلي أمراً بأن أغادر مكاني هذا .. وفي الحق كدت أضعف أمام هذه المرأة للمرة الأخيرة .. ولكني تماسكت وعلى غير وعي مني سمعت لساني وهو يردد هذه العبارات : عذراً سيدتي وعفواً .. ما أنا طفيلي ولا فضولي .. ولست غير عابد لهذا الجمال الأزلي الذي ينسكب حولك الآن .. وبروح الحنان الأسمى ونداء المجهول سعيت إليك وباسم هذه اللانهاية المشرقة بالسلام والصفاء أسألك أن تطمئني إلى هذا الغريب العابر ، أسألك بسر هذا الجلال الإلهي الذي جمعني بك هذه الليلة وفي هذا المكان والزمان ، ألا تزعجي نفسك عن هدوئها .. وثقي بقولي .. وعليّ أن أتركك وحدك، إذا كان في وجودي إلى جوارك ما يسوءك ويحرجك .

« ومرت لحظة راعشة بالصمت وهي تضع يدا على يد ، كأنها تفكر في جواب حاسم ، ثم زوت وجهها في ظل قوامها الممشوق ورق صوتها حتى استحال لحنا موسيقياً وهي تقول : لو تعلم كم أنا فارغة ، إذن لوفرت على نفسك هذا العناء ومن يدري .. ربما فررت مني فإذا كنت صادقاً في حنانك وتأثرك بهذا الجمال الأزلي والجلال الإلهي ، فلا عليك مني ، وليطب ليلك أيها السيد ... وهمت بالانصراف فوقفت في طريقها هاتفاً: أراك تنقمين علي .. فما

أردت إغضابك ولا قصدت إليه ..لن تبرحي مكانك حتى أبرحه ... ولكني أقول لك مخلصاً ألا تسرفي على نفسك في هذا العالم المملوء بالآلام والأحزان .. أشرقي بابتسامة الرضا لهذا الليل الوادع الجميل فليس له ذنب فيما تضطرب به روحك المتعبة الحائرة .. واصفحي عن القدر الذي ساقني إلى طريقك ، أو وضعك في طريقي .. فبعد يوم أو يومين يفترق الشمل ويمضي كل منا في وجهته، ساحباً وراءه همومه أو متبعاً أحلامه ، وكأننا لم نلتق من قبل .

ومست عبارتي صميم رقتها ووداعتها وكأنها أنست بي فرحت تسألني عن اسمي وبلدي ولأي غاية أركب البحر .. فوضعت يدي على كتفيها في حنان بالغ وأنا أحدثها بما سألتني وبما لم تسألني عنه ودارت السفينة في هذه اللحظة دورة ثانية فمالت ناحية الغرب فأسندت ظهرها على الحاجز . واشتدت وثبات الموج وكان ذلك منبئاً بدخولنا بحراً جديداً عميقاً واسعاً ، وزايل ضوء القمر مكاننا واحتوانا ظل السفينة العريضة فقالت : يسرني الآن أن أستمع إليك فحديثك طلي ورقيق ولكني أشعر بتعب.

قلت : أراحلة قبل أن تحدثيني أنت بدورك ؟ أمفارقتي ـ ولما أعرف حتى اسمك.

قالت : ليس الآن ..

قلت عديني إذن : فأجابت باسمة وقد شاعت في روحها الطلاقة والإيناس: الليلة القادمة وليكن موعدنا بعد طلوع القمر ، ومكاننا فوق هذا المرقب بين هذه الزوارق الصغيرة .ومدت يدها مصافحة واختفى طيفها محوطاً بأسرارها.

وكانت الليلة الخامسة ....

« وطلع القمر يفيض سناء وبهاء وكنا قد جزنا عند الظهيرة المضيق «المسيني» وضربنا في أطراف البحر الإيطالي ، فلاحت سفوح اجبال وهضابها متعاطفة تشع في نواحيها أضواء سرعان ما تختفي ، وكانت السماء صافية مرصعة

بالنجوم وقد بدأ لمعانها يتواضع لمطلع البدر ، وهب الهواءُ دافئاً مرحاً يعبث بهذه الأغطية البيضاء المدلاة من زوارق النجاة الصغيرة المتأرجحة حول سطح المرقب وأخذ لهب طائر من الناحية الشمالية يطفو ويرسب في الأفق البعيد ، ذلك «فيزوف» الثائر يحيينا بشراره المتوقد ، كمنارة هادية تدل السفينة على مجراها من الساحل الصخري الطويل، وارتقى البدر درج السماء رويداً والموج المتراقص يتلو أناشيده في سبح من عرائس الزبد الفائر وعندما لاح رأسها الجميل وذراعها النحيل الوضاء يتداول حاجز السلم الصغير ، خفق قلبي واستخفني شعور حلو خفي . فمشيت إلى لقائها ، وأقبلت عليّ باسمة وهي تقول : لنأخذ مكاننا من هذا المقعد، فليس بنا حاجة إلى الوقوف ، فكل ما حولنا من مناظر البحر ومشاهد السماء منظور لنا مرئي لعيوننا ، ولكن دعني قبل كل شيء أشكر لك نبل إحساسك ، فقد استمتعت الليلة الذاهبة بنوم طويل مريح ، لكأني حقاً قد ألقيت عن صدري أثقالاً وتخففت بعض الشيء مما كان يرهقني...

« فسرني كلامها ، وهزتني صراحتها التي بدأت بها حديث الليلة ، وكان ضوء القمر ينسكب على وجنتيها ، مطوقاً صدرها ، جاثياً على قدميها ، فتطلعت إليه متهللة الوجه وكأنها تعاتبه على هذا الجنون والفتون ورفعت يدي إلى حيث يتجه ناظراها ، مشيراً إلى كوكب الزُّهْرَة المتلألئة تحت قرص القمر وأنا أهتف : يالربة الحب النبيلة ، أنها لا تمل مرافقة أمير الليل الجميل ! وكأنها أثارت عبارتي كوامن نفسها وكشفت ضنائن سرها فهتفت : سوف تندم المسكينة على هذا يوماً ما .. قلت : علام؟ قالت : على ثقتها وإيمانها بهذا الفائر قلت : ولكنه الحب مصدره الثقة والإيمان ... فصاحت متعجبة : وماذا يكون الحب ؟ قلت مازحاً : أو لم تعرفيه ؟ .. قالت بمرارة وقد زمت شفتيها : عرفته فوجدته ذلك الخداع الأصيل الذي تنسج الطبيعة خيوطه وتلقيه في طريقنا ليقع الأبرياء في شراكه ثم استطردت متسائلة : ألم يقل ذلك فيلسوف ألمانيا العظيم ؟ قلت أتعنين ذلك الدميم ... شوبنهاور ! قالت : وما شأن دمامته أو وسامته بفلسفته ؟ قلت :

ذلك سر الرجل المريض إذا تكلم عن هذه العاطفة الإلهية السامية .. قالت : ليس للدمامة أو الوسامة عند النساء مقاييس للإعجاب بالرجال . ولحيهن ... لم قلت : أنت أدرى مني وهذا رأيك ولكن المنكود عاثر الحظ لم يكن يوماً محباً ولا محبوباً وهذا ما دفعه إلى رأيه هذا أنه الحقد والكنود على النساء جميعاً.

قالت : برغم تجريحك هذا فأني لازلت أرثي لهذه «الزهرة» المسكينة إنها تسبح في مدار آسر قاهر لا يفهمها .. قلت : قد يكون ذلك إعجاباً وليس حباً . قالت إنهما سواء عندي .. فإذا كان الإيمان مصدره الحب ، فإن الحب مصدره الإعجاب ! .. قلت : ولكنها رفيقة أو عشيقة وليست زوجاً له ، فإذا شاءت فارقته قالت : كنت أظنك صاحب تجربة ! إن الزواج من صنع البشر، بالإرادة يبدأ وبالإرادة ينتهي . أما الحب فماذا أقول ؟ ذلك ما لبشري يد فيه . إنه من صنع القدر.

قلت: إن أحزانك تطفو الآن على صفاء روحك ، إنها لتشوه جمال هذا الكون في نظرك . أنت ناقمة على الرجل ولاشك ، فقالت وهي تضغط على ألفاظها : وأية نقمة ؟

قلت : يا لك من ناقمة غاضبة قالت : بل ضحية هاربة !

قلت : منه ... قالت: نعم قلت : ومن يكون ؟ قالت : رجل أعجبت به فأحببته فآمنت به. آه لكأنك تسبر غوري وتنتزع سري .. قلت : أتمي حديثك فإنه ليقع على قلبي موقع البلسم الشافي على الجرح الدامي ، قالت : لشد ما تحملت من غيرته علي واتهامه لي حين كنت أحبه بل وأكاد أعبده.. ولم يأثم قلبي يوماً بحب غيره حتى ولا جسدي باشتهاء سواه ، ولكنه كان موغلاً في الخيانة...

« واسترسلت على غير دعوة مني في سرد قصتها فقالت : عرفته في «كومارم» من أعمال المجر ، وكان كيميائياً يعمل في مصنع للحرب على بحيرة «بلاتول» وكان النظام يقضي بأن يقيم الرجال في المصنع بغير نساء فأقمت

وحيدة في «كومارم» أنتظره وكان يحضر من الحين إلى الحين وأحوطه بمجامع قلبي ، وكان هو يسرف من ناحيته في اطرائي وتصوير محاسني على أنني بدأت ألاحظ أنه قد تغير ، وأنه أصبح يضيق بحديثي ويهرب من أسئلتي ويتهمني بغير وعي ويسبني على غير عادته وكنت ألتمس له الأعذار ، وأقول أنها عدوى الحرب سرت إليه وأصابته وهو لا يلبث أن يشفى منها بعدما يعود السلام على الأرض ... ووضعت الحرب أوزارها ، وفرحت بالهناء القديم يعود إلى ثانية ، وعدت إلى الثقة بنفسي وبالمستقبل ولشدما فجعت في أحلامي فقد كانت له غير عشيقة واحدة ولكنه كان يسكن إلى امرأة ألمانية تقيم في قرية «يتزن» قرب المصنع . وقد ظل بعد انتهاء الحرب وعودته إلى في «كومارم» يتركني فجأة ليسافر إليها بدعوى تصفية بعض أعماله الخاصة وكان على العشيقة التي لم تعرف أن له زوجاً ، أن تضع له وليداً ، وقد مرضت في شهور الحمل الأخيرة فخشي افتضاح سرهما ، فحملها إلى عائلة صديقة له خارج المجر تقيم في «سالزبورج» وهناك ماتت الأم بحمى النفاس ومات الطفل بعدها بأيام .. ولما علمت بالسر الرهيب أنكر ذلك وغرقت في عالم من الهذيان ولكني أفقت وتجلدت تحت نيران العاصفة المنقضية المحرقة، وقلت فلأصفح عنه وأغفر له فذلك خطأ شائع يقع فيه بعض الرجال أيام الحروب ولكنه كان قد تغير أكثر من ذي قبل إنه لم ينسها ، بل كان يذكرها في مواجهتي ، ويذكر حبها وموتها من أجله ، وكانت كل كلمة منه خنجراً مسموماً وسهماً ملتهباً يطعن قلبي في صميمه ، ويحطم كبريائي ويحرق أعصابي ، وهأنذا بعد أن أعيتني الحيلة ، أراني قد طلقت منه ونلت حريتي لا أعرف ماذا أصنع بنفسي وكيف أنتفع بحريتي .. أن غدره وخيانته ليتمثلان لي صوراً بشعة دامية ملتهبة ولكني برغم هذا كله أشعر أنني لا زلت أحبه وأنني أريده لي ، بكل ما في نفسي من موجدة عليه وبرغم كل ما فيه من نقائص وآثام ، هأنذا كما تراني أغشى الأرض وأجوب البحار وأرتاد عواصم الشرق المفعمة بالأساطير . وأسواقه المموهة بالخرافات وملاهيه المليئة بالغرائب والعجائب ، وأنا ذاهله عنها وكأنني لا أرى شيئاً .. وكأن هذا العالم الذي كنت أراه عريضاً واسعاً قد ضاق بي اليوم وإن رقعته قد انكمشت وأن جدرانا غليظة

من الفولاذ قد قامت حوله تضغطني ضغطاً شديداً حتى أكاد أختنق ، حسبت أنني أنسى إذ أهرب من كل ما يحمل رائحة الماضي ، وكنت أظنني أتسلى وألهو ولكن عبثاً ، وهيهات ..

« وأمسكت عن قصتها شاحبة الوجه ، مبللة العينين ، فربت على كتفها وأنا أقول بلهجة المستخف بهذا الرجل إن يكن ضميره قد مات وحسه قد خمد فإن لك ضميرك الحي وشعورك المشبوب وقلبك النقي ، أنه لم يخلق لك وليس أهلاً لهذا الجمال ، أنك فريسة وحش في صورة إنسان استعرضي دائماً جرائمه وآثامه واعرضيها على ضميرك وقلبك وخذي منهما الحكم العادل، وارضخي باسمة راضية بهذا الحكم وإياك أن تفكري في القصاص أو تفسحي للثأر مجالاً من صدرك، لقد أخطأت التقدير والتدبير فتجردي من هذا العطف عليه والرثاء له . فإن ذلك هو الضعف كل الضعف واهربي من نفسك أولاً قبل أن تحاولي الهرب من الواقع ، فليس فيما صورته لي هرب ولا نشدان لهو ولا ظفر بتسلية ، فأنت تغشين الملاهي بجسمك وليس بروحك ، ادفعي نفسك في هذا المضطرب واقنعي بالجسد والروح معا في هذه الحياة ، نعياً شادياً أو جحيماً دامياً، واملئي الكأس وارقصي وغني وزاولي الضحك والسخرية طبيعة لا اعتناقاً ، إن في العبث وعدم المبالاة لطعنات قاتلة لما يسمونه الماضي أو الواقع ، وقلبك مهما تدمي جراحه فلا يلبث أن يشفي وأن يعود إلى تنسم ريح الحياة طيبة ملء رئتيه .

ووقفت عن الكلام متأثراً ، فوجدتها تمسح دمعة من على وجهها وعينيها وكان البدر قد مال على جانب السماء وبدا لهب «الفيزوف» الثائر يسطع قريباً منا، فانتبهت من ذهولها وهي تصطنع الابتسام وتقول : عندك كل الحق ، سأدبر أمري وسأفعل بنصيحتك ؟ فقم بنا الآن فقد أطلنا السهر وحان وداع القمر ونزلت في أثرها على السلم الصغير ثم حاذيتها فالتفتت إليّ وهي تصافحني قائلة: إلى غد وفي مثل موعدنا الليلة أني أشكرك .

وهمت بالانصراف ، فقبلتها وهي واقفة لا تتمنع ...

« وجاء النهار ومر تافهاً ثقيلاً وكانت السفينة قد أشرفت على ميناء «نابولي»

فتهيأ بعض الركاب للنزول وكنت أدور حول السفينة أتأمل ما صارت إليه مدينة الحب الفاجر بعد هذه الحرب الضروس وأقبل الليل وتناولت عشائي عاجلاً ، وحان موعد اللقاء، وكانت السفينة قد ألقت مراسيها في الميناء لتأخذ طريقها في الفجر إلى «مرسليا » وظللت انتظرها من ساعة لأخرى مضطرب الأعصاب مشوش الفكر لا أهدأ ولا أقر وأنا أعجب من تأخرها ، حتى برمت بانتظاري وداخلني شعور غامض بأنها لن تأتي . فأسرعت إلى قبطان السفينة فعلمت منه أنها نزلت في «نابولي» بعد الغروب بقليل لانتهاء رحلتها ولبثت جامد أفكر فيها وفي قصتها وفي هذا التصرف العجيب منها وكانت الدهشة تستولي علي ، عندما أذكر أنني كنت أرقب النازلين من السفينة والصاعدين إليها ساعات طوالاً فلم أبصر لها طيفاً ولم أر لها ظلاً .. .

« وطوفت في أوروبا شهور الصيف الثلاثة ، ونزلت آخر المطاف بمدينة «كان» بالريفيرا الفرنسية وكانت المدينة مائجة حافلة بمباهج المهرجان الدولي للسينما ، وكنت على موعد في «الفندق الكبير» فاتخذت مقعداً مواجهاً للمصعد أتصفح بعض الوجوه فإذا بيد رقيقة تربت على كتفي، وصوت ناعم رخيم يهتف بي : هالو ... هالو .. أأنت هنا ؟ والتفت واقفاً فإذا بها إزائي مشرقة متهللة، يفيض وجهها صحة وبهجة ، عارية بندى جسدها العاري بقطرات من ماء البحر وليس من غلالة رقيقة تستره غير قطعتين صغيرتين من قماش أزرق كأنها زهرتان منسقتان من ثدييها وقطعة أكبر منها قليلاً كورقة التين سترت بها ما سترت حواء بذلك الورق ! فوقفت مبهوتاً أستوعب جمال قوامها المشوق وعريها الفاتن ، بكل ما فيّ من فرح وحرارة وشوق ، ولاحظت ذلك فقالت وهي تميل مرحاً ودلالاً : قليلاً ... قليلاً ... قلت طرباً مأخوذاً : إنك لتزدادين جمالاً وفتنة . قالت : تلك نظرة المعجب قلت : بل نظرة المحب الوامق .

وغادرتني لألقاها بعد ساعات ...

« وفي الليل كنت أجلس إليها على مائدة صغيرة في «الكازينو الكبير» وكانت أمواج البحر المتلالئة تتكسر على أرصفة الحمام ، وكانت الليلة بدراً

وليس على مائدتنا الصغيرة غير زجاجة من البورتو وقدحين فارغين ، وكانت الموسيقى تصدح بين زحف الراقصين وشدوهم بلحن «التانجو» المثير وقد سكتت جميع آلات العزف غير قيثار شجي نائح أجش الصوت مبحوح النغم، فالتفتنا إليه بأسماعنا ، وكانت على جانبنا صورة كبيرة رائعة تمثل أرفيوس إله الموسيقى وقد احتضن قيثارته يغني حبيبته «يوريدس» فقلت لها وبي حزن خفي يشيع في صوتي : ألا زلت يا «ليزا» . ناقمة على الرجل ؟ فأخذت يدي براحتيها الدافئتين وهي تقول : نسيت كل شيء عن الماضي وما عدت أذكر غير الهناء ..

قلت مشيراً إلى الصورة : أتعرفين هذا العازف الولهان . قالت متهللة الوجه : لكأني أعرفه .. قلت: هذا «أورفيوس» الذي اقتحم أرض الفناء لينقذ حبيبته «يوريدس» من عالم الظلام ، وقد رق «بلوتو» الإله الأعظم لحالته واستجاب لطلبته فقال له ستتبعك حبيبتك إلى خارج أرضي فإياك أن تنظر إليها قبل أن تخرجا وإلا أمحت من عينيك وتلاشت بين يديك وفقدتها إلى الأبد '..

ومشيت الحبيبة وراء قاتلها النبيل ... ولكنه نسى وصية الإله والتفت وراءه .. وهكذا خرج المسكين من أرض الفناء كما دخلها وحيداً كئيباً .

وأمسكت عن الكلام وعيناي غارقتان في أشواق طلعتها ووميض ابتسامتها .قالت : أتعني نفسك وقد أنقذتني من الظلام وأعدتني إلى النور .. إلى الحياة كن واثقاً من «يوريدس» فأنها ستتبعك وستكون معك داخل هذه الأرض أو خارجها ما أردت .. أنها لن تفارقك ولن تفقدها .

وانحنيت فقبلت يدها الممتدة إليّ بالقدح . وشربت نخب لقائنا وهنائها .



وبعد الفراق وعودة الملاح التائه إلى عشه في مصر ، لم يستطع أن ينسى فتاة السفينة الغامضة ، فرآها في نفسه ، وفي وحيه ، وفي شعره ، وفي شتى ألوان الجمال الماثلة في الطبيعة ، فكان يسافر إلى الأسكندرية ويظل جالساً على الشاطئ يتأمله ساعات طويلة وهو يستحضر طيفها الجميل، يحادثه ويناجيه ، ولم يجد بداً

من تسجيل ما أوصت به فتاة السفينة في قصيدة مطولة تفصح عن الزمان والمكان والقصة الدرامية التي حدثت والحوار الذي دار وشاء أن يسميها «على حاجز السفينة» أهداها إلى الغريبة الشائقة ، ذات الرداء الأبيض ، التي تظهر كل ليلة وحدها ، متكئة على حاجز السفينة ، ساهمة حالمة !

حَنَتْ على حاجز السفينهْ ترنو إلى الرغو والزّبدْ
كأنها الفتنةُ السجينهْ تمضي بها لُجّة الأبدْ

❖ ❖ ❖

نَبَتْ بها ضَجَّةُ المكان يَزينها الصّمْتُ والجلالُ
والبحرُ من حولها أغاني والسُّحْبُ والريحُ والجبالُ

❖ ❖ ❖

ساهرة وحدها تُطلّ بِمُلتَقى النور والظلام
لا تسأم الصَّمْتَ أو تَملّ تَهامسَ الشُّهْبِ والغمام

❖ ❖ ❖

تُصْغي إلى الموج والرياح في مَغْزِلٍ شاق كلّ عَيْن
كأنها نجمةُ الصباح مُطِلّةٌ من سحابتيْنْ



أماني فريد

ومن أجمل الملهمات في حياة علي محمود طه في سنواته الأخيرة الكاتبة الصحفية «أماني فريد» التي وجد في ثقافتها وجمالها إلهاماً روحياً جميلاً، خاصة أنها كانت تحرص على التردد على ندواته ومتدياته الأدبية في ركن الملاح التائه» في شقته بشارع سليمان باشا حيث كانت تزخر بالعديد من نجوم الأدب والفن والسياسة، وقد روى الشاعر أحمد خميس بعض جوانب قصة الحب بينهما.

وقد روت أماني بعض ذكريات هذه الفترة وإن لم تفصح عن قصة العاطفة التي كانت تربطها بشاعر الجندول، وإن نمت بعض كلماتها عن مشاعرها المتدفقة نحو علي محمود طه، فقالت[1]:

« هل كانت قصيدة الجندول التي غناها المطرب الراحل محمد عبد الوهاب للشاعر الكبير المهندس علي محمود طه هي سبب شهرته ومعرفة المشرق والمغرب العربي به، بعض الناس زعموا ذلك وكانوا في ذلك غير منصفين، فعلي محمود طه حقبة زمنية من الشعر امتدت منذ جماعة أبو للو للشعر التي أسسها أحمد زكي أبو شادي بعد عودته من المهجر في حوالي الثلاثينيات من هذا القرن وضمت شعراء ذوي باع طويل في عالم القصيدة من أمثال إبراهيم ناجي وأحمد رامي ومحمود حسن إسماعيل والهمشري وصالح جودت وأحمد فتحي وغيرهم. وقد انتهت هذه الفترة من حياة الشاعر بانتهاء حياته الدنيوية في ١٧ نوفمبر ١٩٤٩ عقب مرض لم يمهله طويلاً ليلقى وجه ربه وهو على باب غرفته بالمستشفى يتأهب لمغادرتها والعودة إلى داره في شارع سليمان باشا «طلعت حرب حالياً».

وكان يطلق على هذه الدار اسم «حانة الملاح» التائه نسبة إلى إحدى قصائده التي كتبها أثناء سفره إلى وسط أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية ببضع سنوات قلائل، وكانت هذه القصيدة من ديوان شعره الذي يحمل عنوان «الملاح

(١) الهلال، ديسمبر ١٩٩١، أماني فريد / عرفت شاعر الجندول.

التائه»[1] وبعده كان هناك ديوان «ليالي الملاح التائه» وللشاعر عدة دواوين أخرى هي «أغنية الرياح الأربع » و «أرواح وأشباح» . و «زهر وخمر» ثم «أرواح شاردة» وأخيراً «شرق وغرب» عام ١٩٤٧ - وقد طبع بعض هذه الدواوين خمس مرات.

وبعد هذه المقدمة الموجزة عن أعمال على محمود طه ننظر في جوانب حياته وننقب في فكره ووجدانه لنعطي صورة واضحة متكاملة عن الشاعر وأفكاره وآماله ومجالسه ثم عن شعره والمناسبات والظروف التي واكبت هذا الشعر .

على محمود طه عندما توفي عام ١٩٤٩ كان في السابعة والأربعين من عمره أي أنه من مواليد ١٩٠٢ [2] ، وتقول قريبته الكاتبة الصحفية السيدة حسن شاه أنه كان في أواخر السادسة والأربعين أي أنه لم يصل بعد إلى السابعة والأربعين ، ولكن من كان يرى على محمود طه في هذه السن وما قبلها قليلاً عام ١٩٤٦ عندما عرفته كان يظن أنه جاوز الخمسين بشعره الذي زحف الشيب إلى بعضه ووجهه الممتلئ المترهل - وبهذه المناسبة أقول أن لمعرفتي به عام ١٩٤٦ قصة تستحق التسجيل - كنا في أواخر ذلك العام عندما بدأت المجندات البريطانيات اللائي كن يملأن أنحاء مصر عامة والقاهرة بوجه خاص مع غيرهن من المجندين وقد أخذن يشددن الرحال للعودة إلى أرض وطنهن، في ذلك الوقت فكر الزميل فؤاد السيد المحرر بالمصور آنذاك أن يقوم بعمل تحقيق صحفي للمجندات العائدات إلى الوطن . ولما كانت بينهن إحدى الشاعرات فقد رأى فؤاد السيد أن يدعوهن إلى شقة على محمود طه أو «حانة الملاح التائه » كما سبق أن قلت ، وجاءت المجندات البريطانيات وحضرت أنا هذا اللقاء الطريف والذي ألقى فيه على محمود طه شعراً بالعربية وألقت المجندة شعرها بالإنجليزية وقمت أنا بالترجمة لمعاني القصيدتين بينهما ، وكانت حقاً جلسة أدبية من أمتع الجلسات التي امتدت إلى المساء وخرجت بعدها المجندات وهن يعترفن

(١) الصحيح أن عنوان قصيدته «حانة الشعراء» نشرت في ديوانه «زهر وخمر» ١٩٤٣ .
(٢) الصحيح أنه ولد في ٣ أغسطس ١٩٠١ بمدينة المنصورة.

بأنها من ألطف الساعات التي قضينها بمصر .

وحياة علي محمود طه كانت حافلة بالنشاطات الأدبية والاجتماعية ، كانت داره تذخر بالأدباء والرواد من المشرق والمغرب العربي إلى جانب أدباء مصر وشعرائها ، لقد كنت ترى في داره الأديب العراقي الكبير «روفائيل بطي» والشاعر السوري «صلاح الأسير» ومن المغرب العربي محمد بن عبود الأديب والمناضل وعبد الخالق الطريس رئيس حزب الاستقلال المغربي ، وكان الأخيران وبعض زملائهما ممن يؤمون المجالس الأدبية والفكرية المختلفة وكان معظمهم ضيوفاً على مصر يناضلون من أجل استقلال بلادهم . وكانت حبال الصداقة تمتد بينهم وبين علي محمود طه وتصل إلى الدعوات والمآدب التي يقيمها المناضلان المغربيان في دارهما . وبهذه المناسبة أذكر أنهما وجها ذات مرة الدعوة إلى علي محمود طه والوزير السعدي علي أيوب صديقه وجاره . وكان مكتبه بجوار شقة علي محمود طه . وإلى كاتبة هذه السطور وذلك لتناول طعام الغداء ، ولبينا الدعوة وذهبنا إلى مقرهم بالـدقي حيث اجتمع أيضاً عدد من الأخوة العرب وجلسنا إلى مائدة حفلت بالألوان العديدة من الأطباق وكلها من اللحوم والطيور من مقليات ومشويات وقد أحاطت بها قطع البطاطس المطهية بصلصة الطماطم والمليئة بالتوابل الحريفة فأقبلنا على الطعام بشهية وإذا بي أجد البطاطس سكرية الطعم مما عافتها نفسي فتركتها وأنا أنظر إلى كل من علي محمود طه وعلي أيوب فوجدتهما أيضاً قد نحيا البطاطس جانباً في الأطباق ولم يقبلا عليها ، ونظر إلينا عبد الخالق الطريس وقال : ألا تعجبكم هذه البطاطا؟ وقلت مصححة : تقصد البطاطس ، نحن لا نأكلها مطهية بالسكر أبداً . ورد قائلاً : ولكنها مسكرة وحدها فهي بطاطا وليست بطاطس ونحن نأكلها هكذا في بلادنا .



كانت أجمل جلساتنا تلك المسائية في محل الأمريكين الواقع على ناصية شارعي سليمان باشا «طلعت حرب» حالياً وفؤاد «٢٦ يوليو» وقد كنت أمر

دائماً على دار علي محمود طه بعد انتهائي من الكتابة والتحرير لصفحة البلاغ الأدبية والتي كان يشرف عليها الصحفي إبراهيم نوار رئيس تحرير جريدة الجمهورية فيما بعد ، وكانت البلاغ جريدة مسائية يصدرها كل من محمد وعبد القادر نجلي الصحفي الكبير عبد القادر حمزه باشا ، بعد ذلك كنت أتوجه إلى فصول الدراسات التخصصية في اللغة الإنجليزية بالمعهد البريطاني حيث كنت أعد لشهادة التخصص والجدارة من جامعة كمبردج ، وبعدها أذهب لألتقي بعلي محمود طه لنذهب معاً إلى مكتب علي أيوب المحامي السعدي والذي أصبح وزيراً للمعارف فيما بعد ، وكان مكتبه يجاور شقة علي محمود طه فإذا كان علي أيوب قد انتهى من عملائه ينصرف معنا إلى مقهى الأمريكيين أو نسبقه إليه لينضم إلينا بعد ذلك عدد من الشعراء والأدباء مثل رامي وصالح جودت وناجي وأحمد حسن الزيات وغيرهم من مفكرين وصحفيين حيث كانت المساجلات الأدبية والشعرية والقصص والفكاهات ، وقد ننصرف بعد ذلك إلى مطعم اليونايين القريب من الأمريكين حيث يتناول البعض طعام العشاء والبعض الآخر المشروبات وكان علي أيوب يحب شراء البيض المسلوق والجبن الرومي والسميط في بعض الأحيان من بائع يمر بالجالسين ، وقد ينضم إلى الجمع الشقيقان عبد الحميد باشا وعبد المجيد باشا عبد الحق ، وكان لهما أيضاً مكتب محاماة يعلو مطعم اليونيون ، وقد يدور التندر والتفكه حول البيض الذي يقبل على أكله علي أيوب ويحبه وقد تنظم الأشعار في هذا بأسلوب فكه لطيف .

وكانت هذه الجلسة تنتقل في مساء كل خميس تقريباً إلى جريدة الأهرام حيث مكتب الشاعر كامل الشناوي والذي يمتلئ بالزوار من أعضاء البرلمان والأحزاب السياسية ورجال الأدب والسفر والصحافة والوزراء وكانت تتصل بمكتب كامل الشناوي شرفة فردت فيها مائدة تحتل في المساء بأطباق العشاء الذي كان في بعض الأحيان من الكفتة والكباب وفي أحيان أخرى من الفول

والطعمية والسلاطة ، وعلى من يريد العشاء من الحاضرين أن يذهب إلى هذه الشرفة وكان كامل الشناوي عندما يخلو من عمله في جريدة الأهرام بعد منتصف الليل وأكثر يصحب معه بعض الأصدقاء مثل حفني باشا محمود وإحسان عبد القدوس وعبد الرحمن الناحل المحامي ويذهب الجميع إلى محل شهير في شارع إبراهيم باشا «الجمهورية» قريب من فندق شبرد القديم حيث يتناولون البليلة الشهيرة فيه . وكانت سيارة إحسان عبد القدوس هي التي تحمل كامل الشناوي وأصدقاءه ، وأحياناً أخرى كانت تحملهم على كازينو «بيا عز الدين» حيث فندق شيراتون الآن ويذهب كامل الشناوي إلى ثلاجات المطبخ ليبحث عما فيها من لحوم ويطلب من طاهي الكازينو إعداد عشاء لأصدقائه - إن كامل الشناوي كان رجلاً مضيافاً دائماً سواء في غرفته بجريدة الأهرام أو غيرها .

❖❖❖

نعود إلى علي محمود طه .. فمن المعروف أنه كان من أعضاء حزب الوفد وأنه اضطر إلى ترك وظيفته بعد استقالة حكومة الوفد وقيام الحكومة السعدية - وكان علي محمود طه لا يزاول أي عمل بعد استقالته ، وكان يمرض من حين لآخر ربما لسوء حالته النفسية وظروفه ، وقد قال لي بعض المقربين إليه أنه كان يتناول معاشاً ضئيلاً بعد استقالته من الوظيفة مما لا يتناسب مع مكانته وشهرته كشاعر كبير .

ولقد ذهبت إليه في إحدى المرات فوجدته مريضاً ملازماً فراشه وحيداً حزيناً ، فطلب مني أن أفتح مكتبته التي كان يحتفظ بها في غرفة نومه وأن أخرج منها جميع دواوين شعره ثم أخذ هذه الدواوين وأحتضنها وقال في حزن وتأثر .

« أنا لم أتزوج ولم أنجب ولكن هذه الدواوين هي أولادي الذين سيخلدونني بعدي» لقد كان موقفاً مؤثراً حزيناً للغاية - ولما شفى علي محمود من هذه النوبة المرضية بدأ يفكر في الكتابة للصحف وفعلاً قام بكتابة قصة طويلة

نشرت في جريدة النداء الأسبوعية التي كان يصدرها يس سراج الدين عضو الوفد ـ ثم عين على أيوب وزيراً للمعارف وترك مقعده كوكيل لمجلس النواب . وآنذاك قام بتعيين على محمود طه مديراً بدار الكتب المصرية في المكان الذي كان يشغله قبله الشاعر أحمد رامي .. ولكن يبدو أن الزمان لم يرد أن يصالح على محمود طه فبعد ذلك بأشهر قليلة في صيف عام ١٩٤٩ وكنت أنذاك في أوروبا أصيب على محمود بنوبة قلبية وسارع شقيقه الأصغر سعد الدين بنقله إلى المستشفى والتي أمضى بها شهراً وأكثر . وفي اليوم المقرر لخروجه في ١٧ نوفمبر ١٩٤٩ وعودته إلى بيته سقط على باب غرفته في المستشفى وهو يهم بالخروج وحقيبته بيده ولفظ أنفاسه الأخيرة.

وعلى محمود طه الشاعر الذي كتب كل هذه الدواوين والذي نقلت أمواج الإذاعة في كل مكان أشعاره في شتى المناسبات من قومية ووطنية وعاطفية كان محباً للأسفار والتنقل في بلاد العالم ، وقد زار دول أوروبا أكثر من مرة وترك في قصائد شعرية مختلفة وفي دواوينه انطباعاته عنها. وكان أصدقاؤه يحفظون شعره ويتندرون به في مجالسهم حتى أن الوجيه حسن وهيب المصري وكان الصديق المشترك له والموسيقار محمد عبد الوهاب دائماً يبادره عندما يقابله بأبيات من إحدى قصائده الشهيرة «الحية الخالدة» وهي من ديوان شعره أرواح وأشباح وفيها يقول :

ولفت ذراعين كالحيتين عليَّ ... وبي نشوة لم تطر
وقد قربت فمها من فمي ... كشقّين من قبس مستعر
أشم بأنفاسها رغبةً ... ويهتف بي جفنها المنكسر
تبينت في صدرها مصرعي ... وآخرة العاشق المنتحر

أن الحديث عن شعر على محمود وتحليله ودراسته يطول ولكني سأكتفي هنا ببعض أبيات من دواوينه .

يقول في ديوانه «أغنية الرياح الأربع » وفي مقدمته أن هذه الأغنية نظمها شاعر مصري عاش قبل الميلاد بما يقرب من ألفي عام ونوه بكشفها ونقلها إلى

الفرنسية العلامة الجليل الأب دِريتون عام ١٩٤٢ والذي قال أنها أثبتت وجود شعر غنائي مليء بالخيال والعذوبة في مثل هذا العهد البعيد ـ وقد قام علي محمود طه بنقل قصتها مهيئاً لها جواً مسرحياً يسترسل فيه الحوار التمثيلي بروح ذلك العهد البعيد الذي نظمت فيه ـ وفي الفصل الأول من المسرحية في حانة الملاح التائه حيث صاحب الحانة والخمار وقد أطل المساء على الشاطئ الممتد نرى «باتوزيس» ومعه قيثارته ينشد :

هـيانُ هـيان يـا غرامـي ظمـآنُ ظمـآنُ للمـدام
مُـشرَّد اللـبِّ لـيس يـدري تعاقـب النُّـور والظـلام



أحلى قصائد

على محمود طه العاطفية



قبلة

قبلةٌ من ثغركِ الباسم دنيا وحياةُ
تلتقي الروحان فيها والمُنى والصَّبَواتُ
لُغَةٌ وُحِّدَتِ الألسنُ فيها واللغاتُ
نبعُها القلبُ ومجراها الشِّفاهُ النَّضِراتُ

❖ ❖ ❖

❖ ❖ ❖

وُبهَا الأعيُنُ في غيرِ حديثٍ تتفاهمْ
مَنْ تُرى علّمها بالأمسِ حواءَ وآدمْ ؟
لمْ تَزُلْ جِدَّتُها وهيَ حديثٌ يتقادمْ

❖ ❖ ❖

قبلةٌ من ثغركِ الباسم رفَّتْ شفتاهُ
من رحيقٍ لم يُحَرِّمْهُ على الناسِ الإِلهُ
كلما أُتْرِعَ منه القلبُ ضجَّتْ رئتاهُ
مستزيداً وهوَ إن علّ بِهِ زادَ صَدَاهُ

❖ ❖ ❖

قبلةٌ من ثغركِ الباسمِ تمحو كلَّ ما بي
وتواريني عَنِ الناسِ وَعَنْ دنيا العذابِ
وَتُنَسِّي القلبَ ما جُرِّعَ من سمٍّ وصابِ
قبلةٌ تمزجُ أنفاسَكِ بالقلب المُذابِ

❖ ❖ ❖

رُبَّ ليلٍ مرَّ أفنيناهُ ضماً وَعِنَاقا
وأدرنا من حديثِ الحبِّ خمراً نتساقى
في طريقٍ ضَرَبَ الزَّهرُ حواليهِ نطاقا
وتجلَّى البدرُ فيه ، وصفاً الجوُّ وَرَاقا

❖ ❖ ❖

وَلَزِمْنا الصمتَ إلاّ نظراتٍ تتكلمْ
وشفاهاً عن جراح القلبِ راحتْ تتبسمْ
صِحْتِ بي رُعباً وما راعَكِ قلبٌ يتحطّمْ
نبأتني النفسُ بالبَيْنِ غداً ، والنفسُ تُلهمْ

❖ ❖ ❖

ثُمَّ كانَ الغدُ ما نُبِّئتِ هجراً وفِراقا
ونسينا قبلةً لَذّتْ على الأمسِ مَذَاقا
غيرَ أناتٍ صَحَا القلبُ عليها وأفاقا
فالتقينا وافترقنا ، وكأنْ لَمْ نتلاقا !!

امرأة

أقبلتِ أم أمعنتِ في الإعراضِ
إنِّي بحبِّكِ، يا جميلةُ، راضي
والله ما أعرضتِ بل جَنَّبْتِني
شَطَطَ الهوى، وسموتِ عن أغراضي
ألقاكِ لَسْتُ أراكِ إلاّ فتنةً
علويةَ الإشراق والإيماض
كم رُحْتُ أغمِضُ ناظري من دونها
فأراهُ لا يَقْويَ على الإغماضِ
وَذهبتُ ألتمسُ السلوَّ فأطلقَتْ
نَفِسي زِمام جوادِهَا الركَّاضِ
يجتازُ نارَ مفازةٍ مشبوبةٍ
ويخوضُ بَرْدَ جداولٍ ورياضِ
وَلقِيتُ غيرَكِ غيرَ أنَّ حُشاشتي
لم تَلْقَ غيرَ الوَقْدِ والإِرَماضِ
واعتضتُ باللّذاتِ عنكِ فلم تَجِدْ
رُوحي كلّذةِ حُلْمِكِ المعتاضِ
وأطَعتُ ثم عَصَيتُ، ثم وَجدْتُني
بيديْكِ لا عن ذِلّةٍ وتغاضي
لكن لأنّكِ إنْ خطرتِ تمثّلَتْ
دنُياكِ تسعَى لي بأروعِ ماضي

❖ ❖ ❖

سؤال وجواب

تُسائلني: وهل أحببتَ مثلي؟ وكم معشوقةٍ لكِ أو خليلهْ؟
فقلتُ لها وقد همَّت بكأسي إلى شَفَتَيَّ راحتها النحيلهْ:
نسيتُ وما أرى أحببتُ يوماً كحبِّكِ ، لا ، ولم أعرفْ مثيلَهْ!
فقالت لي : جوابُكَ لم يَدَعْ لي إلى إظهار ما تُخفيهِ حِيلَهْ
وفي عينيكَ أسرارٌ حيارى تُكذِّبُ ما تحاول أن تقولَهْ
فقلتُ : أجلْ ، عَرفتُ هوى الغواني لكلِّ غايةٌ ، ولها وسيلهْ
خبرتُ غرامهنَّ قِلَيّ ووصلاً كثيرَ الوعد لم يُدركْ قليلَهْ
قلوبٌ قاسياتٌ قنّعتها وجوهٌ شاعرياتٌ نبيلَهْ
إذا طالعنني أنسيتُ جُرحي وأنَّ الحبَّ لم يرحم قتيلَهْ
وجاذبَني إلى اللذات قلبٌ شقيٌّ ضلَّ في الدنيا سبيلَهْ
وعُدتُ كما ترينَ صريع كأسٍ أنا الظمآنُ لم يُطفئْ غليلَهْ
فقالت : كيف تضعُفُ ؟ قلتُ : وكيف أطاع «شمشونٌ» «دليلهْ» ؟
فقالت : ما حياتُكَ ؟ قلتُ : حُلْمٌ من الأشواق أوثرُ أن أطيلَهْ
حياتي قِصَّةٌ بدأتْ بكأسٍ لها غنّيتُ ، وامرأةٍ جميلهْ !!

❖ ❖ ❖

الشوق العائد

إهـــدئي، يـــا نـــوازع الـــشَّوقِ
في قلبـــي فلـــن تملكـــي لمـــاضٍ رجوُعـــا
آهِ هيهـاتِ أن يعـود ، ولـو أفنيـتُ عمـري ، تحرُّقـا
آهِ هيهاتِ أن يعود، ولو ذوَّبتُ قلبي صبابةً ودموعا
فاهـــدئي الآن يـــا لثورتـــك الهوجـــاء
جبَّـــارةً تـــدكُّ الـــضلوعا

◆ ◆ ◆

رحمـــةً ، يـــا نـــوازعَ الـــشوقِ ، لـــو ناديـــتُ
مـــاضيَّ مـــا وجـــدتُ ســـميعا
أسدَلَ القلبُ دونه ألفَ سِترٍ عبراتٍ ومثلهنَّ نجيعا
رحمـــة ، يـــا نـــوازع الـــشوقِ لـــو حاولـــتُ
بعـــثَ الهـــوى فلـــن أســـتطيعا
كيـــف يحيـــا زهـــرٌ ذوي في إنـــاءٍ
بـــاتَ في قبـــضة الحيـــاة صـــديعا

◆ ◆ ◆

رحمةً ، يا نوازعَ الشوقِ ، فما يستطيع بَعْدُ نزوعا
إنْ تكوني أحبَبْتِه فدعيهِ ناعماً بالكرى رضياً قنوعا
نـــسيَ الأمـــس أو ســـلا فتعـــالي
نَبْـــكِ صـــمتاً مـــن حولـــه وخـــشوعا
أو فكـــوني في حُلمـــه الزَّهـــرَ
والأنغـــامَ والخمـــرَ والعـــروس الـــشُّمُوعا

أيُّها الزائرُ المعاودُ ما ألقاكَ أحسنتَ بالمزار صنيعا
ما أرى في سماتِ وجهك
إلاّ شبَحاً رائعاً وحُلماً وجَيعا
يتوقّاهُ ناظراي كأنّي فيه ألقى آلامَ عمري جميعا
طالَ ليلي فما طويتُ هزيعاً منه إلا نشرتَ منه هزيعا

❖ ❖ ❖

أيُّها الشوق ، خَلِّ عنكَ ودعني
وامْضِ لا خادعاً ولا مخدوعا
أينَ هذا الجمالُ رعاهُ كالبرقِ خلوباً وأجتليهِ لموعاً
أينَ هذا الخيالُ أسقاهُ كأساً بيدٍ منه فجرَّتْ ينبوعاً
أين لا أين ! ما غنائي بالذكرى
وقد أصبحَ الوهوبُ منوعا !

❖ ❖ ❖

عُذت يا شوقُ لي وعادت
لياليك ولكن وجدتَ قلباً صريعاً
عُذْتَ من بعد لوعةٍ أحرقتهُ
وجفتْهُ على الرَّماد ضجيعاً
وليالٍ من الفراغ عواتٍ هَرأتهُ ثلوجهنَّ صقيعا
عُدتَ يا شوقُ ! فيم عُدتَ ؟
ربيعُ العمر وليَّ ! فهل تُعيدُ الربيعا ؟!



رجوع الهارب

قرّبــتُ للنــورِ المــشعِّ عيــوني
ورفعــتُ للّهــبِ الأحــمِّ جبينــي
ومــشيتُ في الــوادي يمــزّق صــخرهَ
قــدمي ، وتُــدْمِي الــشائكاتُ يمينــي
وعــدوتُ نحــو المــاءِ وهــوَ مقَــاربي
فنــأيَ وردَّ إلى الــسرابِ ظنــوني
وبَــدْت لعينــي في الــسماء غمامــةٌ
فوقفــتُ ، فارتَّــدتْ هنالــك دوني
وأصــختُ للنــسَمات وهــي هــوازجٌ
فــسمعتُ قــصفَ العاصــفِ المجنــونِ

◆◆◆

يـا صـبحُ : مـا للـشمس غـيرَ مـضيئة ؟
يـا ليـلُ : مـا للـنجم غـير مبـينِ ؟
يـا نـارُ ، مـا للنـارِ بـين جـوانحي
يـا نـورُ : أيـن النـور مـلء جفـوني ؟
ذهــبَ النهــار بحــيرتي وكــآبتي
وأتــى المــساءُ بــأدمعي وشــجوني
حتـى الطبيعـة أعرضـتْ وتـصامتْ
وتنكــرتْ للهــارب المــسكين؟

إنْ لم يكنَ لي من جِنانكَ موئلٌ
فلمنْ أبثُّ ضَراعتي وحنيني ؟
آثرتَ لي عيشَ الأسيرِ فلم أطِقْ
صبراً ، وجُنَّ من الأسارِ جنوني
فأعدتني طَلْقَ الجناح وخلت بي
للنُّورَ جنَّةَ عاشقٍ مفتونِ
وأشرَت لي نحوَ السماءِ فلم أطرْ
ورَدَدتُ عينَ الطائرِ المسجونِ
نسَى السماءَ وباتَ يجهلُ عالماً
ألقى الحجاب عليه أسرُ سنينِ

◆◆◆

ولقد مضى عهُد التنقل وانتهى
زمني إليكَ بصبوتي وفتوني
لم ألقَ بعدكَ ما يشوقُ نواظري
عند الرياضِ ، فليسَ ما يصبيني
فهتفتُ أستوحي قديمَ ملاحني
فتهدَّجَتْ وتعثَّرت بأنيني
ونزلتُ أستذري الظلال فعِفْنَني
حتى الغصون غدوَن غيرَ غصونِ
فرجعتُ للَوْكرِ القديم وبي أسىً
يطغي عليّ وذلةٌ تعروني
لما رأتهُ اغرورقتْ عيناَيَ من
ألم ، وضجّ القلبُ بعد سكونِ

ومـضتْ بَي الـذكرى فرحـتُ مُكـذِّباً
عينـي ، ومـتهماً لديـه يقينـي
وصـحوتُ مـن خَبَـلٍ وبي ممـا أرى
إطـراقُ مكتئـبٍ وصـمتُ حـزينِ
فـافتْح لَي البـابِ الـذي أغلقَتـه
دوني ، وهـاتِ القيـدَ غـير ضـنينِ
دعنـي أروّ القلـبَ مـن خمـر الرضـا
وأنِـمْ عـلى فجـر الحنـان عيـوني
وأعِـذْ إلى أسر الـصبابةِ هاربـاً
قـد آبَ مـن سَـفَرِ الليـالي الجـونِ
عـافَ الحيـاة عـلى نـواكَ طليقـةٍ
وأتـاكَ ينـشدها بعـينِ سـجينِ ؟



ليالي كيلوباترا

كليوباترا .. أيُّ حُلْم من لياليكِ الحسانِ
طـافَ بـالموج فغنَّـى وتغنَّـى الـشاطئانِ
وهفَـا كـلُّ فـؤادٍ وشـدا كـلُّ لـسان
هـذه فاتنـةُ الـدُّنيا وحـسناءُ الزمـانِ
بُعِثَـتْ في زورقٍ مُـسْتَلْهم مـن كـلِّ فـنِّ
مَـرح المجـدافِ يختـالُ بحـوراءَ تُغنـيِّ
يـا حبيبـي هـذه ليلـةُ حُبـيِّ
آهِ لـو شـاركتَني أفـراحَ قلبـي ؟

❖ ❖ ❖

نبأةٌ كالكأس دارتْ بين عُشَّاقٍ سُكارى
سَـبقتْ كـلَّ جناح في سماءِ النيـل طـارا
تحمـلُ الفتنـةَ والفرحـةِ والوجـدَ المثـارا
حلـوةً صـافيةَ اللحـن كـأحلام العـذارى
حُلْـمُ عـذراءَ دعاهـا حُبهـا ذات مـساءِ
فَتغنَّـتْ بـشراعٍ مـن خيـالِ الـشعراءِ
يـا حبيبـي هـذه ليلـةُ حبـيِّ
آهِ لـو شـاركتَني أفـراحَ قلبـي

وتجلّى الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَميدُ
يَتهدّاهُ على الموجِ نَواتيّ عبيدُ
المجاديفُ بأيديهمْ هتافٌ ونشيدُ
ومُصَلّون لهم في النهرِ محرابٌ عتيدُ
سَحَرَتهم رَوْعةُ الليلِ فَهُمْ خَلْقٌ جديدُ
كلهمْ ربٌّ يُغنّي وإلهٌ يستعيدُ
يا حبيبي هذه ليلةُ حُبّي
آه لو شاركتَني أفراح قلبي !

❖ ❖ ❖

اصدَحي أيتها الأرواحُ باللّحنِ البديع
إمرحي يا راقصات الضوءِ بالموجِ الخليع
قَبِّلي تحت شراعي حُلْمَ الفنِّ الرفيع
زورقاً بين ضفاف النيلِ في ليلِ الرَّبيع
رَّنحتْهُ موجةٌ تلعبُ في ضوءِ النجوم
وتُنادي بشعاع راقصٍ فوقَ الغيوم
يا حبيبي هذه ليلةُ حُبّي
آهِ لو شاركتَني أفراح قلبي!

❖ ❖ ❖

ليلُنا خمرٌ وأشواقٌ تُغَنّي حولنا
وشراعٌ سابحٌ في النُّور يَرْعَى ظِلّنا
كان في الليلِ سُكارى وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحبَّ فباتوا مثلنا
كلّما غرَّد كأسٌ شربوا الخمرةَ لحنا
يا حبيبي كلّ ما في الليلِ روحٌ يتغنّى
هات كأسي إنها ليلةُ حُبّي
آهِ لو شاركتَني أفراح قلبي!

❖ ❖ ❖

يا ضفافَ النيلِ بالله ويا خُضْرَ الروابي
هل رَأيتنَّ على النهر فتىً غضَّ الإهابِ
أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ في النَّورِ المذابِ
سابحاً في زورقٍ من صُنْعِ أحلامِ الشبابِ؟

❖ ❖ ❖

إن يكُنْ مرَّ وحيًّا من بعيدٍ أو قريبِ
فصفيهِ ، وأعيدي وصْفَهُ فهو حبيبي ؟
يا حبيبي هذه ليلةُ حُبيٍّ
آهِ لو شاركْتَني أفراحَ قلبي!

***

أنتِ يا من عُذْتِ بالذكرى وأحلامِ الليالي
يا ابنةَ النَّهرِ الذي غنَّاهُ أربابُ الخيالِ
وتمنَّت فيه لو تسبحُ ربَّاتُ الجمالِ
موجُه الشّادي عشيقُ النّور ،معبودُ الظلالِ

❖ ❖ ❖

لم يَزَلْ يَروي ، وتُصغي للروايات الدهورُ
والضفافُ الخضْر سكَرى ، والسَّنا كأسٌ تدورُ
حُلمٌ لم تَروِهِ ليلةُ حُبٍّ
فاذكريه واسمعي أفراحَ قلبي!



اعتراف

إنْ أكُـنْ قـد شربـتُ نَخْـبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمدامة كأسي
وتَولّعـتُ بالحِسانِ لأنّي مُغْـرَمٌ بـالجمالِ مـن كـلِّ جنسِ
وتَوّحـدتُ في الهـوى ثـم أشركـتُ عـلى حـالَتي رجـاءٍ ويـأس
وتَبـذّلتُ في غرامـي فلـم أحبسْ عـلى لـذةٍ شـاطينَ رِجْـسي
فبُروحـي أعـيشُ في عـالمِ الفـنِّ طليقـاً والطهـرُ يمـلأ حِسّي
تائهـاً في بحـاره لـستُ أدري ، لِمَ أزْجِـي الـشراعَ أو فـيمَ أرسْي

❖ ❖ ❖

ليَ قلـبٌ كزهـرةِ الحقـلِ بيـضاءَ نَمَتْهـا الـسماءُ مـن كـلِّ قَـبْسِ
هــو قيثـارتي عليهـا أغنّـي وعليهـا وَخـدي أغنّـي لنفـسي
لِي إليهـا في خَلْـوَتي همـساتٌ أنطَقَتْهـا بكـلِّ رائـع جَـرْسِ
كـم شـفاه بِهِـنَّ مـن قُـبَلاتي وَهَـجُ النّـارِ في عواصـفَ خُـرْس
ووسـاد جَـرَتْ بـهِ عـبراتي ضِحكُ يـومي مِنْهُ وإطراقُ أمسي

❖ ❖ ❖

أيّهـذي الخـدورُ ! أنـوارُكِ الحمـراءُ كـم أشْـعَلَتْ ليـاليَ أنـسي
أحـرقتهنَّ ! آهِ لم يَبْـقَ مـنهنَّ سـوى ذلـك الرَّمـاد بـرأسي!

❖ ❖ ❖

من رمال المصيف

رسالة في قصيدة [1]

إلى التي خطرت كالشعاع ثم عبرت بغير سلام أو وداع

إذا أقبـلَ اللّيـلُ ، يـا حـيرتي — تفقّـدتُ في الـشطّ حـوريّتي
وعــدتُ كئيبـاً إلى غرفتـي — أراعـي الكواكـبَ مـن شرفتـي
وأشـعلُ بالوجـدِ سـيجارتي — فـلا البـدرُ حبَّـبَ لي سـهرتي
ولا البحـرُ هـدَّأ مـن ثـورتي — وحيـداً تُـسامرني فكـرتي

❖ ❖ ❖

أأجلسُ ، يـا بحـرُ ، وحـدي هنـا ؟ — فـأينَ مـن العَـيْنِ ذاكَ الـسَّنا؟
وأيـنَ مـن القلـبِ تلـكَ المُنـى؟ — وأيـنَ مواعيـدُ نـادتْ بنـا ؟
وأيـنَ المـساءُ الـذي ضـمَّنا — لَـدَيْكِ ، وألّـفَ مـا بيننـا ؟
فيـا وَيْـحَ قلبـيَ مـاذا جَنَـى ؟ — ليحمـلَ هـذا الأسـى والـضَّنى !

❖ ❖ ❖

خـلا مـن مُحيَّـاكِ هـذا المـصيفُ — وأقفـرَ ذاك النـديُّ اللطيـفُ
كـأني بـه قـد دهـاهُ الخريـفُ — فلـيسَ عليـه خيـالٌ مطيـفُ
ذوي بِـشْرُهُ ، فهـو أفـق كـسيفُ — وبـرٌّ حـزينٌ ، وبحـرٌ لهيـفُ
وَمَـوْجٌ لَـهُ أنّـةٌ أو وجيـفُ — وريـحٌ تنـوحُ ، وليـلٌ شـفيفُ

❖ ❖ ❖

❖ ❖ ❖

ألم يَـضْربا مَوْعِـداً للقـاءِ — ستـسألُ عنـا نجـومُ الـسماءِ
على صـخرةٍ بـينَ رمـلٍ ومـاءٍ؟

---

(١) من قصائده المجهولة التي كتبها قبل رحيله ولم تنشر في دواوينه، راجع «الأعمال الكاملة لشاعر الجندول علي محمود طه» تحقيق ودراسة محمد رضوان – وزارة الثقافة – القاهرة ٢٠٠٨.

أجلْ ، يا حبيبةَ هذا الضياءِ ذهبنا وَعُدنا بحكم القضاءِ
غريبينِ نضربُ عبرَ الفضاءِ كأنّا على جَفْوةٍ أو تنائي

❖ ❖ ❖

مَددْتُ إليكِ يَدَ الواثقِ فعادتْ بلذع جوىً حارقِ
وأبعدتِ ، يا رحمةَ الخالقِ فَمَ الحبِّ عن نبعكِ الدافقِ
تعاليّ إلى روحيَ الوامقِ تعالي إلى قلبيَ الخافقِ
تعالي على عهدِكِ السابقِ تعالي إلي إلْفكِ العاشقِ

هي

هي الكأسُ مشرقةٌ في يديكَ فماذا أرابكَ في خمرِهَا؟
نظرتَ إليها وباعدتَها كأنَّ المنيَّةَ في قَطْرِها
أما ذقتَها قبلَ هذا المسَاءِ وَعَربدْتَ نشوانَ من سُكْرِها؟
حلا طعمُها يَوْمَ كنتَ الخَليَّ وكلّ الصَّبابةِ في مُرِّها
سُقيتَ بها من يَدٍ لم تكنْ سوى الريح تَنْفُخُ في جَمْرِها

❖ ❖ ❖

تلفَّتْ ! فهذا خيالُ التي مَرِحتَ وغرَّدتَ في وَكْرِها
وغرفَتُها لم تزَلْ مِثْلَمَا تنسَّمتَ حُبَّكَ من عطرِها
وقفتَ بها ساهماً مُطرقاً يُحدِّثكَ اللّيْلُ عن سرّها
مكانُكَ فيها كما كانَ أمسِ وذلكَ مثواكَ في خِدْرِها
وآثارُ دمعِكَ فوقَ الوسادِ وفوقَ المُهدَّلِ من سترِها
فهل ذُقْتَ حقاً صفاءَ الحياةِ وذَوْبَ السعادةِ في ثَغْرِها؟

❖ ❖ ❖

إذا فُتِحَ البابُ تحتَ الظلام فكيفَ ارتماؤُكَ في صَدرِها ؟
وكيف طَوَى خَصْرَها ساعدَاكَ ومرَّتْ يداكَ على شعرِها؟
وما هذهِ ؟ رِعْشَةٌ في يَدَيْك ؟ أم الكأسُ تَرْجفُ من ذكرِها؟

ومـا في جبينـكَ ، يـا ابـنَ الخيـالِ ؟ ... سِـماتٌ تُحـدِّثُ عـن غَـدرِها !!
لقــد دنَّـسَ الجَـسَدُ الآدمـيُّ ... حيـاةً حَرَصْتَ عـلى طُهْرِهـا !!
بنـى الفـنُّ فيـكَ عـلى شـاعرٍ ... تُـسبائِلُهُ الـرُّوحُ عـن ثَأرِهـا
نَزَلْـتَ بهـا وَهْـدَةً كـم خَبَـا ... شُـعاعٌ وغُيِّـبَ في قَبْرِهـا
رفعـتَ تماثيلَـكَ الرائعـاتِ ... وحَطَّمْـتَهنَّ عـلى صَخرِها

❖ ❖ ❖

فَدعْ زهـرةَ الأرض ، يـا ابـنَ السماءِ ... فأنـتَ المـبَرَّأ مـن شَرِّهـا
مراحُـك في الـسُّحْبِ العاليـاتِ ... وفـوقَ المُنـوِّرِ مـن زُهْرِهـا
فَمُـدَّ جَنَاحيـكَ فـوقَ الحيـاةِ ... وأطْلِـقْ نـشيدَكَ في فَجْرِهـا

❖ ❖ ❖

انتظار

طـالَ انتظـارُكَ في الظـلامِ ولم تَـزَلْ ... عينـايَ ترقـبُ كـلَّ طيـفٍ عـابرِ
ويطـيرُ سـمعي صـوبَ كـلِّ مُرِنَّـةٍ ... في الأفـقِ تخفـقُ عـن جَناحي طـائرِ
وتـرفُّ روحـي فـوقَ أنفـاسِ الرُّبـا ... فلعلّهـا نَفَـسُ الحبيـبِ الزائـرِ
ويَخِـفُّ قلبـي إثـرَ كـلِّ شُـعاعةٍ ... في الليلِ تومضُ عـن شهابٍ غـائرِ
فلعـلَّ مـن لَمَحَـاتِ ثغـركَ بـارقٌ ... ولعلّـه وضَـحُ الجبـينِ النـاضرِ
ليـلٌ مـن الأوهـامِ طـالَ سُـهادُهُ ... بين الجَوَى المضني وهجسِ الخاطرِ

❖ ❖ ❖

حتـى إذا هَتَفَـتْ بمقـدمِكَ المُنَـى ... وأصَخْتُ أسترعي انتباهـةَ حـائرِ
وسَرى النـسيمُ مـن الخمائـلِ والرُّبـى ... نـشوانَ يعبـقُ مـن شـذاكَ العـاطرِ
وتـرنَّم الـوادي بسلـسلِ مائِـهِ ... وتَلَـتْ حمائمُـهُ نـشيدَ الـصافرِ
وأطلّـتِ الأزهـارُ مـن ورقاتهـا ... حـيرى تَعجَّـبُ للربيـعِ البـاكرِ
وَجَرَى شُعَاعُ البَدْرِ حولَكَ راقصاً ... طَرِبـاً عـلى المـرحِ النـضيرِ الزاهـرِ
وتجلّـتِ الـدنيا كـأبهجِ مـا رأتْ ... عـينٌ وصـوَّرها خيـالُ الـشاعرِ

ومضتْ تُكذِّبني الظنونُ فأنثني مُتسمِّعاً دقاتِ قلبي الثائرِ
أقبلْتَ بالبسماتِ تملأ خاطري سحراً وأملاً من جمالكَ ناظري
وأظلّنا الصمتُ الرهيبُ ونحنُ في شك من الدنيا وحلم ساحر
حتى إذا حانَ الرحيلُ هتفتَ بي فوقفتُ واسْتَبَقَتْ خُطاكَ نواظري
وصرختُ بالليلِ المودِّع باكياً ويداكَ تمسكُ بي وأنتَ مغادري
يا ليتنا لم نَصْحُ منكَ وليتَها ما أعجلتكَ رَحَى الزمانِ الدائرِ

❖ ❖ ❖

ولقد أتتْ بعدُ الليالي وانقضتْ وكأننا في الدَّهرِ لم نَتَزَاوَرِ
بُدِّلتُ من عَطْفٍ لديكَ ورقةٍ بحنينِ مهجورٍ وقسوةِ هاجرِ
وكأنني ما كنتُ إلفَكَ في الصِّبَا يوماً ولا كنتَ الحياةَ مشاطري
ونسيتَ أنتَ، وما نسيتُ، وإنني لأعيشُ بالذكرى.. لعلَّك ذاكري!!

حديث قُبلة

تسائلني حلوةُ المبسم: متَى أنتَ قبَّلتني في فمي؟
تحدَّثت عنِّي، وعن قُبلةٍ فيالكَ من كاذبٍ مُلهمِ!
فقلتُ أعابثُها: بل نسيتِ، وفي الثغر كانتْ، وفي المعصم
فإنْ تُنكريها فما حيلتي وها هي ذي شعلةٌ في دمي
سلي شفتيكِ بما حسَّتاهُ من شَفتي شاعرٍ مُغرمِ
ألمْ تُغمِضي عندها ناظريك؟ ويا للرَّاحتينِ، ألم تحتمي؟
هَبي أنَّها نعمةٌ نلتُها ومن غير قصدٍ.. فلا تندمي!
فإنْ شئتِ أرجعتُها ثانياً مضاعفةً للفم المنعمِ
فقالتْ وغضَّتْ بأهدابها إذا كان حقاً فلا تُحجمِ
سأغمض عينِّي كي لا أراكَ وما في صنيعكَ من مأثمِ
كأنَّكَ في الحلم قبَّلتني فقلتُ وأفديك أن تحلُمي!!

عاشقة[1]

يـا حبيبـي ، أقبـلَ اللّيْـلُ ، ونـاداني الغـرَامْ
أي سرٍّ لمحـــبٍّ لم يُــصَوِّرهُ الظـــلامْ
كـلُّ نجـمٍ مهجـةٌ تهفـو وعـينٌ لا تَنـامْ
وشـعاعُ البَـدْرِ معـشوقٌ بـه جُـنَّ الغـمامْ
يا حبيبي ، كلُّ عيشٍ ما خلا الحبُّ حـرامْ
وحرامٌ ، يا حبيبي

❖ ❖ ❖

يـا حبيبـي ، غَنَّتِ الفَرِحَـةُ في كـلِّ مكـانِ
فَهُنَـا البُلْبُـل يَـشدُو ، وهنـاكَ العاشـقانِ
غَـيْرَ أنّي أشـتكي الوحـشةَ في ظـلِّ التـداني
إنـما روحُـكَ في الكَـوْنِ وروحـي تَوْأمـانِ
لا تَـدَعني أقْطَـعُ الأيـامَ وحـدي ، وأعُـاني
فحرامٌ ، يا حبيبي!

❖ ❖ ❖

يَـا حبيبـي ، سَئِمَ الليّـل سـكوتي واكتئـابي
أنـا أهـواكَ، ولكـنْ أنـتَ لا تَعْلَـمُ مـا بي
لحظَـةٌ بـينَ ذراعيـكَ فقـدْ طـالَ عـذابي
لحظَـةٌ أمـزجُ أنفاسـك بالقلـبِ المـذابِ
وَأغَنّـي ، ويُغَنِّـي لـكَ حُبِّـي ، وشَـبابي
وسلامٌ ، يا حبيبي

(١) اقتبس أحمد رامي مطلع هذه القصيدة، فأصبح عنده : يا حبيبي، أقبل الليل، وناداني حنيني ، وقد غنتها كوكب الشرق أم كلثوم.

الهمشري

وجتا « الفاتنة » !

حب لم يكتمل !

أشرقـي كـالفجر غـراء الجبـين
واتركـي نـورك يهـدي العـالمين
واطلعـي في ليـل حـزني كوكبـاً
تعـصميني مـن ضـلال العاشـقين
واطرحـي في قفـر عمـري زهـرة
علهـا تنمـو وتزكـو بعـد حـين
وابـسمي تبـسم لنـا بـيض المنـى
واضـحكي تـضحك لنـا غـر الـسنين

بالرغم من أن الشاعر محمد عبد المعطي الهمشري (١٩٠٨ ـ ١٩٣٨) رحل عن الحياة في عمر الزهور إلا أنه ترك بصمات مميزة في سجل الشعر العربي المعاصر .

نشأ شاعرنا في مدينة السنبلاوين التابعة لمحافظة الدقهلية ، ولكنه أكمل دراسته الثانوية بمدينة المنصورة وطن الشعر والجمال ، وأرض السحر والخيال وفي الفترة ما بين أعوام (١٩٢٧ـ١٩٣١) التقى على أرض المنصورة أربعة من شعراء الرومانسية الكبار : هم على محمود طه ، وكان يعمل مهندساً بهندسة مباني المنصورة ود . إبراهيم ناجي وكان يعمل طبيباً بمستشفى السكك الحديدية بها وكان صالح جودت وم . ع . الهمشري طالبين بمدرسة المنصورة الثانوية .

التقى جمعهم على شاطئ المنصورة ، فكانوا يجلسون في نهاية كل يوم على شاطئ النيل يقضون أجمل ليالي العمر في حديث الشعر والأدب والجمال وكانت ثمة صخرة تقع بين النيل والصحراء أطلقوا عليها «صخرة الملتقى» وألهمتهم قصائد عاطفية شجية ، حيث بدؤوا يراسلون الصحف والمجلات الأدبية بالقاهرة ومنها السياسة الأسبوعية والبلاغ والمقتطف وغيرها. وفي عام واحد هو عام ١٩٣١ زحف الشعراء الأربعة إلى القاهرة: ناجي ، وعلي محمود طه إلى وظيفتها وصالح جودت إلى كلية التجارة ، والهمشري إلى كلية الآداب لكن الهمشري قطع دراسته بعد عامين ليتفرغ لرسالة الشعر والأدب ، وكان يوقع شعره باسم «م . ع . الهمشري » تقليداً للشاعر الإنجليزي الرومانسي «بشيللي».



ولكن كانت في حياة هذا الشاعر العبقري الذي رحل في عمر الزهور قصة حب حزينة عاشها وهو ما زال في الحادية والعشرين من عمره ، وهو في شرخ شبابه ، وتألق فتوته ، فما هي هذه القصة ؟ وما تأثيرها في حياته وشعره ؟



قصة جتا الفاتنة

نشر الشاعر محمد عبد المعطي الهمشري قصيدة رقيقة بعنوان «إلى جتا الفاتنة في مدينة الأحلام» بمجلة أبو للو في عام ١٩٣٣م وعندما أرخ الأستاذ عبد العزيز الدسوقي في كتابه «جماعة أبو للو وأثرها في الشعر الحديث » لشعراء الجماعة قال عن ملهمة هذه القصيدة الرقيقة الفاتنة [١] :

« لسنا ندري هل كانت حبيبته «جتا» هذه حقيقة واقعة أم أنها رمز للحبيبة اتخذه إطاراً يصب فيه أشواق روحه المتلهفة ، وظمأ نفسه إلى الحب » ؟

فما هو سر جتا الفاتنة ؟

هل هي ملهمة حقيقية أحبها الهمشري وعذبه الحنين إليها وناجاها بحرارة

---

(١) جماعة أبو للو / ص : ٤١٥ .

وصدق ؟

أم أنها مجرد خيال أسطوري موهوم ؟

إن هذه السطور ستكشف لأول مرة القصة الحقيقية لغرام الهمشري مع «جتا» الفاتنة .



كان ذلك حوالي عام ١٩٢٩م ...

في مدينة السنبلاوين الخضراء بمحافظة الدقهلية ...

وكان يحلو للهمشري الذي كان يقترب من الحادية والعشرين من عمره أن يسير وحيداً متأملاً على شاطئ ترعة «البوهية» القريبة من منزلهم ويتوغل في الحقول الخضراء سابحاً في الأطياف والأحلام والرؤى الخيالية الحالمة .

وكان بطبيعته مرهف الحس خالي القلب ينظم قصائده الحب والغزل لحبيبات من وحي الخيال الجامح . حتى وقع بصره على جتا الفاتنة فتغير الحال .

أصبح الهمشري عاشقاً متيماً لا ينام الليل ... انقلب ليله نهاراً ونهاره ليلاً.

كانت جتا فتاة حسناء بارعة الجمال رقيقة . وكانت ابنة طبيب أسنان من أصل يوناني يعمل مدير عيادة بالسنبلاوين بشارع السكة الحديد تدر عليه ربحاً طيباً ، وأحبه أهل البلدة وآثروه بثقتهم ، فتجنس بالجنسية المصرية واتخذ مصر وطناً له ...

كانت جتا في تلك الحقبة تبلغ السابعة عشرة من عمرها ، وكان شاعرنا قد ودع أيام الصبا، ودخل في طور الشباب ، فكان يبلغ الحادية والعشرين من عمره، وكان مشبوب العاطفة ، مشتعل الوجدان ، ينظم شعراً عاطفياً ملتهباً ، مغرقاً في الصبابة والوجد وعبادة الجمال المجرد .

والتقت نظرات الشاعر بفاتنة السنبلاوين ، فكانت قصة حب كبيرة ...
تعلق بها قلبه وأصبح يكثر من السير تحت نافذة منزلها ليتزود منها بنظرة

وابتسامة تلهمه أجمل أغاريده .

كان الهمشري يسعد بابتسامتها الحلوة ويقنع بها ثم أتيح للمحبين أن يلتقيا في مناجاة حارة طويلة بمصيف رأس البر حيث كانت تصطاف أسرة كل منهما .

وبنى العاشقان آمالاً كباراً وأحلاماً وردية للمستقبل الباسم ولعشهما السعيد الذي سيجمعهما .

ثم عاد إلى السنبلاوين ... ولم يلبث الهمشري أن انتقل إلى المنصورة حيث التحق بمدرستها الثانوية ولم تعد تتاح له فرصة رؤيتها والتزود بابتسامتها سوى لحظات قليلة كل أسبوع ... حيث كان يقضي عطلة نهاية الأسبوع - يومي الخميس والجمعة - في بلدته يعود بعدها إلى المنصورة حيث يروي لصديقه وزميله صالح جودت أحاسيس قلبه وهمسات روحه وفتنته العارمة بهذه الحسناء الفاتنة وكيف مر تحت نافذتها ، وكيف ابتسمت له ، وكيف بنى من ابتسامتها أحلاماً كباراً ...



ظل الهمشري خافق القلب ، مشبوب العاطفة نحو هذه الحسناء الفاتنة المثقفة التي كانت تقرأ الشعر الإنجليزي وتهيم به خاصة الشعر الرومانسي الحالم مثل شاعرنا تماماً .

وظلت صورتها الفاتنة وابتسامتها الساحرة تضيء لياليه وتسعد أيامه الموحشة وتبعث النشوة في كيانه كله ، وأصبحت تملأ عليه حياته ...

ولكن الأيام صهرته بالعذاب في تلك الحقبة ، بمأساة قاسية ، ففجعته في حبه الكبير .

كانت آمال شاعرنا أن تتوج قصة حبه لملهمته بالزواج ... ولكن نشأت عقبات بسبب صغر سنه والعامل المادي واختلاف الدين ... إذ كانت «جتا» يهودية وهو مسلم متدين يكثر من قراءة القرآن ويسبح في أجوائه وتحت ظلاله .

وسرعان ما تزوجت جتا من أحد تجار المجوهرات الأثرياء من قرية مجاورة، فكانت صدمة حياته [1].

واعتكف الهمشري في وحدته بين حقول السنبلاوين يبكي حبه الضائع وأمله الذي تحطم على صخرة الواقع ..

ويدأ الهمشري يمكث الساعات الطوال في وحدته في أطراف السنبلاوين بين الطبيعة والحقول الخضراء يجتر أحزان قلبه المكلوم.

وألهمته «جتا» قصيدة من أجمل قصائده العاطفية وأرقها على الإطلاق هي قصيدته «إلى جتا الفاتنة في مدينة الأحلام» .

وأهدى القصيدة إليها ، حيث قال «مهداة إليها مع أزهار سحرية من حدائق الخيال وبساتين الشفق » .

وقد مهد للقصيدة بنص من التوراة - باعتبارها يهودية - فأورد جزءاً من إصحاح راعوث قبل مطلع القصيدة ، يقول :

« لا تلحي على أن أتركك وأرجع عنك ؛ لأني حيثما ذهبت أذهب ، وحيثما بت أبيت .

« شعبك شعبي ، وإلهك إلهي ، حيثما مُتِ أموتُ ، وهنالك أُدفن ، هكذا يفعل الرب فيّ ، وهكذا أريد ، إنما أموت يفصل بيني وبينك » .

وهكذا كان هذا النص من التوراة رسالة عبادة حتى الموت موجهة إلى «جتا» .

إن قصيدة «جتا الفاتنة » هي مزيج من النزعة الرمزية والنزعة العاطفية ، وقد أودعها الشاعر خفقات قلبه وهمسات روحه ، فيرسم في الأبيات الأولى هذه اللوحة الفنية الرائعة بريشته الساحرة، حين يناجي محبوبته في عالم الرؤى والخيال :

---

(١) أخبرني بهذه المعلومات شقيق الشاعر المستشار محمود الهمشري أثناء لقاء معه بمنزله بالقاهرة عام ١٩٧٥ .

هـــا هـــو الليـــل قـــد أتـــى فتعـــالى
نتهـــادى عـــلى ضـــفاف الرمـــال
فنـــسيمُ المـــساء يـــسرق عطـــرا
مـــن ريـــاض ســـحيقة في الخيـــال

❖ ❖ ❖

صـــوّر المغـــربُ الـــذكيُّ رُباهـــا
فهـــي تحكـــي مدينـــة الأحـــلام
نفحـــت في الخيـــال منهـــا زهـــورٌ
غـــير منظـــورة مـــن الأوهـــام

❖ ❖ ❖

ووراء الـــسياج زهـــرة فُـــلٍ
غازلتهـــا أشـــعة في الـــسماء
نـــشر النـــسم سرهـــا وهـــو يـــسري
في مـــروج مطّلولـــة الأفيـــاء

❖ ❖ ❖

ودهـــاليز مـــن ظـــلام ونـــور
صـــورت ســـحرها يـــدُ الأطيـــاف
عـــشش البلبـــل الخيـــالي فيهـــا
ســـاكباً لحنـــه الحنـــون الـــصافي

❖ ❖ ❖

إن هـــذي الأزهـــار تحلـــمُ في الليـــل
وعطـــرُ النـــارنج خلـــف الـــسياج
وخريـــرُ الميـــاه والـــشفق الـــسحر
وهمـــا مـــن النـــسيم الـــساجي
والنـــدى والظـــلال تـــنعس في المـــاء

وهـــذا الـــشعاع خلـــف الغـــمام
بعـــضُ ألحانــــه تـــأنق فيهــــا
فـــتراءت في هــــذه الأجـــسام

هكذا يصور الشاعر في هذه الأبيات الأولى من قصيدته ذلك الجو الخيالي الرومانسي الفاتن الذي يعيش فيه ، ويناجي ملهمته في ظلاله ...

إن لقاء شاعرياً تم بين الشاعر وملهمته عند الغروب في ظلال الطبيعة الفاتنة فأوحى إليه ذلك اللقاء صوراً وظلالاً جديدة عن طريق الإيحاء ، فصور مشاعره وأحاسيسه بالرمز والصور الخيالية المغرقة في الشمافية والرقة في لوحات جميلة نابضة بالحرارة والرقة والعذوبة ، فجعل النسيم يسرق العطر من رياض سحيقة في الخيال ...

وقد أثارت تعبيرات الهمشري المبتكرة وتراكيبه الغريبة في هذه القصيدة والتي تتألق في الظلال والأضواء فضلاً عن الإغراق في الرمزية حيرة النقاد وتفسيراتهم حول غرابة هذه التعبيرات والتراكيب وإيغالها في الرمز والغموض والخيال الجامح ... كما أنها أثارت الشك في نفوس الكثيرين منهم حول تلك الملهمة الغامضة المجهولة التي تسبح في بحار الضوء والعطر والموسيقا مع عطر النارنج وخرير المياه وهمس النسيم ...

ثم يواصل الهمشري مناجاته الحارة المتقدة لملهمته «جنا» فيذكر لها أنه أفنى دموعه وعفر جبهته وقدم روحه على مذبح غرامها ، فيقول :

قبـــل هـــذي الحيـــاة كنـــتُ أصـــلي
يـــا حيـــاتي لحُـــسنكِ المعبـــودِ
فيـــك أفنيـــتُ أدمعـــي في غنـــائي
فيـــك عفَـــرتُ جبهتـــي في ســـجودِ



وعــــلى مـــذبح الغـــرام تقّربـــتُ
بروحـــــي في ذلــــةٍ وخــــشوع
غـــير أني رأيـــتُ هـــذا قلـــيلا
فتقربـــتُ بعــــدها بـــدموعي

ويبلغ وله بها ذروته فيتخيلها إلها علوياً في معبد الخيال وهو يتعبد لها ويرتل لها أشجى الألحان وأحفلها بالحب والشجن كما يتخيلها فجراً وضيئاً مشرقاً وهو ضباب قد تاه في أفقه المنور المضئ فلا يملك إلا أن يمضي في تراتيله لهذه الشعلة المقدسة التي هبطت الحياة إلها معبوداً لقلبه الواله المحب :

كنـــتِ في معبـــد الخيـــال تـــرفين
إلهـــاً ، وكنـــتُ مـــن عبـــدانك
كـــم بعثـــت الأشـــعار فيـــه مـــزامير
تجيـــب الحـــزين مـــن ألحانـــك

❖ ❖ ❖

كنـــت فجـــراً ، وكنـــت فيـــه ضـــباباً
شـــاع في أفقـــه الـــوضيء فتاهـــا
وهبطـــتِ الحيـــاة شـــعلة تقـــديس
وجئـــتِ الحيـــاة أنـــتِ إلهـــا

❖ ❖ ❖

ثم بدأ الهمشري في إضفاء جو من حرارة العاطفة ودفئها في قصيدته حين يخاطب ملهمته بكلمة «أنت» في مناجاة حارة ملتهبة لا يمل من تكرارها وتردادها كما يضفي على ملهمته صفات موغلة في الخيال والسمو حتى أنه يصفها بأنها «حلم منور ذهبي» وبأنها «عطر مجنح شفقي» وسر ذلك يعود إلى حرارة حبه لها ووجده بحسنها مما جعله يراها كملهمة ملائكية من عالم آخر غير عالم الأرض والحقيقة .

اسمعه وهو يرتل لها في معبد الحسن والجمال :

أنــــت لحــنٌ مقـــدس علـــوي

قـــد تهـــادى مـــن عـــالم نـــوراني

ســـمعتْ وقعــه الـــسماوي روحـــي

فأفاقـــتْ في معبـــد الأحـــزانِ

❖ ❖ ❖

أنـــتِ حُلـــمٌ منـــوّرٌ ذهبـــيٌّ

طـــاف في أفـــق عـــالم منـــسحورِ

وتجـــلى عـــلى غياهـــب روحـــي

بجنـــاح مـــن الـــضياء البـــشيرِ

❖ ❖ ❖

أنـــت عطـــر مجـــنحٌ شـــفقيٌّ

فـــاوح الـــروح في همـــود الـــذهول

قـــد سرى في الخيـــال طيـــب شـــذاه

مـــن زهـــورٍ في شـــاطئ مجهـــول

❖ ❖ ❖

أنـــت ظـــلٌ مقُـــدس ، أنـــت كهـــف

طـــائفي في ربـــوة أحـــلام

غمـــر الـــروح في ســـكينتها الـــسحرُ

فتاهـــت في عـــالم الآلام

❖ ❖ ❖

ثـم يوغـل شـاعرنا المولـه المفتـون في مناجـاة ملهمتـه الـساحرة ، ويغـرق في الرمزية فيبتكر التعبيرات الجديدة الغريبة ويوغل فيها حين يصف الصمت بأنـه «مقمر» ، والكوخ بأنه «سرمدي الخيال» ولعل ذلك يعـود لما في هـذه التعبـيرات من شحنات وجدانية خيالية أثارتها فيه عاطفته المولهة الحارة نحو ملهمتـه ذات

النظرات الآسرة .

ويمضي الشاعر في مناجاة ملهمته ، فيضفي عليها الكثير من سحر الخيال وجمال الرمز وشاعرية الطبيعة التي يتعشقها في رومانسية حالمة مجنحة ، فيقول مناجياً لها في وجد وخشوع :

أنتِ كوخ معشوشب في رُباة
مقمرُ الصمت سرمديُّ الخيالِ
نعست روحي الكليلة نشوى
فيه ترعى فجريَّ هذا الجمالِ

❖ ❖ ❖

أنت صمتٌ مخيِّم ، فقضاء
فظلامٌ مكوكبٌ ، فنهار
فهمودٌ تدب فيه حياة
ويغني في فجرها «النّوبهارُ»

❖ ❖ ❖

أنتِ كلُّ الحياةِ أنتِ كياني
أنتِ روحي أبصرتُها في سباتي
أنتِ وحيي مُجسداً .. أنتِ لحني
يا سماء على سماء حياتي

❖ ❖ ❖

وتبلغ ذروة رمزيته وخياله المجنح ورومانسيته المرهفة حين يرسم صورة تطلب فيها ملهمته أن يكون اللقاء بينهما وراء أسوار الحياة .

كما يناجي ملهمته ويطلب منها أن تغمر حياته بالدفء والضوء والحب :

أنتِ أغويتني بأن ألقَاكِ
خلفَ سور الحياةِ ... فوق رُباكِ

غـــير أني بحثـــتُ عنـــك طـــويلاً
وأخـــيراً نعَـــستُ تحـــت ذُراكِ

❖ ❖ ❖

أيقظينـــي مـــن الـــذهول وغنـــي
يـــا ملاكـــي عـــلى طلـــول حيـــاتي
وارشـــديني إلى الـــضياء ... وإلا
فـــاتركيني أهـــوى إلى ظُلـــماتي

❖ ❖ ❖

وعـــلى عـــالمي الـــشتائي فيـــضي
نـــورَ دفءٍ يُفنـــي ظلامـــي الحالـــك
وارفعينـــي كمعبـــدٍ قُـــدسِّي
تتهـــادى بـــه طيـــوف جمالـــك

❖ ❖ ❖

ثم في النهاية يذكر لملهمته أنه سيظل يغني لها في وحدته الموحشة الحزينة رغم الظلام المطبق على روحه وهو بعيد عنها ، فيقول في أسى ووجد :

إننـــي في الظـــلام أنـــصب وحـــدي
خيمـــةً للغنـــاء مـــن آلامـــي
فاســـمعيني ، فـــإنني ســـأُغني
لـــكِ «جَنَّـــا» في وحـــدتي وظلامـــي

وقد كتب الهمشري هذه القصيدة الشجية التي تتماوج فيها أنغام الرضا والعتاب والوحشة واليأس والأمل والحنين والوجد الآسر بعد يأسه من تحقيق آماله في الزواج من هذه الحسناء الفاتنة بسبب صغر سنه واختلاف العقيدة الدينية ، فانطوى في وحدته الصامتة في ظلال الطبيعة الخضراء الساحرة على ترعة البوهية عند أطراف السنبلاوين يناجي ملهمته الملائكية النورانية ويهدي لها نتاج تأملاته الحزينة في عالم الخيال ، فكانت تلك القصيدة الغزلية الشجية التي أهداها إليها «مع أزهار سحرية من حدائق الخيال وبساتين الشفق» .

مختارات من شعر الهمشري

١ . إلى نوسا

منك الجمالُ ومني الحب يا «نَوَسا» [١]
فعلِّلي القلب ، إن القلبَ قد يئسا
يا حبذا نسمة من «توحةٍ» [٢] خطرتْ
أطالت النفس من أسبابها النفسا
أضُمها ضَمَّ مُشتاقٍ به خَبلٌ
قد رام كتم هوى أحبابه فَنَسا [٣]
إن تسمعي قرَعَ ناقوسٍ بقريتكم
في مطلع الفجر ينعي الليلَ والغلسا
فإنه قلبي المنكود يذكركم
فهل سمعتِ بقلب قد غدا جَرَسَا ؟
وإن تألق برقٌ في سماوتكم
فإنه من لهيب القلب قد قَبسا

(١) نوسا : قرية تتكوء على النيل قريبة من المنصورة واسمها «نوسا البحر» مسقط رأس الهمشري وكانت له فيها قصة حب كبيرة مع «توحة».
(٢) الاسم المدلل للمتغزل فيها .
(٣) نسا : قصر .

الـــروحُ إن ظمَئــتْ يومـــاً ، فحاجتهـــا
خمـــرٌ ســـماوية فاحـــت بهـــا قدســـا
وأنـــت «يـــا تـــوحُ» روحانيـــة خُلقـــتْ
لكـــي ترينـــا عُـــلا الجنّـــاتِ مُنعكـــسا
هـــذا جمالـــك يـــدعوني لأعـــشَقه
لكـــنَّ ثغـــرك يـــا دنيـــاي مانَيـــسَا
الله يـــــشهدُ أني حـــــين أذكـــــركم
أديـــل دمعـــا عـــلى الخـــدين محتبـــسا
عـــسى نـــسيم الـــصَّبا يـــسري فيـــسعف بي
قلبـــاً يمـــوت حزينـــاً في الغـــرام ... عَـــسى
فـــإن بعثـــت لنـــا مـــن «توحـــة» خـــبراً
فكـــم يحبـــك هـــذا القلـــب يـــا «نوســـا»



٢ـ عاصفة في سكون الليل [1]

أشرقـــي كـــالفجر غـــراء الجبـــين
وانـــشري نـــورك يهـــدي العـــالمين
واطلعُـــي في ليـــل حـــزني كوكبـــاً
تعـــصميني مـــن ضـــلال العاشـــقين
واطرحـــي في قفَـــزْ عمـــري زهـــرةً
علّهـــا تنمـــو وتزكـــو بعـــد حـــين
وابـــسمي تبـــسمْ لنـــا بـــيضُ المنـــى
واضـــحكي تـــضحك لنـــا غُـــرُّ الـــسنين

❖ ❖ ❖

هـــا هـــو الليـــلُ كـــما كـــان بـــدا
يحمـــل الحـــزن لقلبـــي والحنـــين
هيكـــلُ الأحـــزان[2] ... في محرابـــه
قـــرب العـــشاق قربـــان العيـــون[3]
عطـــره أحـــزان أزهـــار الربـــا
ونـــداه عـــبرات البائـــسين[4]
وسرى النـــســم في أحـــشائه
مهـــج ذابـــت وأرواح فنـــين
كـــل شيء هـــان في شرع الهـــوى
يـــا ملاكـــي ... والهـــوى لـــيس يهـــون

---

(١) مجلة التعاون / ١٩٣٨ م.
(٢) هيكل الأحزان : الليل.
(٣) قربان العيون : الدموع والنوم.
(٤) أي أن العطر الذي يلفه الليل هو أحزان الأزهار.

لم يمـر الليـل سـوى بنـت هـوى
قــرأت مــا ســتعاني في الجبــين
لبـستْ في بدنـه ثـوبَ الهـوى
وبــأخراه ثيــاب النــادمين
وعميــد بــاتَ مطــويَّ الحــشا
في ســكون الليــل مبحــوح الأنــين
قــام في الليــل كطيــف غــابر
وكــأن الليــل محــراب القــرون

❖ ❖ ❖

ومغــن غلَــب الحــزنُ عــلي
وتــر اللهــو لديــه والمجــون
لــيس يــدري فكــره مــا لحنــهُ
وهـو رجـع الـسحر مـن مـاضٍ شـطون

❖ ❖ ❖

أيهــا الليــل أتينــا نــشتكي
فاســتمع شــكوى الحزانــى المتعبــين
هــدنا الحــزن وأضــنانا الأســى
وبرانــا الوجــد في دنيــا الــشجون
قــد شــكوناك وجئنــا نــشتكي
لــك شَــيئاً مــن خيــال الــذاهلين

❖ ❖ ❖

إننــي يــا ليــل أحكــي غنــوة
فنيــت فيــك عــلى مــر الــسنين
واســـتحالت في الـــبلى قُـــبَّرة
تتغنـــى في دُجـــى وادي المنـــون

❖ ❖ ❖

هــــذه أغنيتــــي رتلتهــــا
لــك يــا دنيــاي في ديــر الــسكون [1]
لحنهــا أنــت ... وحُــزني وقعهُــا
ونــذير المــوت بعــضُ الــسامعين
لا تلــومي مــا بهــا مــن حــزَنٍ
إنــما الأحــزانُ موســيقى الحــزين
أعــذبُ الألحــان لحــنٌ أُفرغــتْ
فيــه أنــاتُ الأســى طــيّ الحنــين
عــانقيني في الــدجى اقــتربي
إننــي أفــزعُ ممــا تفــزعين
قــرِّبي خــدّكِ ... ضُــميني إلى
صَدرك الحاني ... ألثمي هــذا الجبــين
إنــما نحــن كركــب ضــل في
تيــه صــحراء ... بقــوم تــائهين
قــد نــسينا كــل مــا كــان لنــا
وتركنــا في غــد مــا ســيكون [1]



(١) دير السكون : الليل.

٣ ـ أحلام النارنجة الذابلة

كانــت لنــا عنــد الــسياج شــجيرة
ألــف الغنــاء بظلهــا الــزرزور
طفــق الربيــع يزورهــا مُتخفيــاً
فيفــيضُ منهــا في الحديقــة نــورُ
حتــى إذا حــلّ الــصباح تنفــست
فيهــا الزهــورُ وزقــزق العــصفورُ
وسرَى إلى أرض الحديقــة كُلهــا
نبــأ الربيــع وركبــه المــسحورُ
كانــت لنــا ... يــا ليتهــا دامــت لنــا
أو دام يهتــف فوقهــا الــزرزور

❖ ❖ ❖

قــد كنــت أجلــس صــوبها في شُرفتــي
أو كنــتُ أجلــس تحتهــا في طلتــي
أو كنــت أرقــب في الــضحى زرزورهــا
مــتهللاً يغَــشى نوافــذ غرفتــي
طــوراً ينُقّــر في الزجــاج وتــارة
يــسمو يــزرزر في وكــار[1] ســقيفتي[2]
فــإذا رآني طــار في أغــرودة
بيــضاء واســتوفى[3] غــصون شــجيرتي

---

(١) جمع وكر .

(١) سقف الغرفة .

(٢) استوفى ـ اشترف .

كانت لنا ... يا ليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

❖ ❖ ❖

فمتى يؤوب هتافه ؟ ومتى أرى
نوارك الثلجي يا نارنجتي
ومتى أطير إليك ترقص مهجتي
فرحاً وآخذ مجلسي من شرفتي

❖ ❖ ❖

هيهات لن أنسى بظلك مجلسي
وأنا أراعي الأفق نصف مغمض
خنقت جفوني ذكريات حلوة
من عطرك القمري والنغم الوضي
فانساب منك على كليل مشاعري
ينبوع لحن في الخيال مفضض[(١)]
وهفت عليك الروح من وادي الأسى[(٢)]
لتعب من خمر الأريج الأبيض
كانت لنا ... يا ليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

❖ ❖ ❖

هيهات ... لن أنسى «ضحى سبتمبر»
والنحل يغشى نورك المتلالي
ومساء «مارس» كيف يهبط تلة
شفقية محدودة الإظلال
نزل الحديقة تحت أوهام الندى
وضفا عليك معطر الأذيال

---

(١) ينبوع اللحن المفضض : يقصد عطر التاريخ.

(٢) وادي الأسى: الجسم.

فهنــاك كــم ذهبيــة شــغفت بهــا
روحــي فتاهــت في مــروج خيــال

◆◆◆

وهنــا تحركــت الــشجيرة في أســى
وبكــى الربيــع خيالهــا المهجــور
وتــذكرت عهــد الــصبا فتأوهــت
وكأنهــا بيــد الأســى طنبــور
وتــذكرت أيــام يرشــف نورهــا
ريــق الــضحى ويــزرزر الــزرزور
وعــرائس النــارنج تحلــمُ في النــدّى
فــيرف فيهــا طيفهــا المــسحور
كانــت لنــا ، يــا ليتهــا دامــت لنــا
أو دام يهتــف فوقهــا الــزرزور

◆◆◆

وتــذكرتْ عنــد الــسياج أزاهــرا
صــفراء رفّــتْ في ظــلال العوســج
زهــر القطيفــة كيــف خــان عهودهــا
نــسَى الهــوى في عطرهــا المتُــبلج
وتــذكرتْ في رعــشةٍ لمــا ســبا
زرزورهـــا منهـــا ولم يتحـــرج
وهنــا تمــشت في الــشُجيرة خلجــةٌ
وبكــتْ حنينــاً للــشذى المتــأرج
كانــت لنــا ، يــا ليتهــا دامــت لنــا
أو دام يهتــف فوقهــا الــزرزور

◆◆◆

وتـــذكرت شـــفقاً تـــوهج حمـــرةً
خلـــل الغيـــوم عـــلى رُبي الآصـــال
وبـــدت غـــصون الجـــزورين كأنهـــا
قلـــع ترفـــرف في بحـــار خيـــالِ

❖ ❖ ❖

وهنـــا تحركـــت الـــشجيرة في أســـى
وبكـــى الربيـــع خيالهـــا المهجـــور
وتـــذكرت عهـــد الـــصبا فتنهـــدت
وكأنهـــا بيـــد الأســـى طنبـــورُ

❖ ❖ ❖

وتـــذكرت شـــجر النخيـــل وهدهـــدا
قـــد كـــان يقـــصدها صـــباح مـــساء
وتـــذكرت في اليوســـفي يمامـــة
كانـــت تنـــوح الليلـــة القمـــراء

❖ ❖ ❖

وهنـــا تحركـــت الـــشجيرة في أســـى
وبكـــى الربيـــع خيالهـــا المهجـــور
وتـــذكرت عهـــد الـــصبا فترنحـــت
وكأنهـــا بيـــد الأســـى طنبـــور

❖ ❖ ❖

وضـــفت عـــلى كـــل الغـــصون ســـحابة
وزكـــا الغـــصين وفـــتّح النـــوارُ
وتهلـــل الـــزرزور في أوراقهـــا
وزهـــا الـــسياج وفاحـــت الأعطـــارُ

❖ ❖ ❖

حلَمـــتْ بـــأرض في الخيـــال ســـحيقة

في ذلـــك الأفـــق القـــصي النـــائي
وهنـــاك تحـــت «ســـمانجون» ســـمائها [1]
تاقـــت إلى أحلامهـــا الزرقـــاء
خلَـــدَتْ إلى صـــمت هنـــاك مُخـــيم
تـــسجو عليـــه خوافـــق الأفيـــاء
هـــي جنـــة الأشـــجار والأظـــلال
والأعطـــار والأنغـــام والأنـــداء

◆ ◆ ◆

يتزاهـــر «البـــشنين» فـــوق شـــطوطها
ويغـــازل الـــدفلى زهـــر اللـــوتس
وعـــرائس النـــارنج فـــاح عبيرهـــا
بالنحـــل تحلـــم في الـــسكون المُـــشمس
وهنـــاك زرزور يُغـــرد دائـــماً
ويقـــص أحـــلام الزهـــور الـــنُعس
يـــروي لهـــا أســـطورة ســـحريةً
ممـــا يفـــوح بـــه خيـــال النـــرَّجسِ
كانـــت لنـــا ... يـــا ليتهـــا دامـــت لنـــا
أو دام يهتـــف فوقهـــا الـــزرزور

◆ ◆ ◆

نـــارنجتي ... والله مـــذ فَـــارقتني
وأنـــا حليـــفُ كآبـــةٍ خرســـاء
أصـــبحت بعـــدك في انقبـــاض مُـــوحشٍ
وكـــأنني منـــه مـــساء شـــتاء
تتنـــاثر الأعطـــار في آفاقهـــا

---

(1) سمانجون : لفظة فارسية يقصد بها الزرقة العميقة .

روحـــي إليـــك وراء كـــل فـــضاء
وتـــرفُّ في دهليـــز كـــل أشـــعة
قمـــراء أو ترنيمـــة بيـــضاء

❖ ❖ ❖

قـــد كنـــت أرجـــو أن تكـــون نهـــايتي
في ظـــل هـــذا الـــسور حيـــث أراك
ويكـــون آخـــر مـــا يخـــدر مـــسمعي
زرزورك الهتـــافُ فـــوق ذراك
ويطـــوف في غيـــوبتي فيفيقنـــي
فجـــرٌ قـــصيرُ البعـــث مـــن ريـــاك
والآن إذ عجـــل القـــضاء فـــإنما
ســـيقوم في الـــذكرى خيـــال شَـــذاكِ

❖ ❖ ❖

كانـــت لنـــا عنـــد الـــسياج شـــجيرة
ألـــف الغنـــاء بظلهـــا الـــزرزور
طفـــق الربيـــع يزورهـــا مُتخفيـــاً
فيفـــيض منهـــا في الحديقـــة نـــور
حتـــى إذا حـــل الـــصباح تنفـــست
فيهـــا الزهـــور وزقـــزق العـــصفور
وسرى إلى أرض الحديقـــة كلهـــا
نبـــأ الربيـــع وركبـــه المـــسحور

❖ ❖ ❖

كانـــت لنـــا ... يـــا ليتهـــا دامـــت لنـــا
أو دام يهتـــف فوقهـــا الـــزرزور

إلى جتا الفاتنة
في مدينة الأحلام (*).

مهداة إليها مع أزهار سحرية من حدائق الخيال وبساتين الشفق.

◆◆◆

« لا تلحي على أن أتركك وأرجع عنك ؛ لأني حيثما ذهبت أذهبُ ، وحيثما بت أبيتُ . شعبك شعبي ، وإلهك إلهي ، حيثما مُت أموتُ ، وهناك أدفن هكذا يفعل الرب بي ، وهكذا يريد ، إنما الموت يفصل بيني وبينك » (1) .

هـا هـو الليـل قـد أتـى فتعـالي
نتهـادى عـلى ضـفافِ الرمـالِ
فنـسيمُ المـساء يـسرق عطـراً
مـن ريـاض سـحيقة في الخيـال

◆ ◆ ◆

صـوّر المغـربُ الـذكيُّ رُباهـا
فهـي تحكـي مدينـة الأحـلام
نفحـت في الخيـال منهـا زهـورٌ
غـير منظـورة مـن الأوهـام

◆ ◆ ◆

(*) مجلة أبو للو / نوفمبر ١٩٣٣ .

(١) التوراة ، اصحاح راعوث.

ووراء الـسياج زهـرة فُـل
غازلتهـا أشـعةٌ في المـساء
نـشر النـسيم سرهـا وهـو يـسري
في مـروج مَطْلولـةِ الأفيـاء

◆ ◆ ◆

ودهـاليز مـن ظـلام ونـورِ
صـوّرت سـحرها يـدُ الأطيـافِ
عـشش البلبـل الخيـالي فيهـا
سـاكباً لحنـه الحنـون الـصافي

◆ ◆ ◆

إن هـذى الأزهـار تحلـمُ في الليـل
وعطـرُ النـارنج خَلـف الـسياج
وخريـرُ الميـاه والـشَفق الـسحر
وهمـساً مـن النـسيم الـساجي

◆ ◆ ◆

والنـدى والظـلال تـنعس في المـاء
وهـذا الـشعاع خلـف الغـمام
بعـضُ ألحانـه تـأنق فيهـا
فـتراءت في هـذه الأجـسام

◆ ◆ ◆

قبـل هـذي الحيـاة كنـتُ أصـلي
يـا حيـاتي لحُسنكِ المعبـودِ
فيـكِ أفنيـتُ أدمعـي في غنـائي
فيـك عفَـرتُ جبهتـي في سـجودِ

◆ ◆ ◆

وعـــلى مـــذبح الغـــرام تقربـــتُ
بروحـــــي في ذلـــةٍ وخـــشوعِ
غـــير أني رأيـــتُ هـــذا قلـــيلاً
فتقربـــتُ بعـــدها بـــدموعي

❖❖❖

كنـــتِ في معبـــدِ الخيـــال تـــرفين
إلهـــاً . وكنـــتُ مـــن عبـــدانكْ
كـــم بعثـــتُ الأشـــعار فيـــه مـــزامير
تجيـــب الحـــزين مـــن ألحانـــكْ

❖❖❖

كنـــت فجـــراً ، وكنـــتُ فيـــه ضـــباباً
شـــاع في أفقـــه الوضـــيء فتاهـــا
وهبطـــتِ الحيـــاة شـــعلة تقـــديس
وجئـــتِ الحيـــاة أنـــتِ إلهـــا

❖❖❖

أنـــتِ لحـــنٌ مُقـــدسٌ علـــوى
قـــد تهـــادى مـــن عـــالم نـــوراني
ســـمعتْ وقعـــه الـــسماوي روحـــي
فأفاقـــتْ في معبـــد الأحـــزانِ

❖❖❖

أنـــتِ حُلـــمٌ منـــورٌ ذهبـــيٌ
طـــاف في أفـــق عـــالم مـــسحورِ
وتجـــلى عـــلى غياهـــب روحـــي
بجنـــاحٍ مـــن الـــضياء البـــشيرِ

❖❖❖

أنــــتِ عطــــر مجـــنحٌ شــــفقيٌ
فـــاوح الـــروح في همـــود الـــذهول
قـــد سرى في الخيـــال طيـــب شـــذاه
مـــن زهـــورٍ في شـــاطئ مجهـــول

❖ ❖ ❖

أنـــتِ ظـــلٌ مُقـــدس ، أنـــت كهـــف
طـــائفي في ربـــوة الأخـــلامِ
غمـــر الـــروح في ســـكينتها الـــسحرُ
فتاهـــــت عـــــن عـــــالم الآلامِ

❖ ❖ ❖

أنـــتِ كـــوخ معـــشوشب في ربُـــاةٍ
مُقمـــرُ الـــصمتِ سرمـــديُّ الخيـــالِ
نَعِـــستْ روحـــي الكليلـــة نـــشوى
فيـــه ترعـــى فجـــريَ هـــذا الجـــمالِ

❖ ❖ ❖

أنـــتِ صـــمتٌ مخـــيمٌ ، ففـــضاء
فظـــلامٌ مكوكـــبٌ ، فنهـــارُ
فهمـــودٌ تـــدب فيـــه حيـــاة
ويغنـــي في فجرهـــا النوّبهـــارُ

❖ ❖ ❖

أنـــتِ كـــلُّ الحيـــاةِ ... أنـــتِ كيـــاني
أنـــتِ روحـــي أبـــصرتُها في ســـباتي
أنـــت وحيـــي مجـــسداً .. أنـــتِ لحنـــي
يـــا ســـماء عـــلى ســـماء حيـــاتي

❖ ❖ ❖

أنـــتِ أغـــويتني بـــأن ألقَـــاكِ
خلــفَ ســور الحيــاةِ .. فــوق رُبــاكِ
غـــير أني بحثـــتُ عنـــكِ طـــويلاً
وأخـــيراً نَعـــستُ تحـــت ذُراكِ

❖ ❖ ❖

أيقظينـــي مـــن الــذهول وغنـــي
يـــا ملاكـــي عـــلى طلـــول حيـــاتي
وارشـــديني إلى الـــضياء . وإلا
فـــاتركيني أهـــوِي إلى ظُلُـــماتي

❖ ❖ ❖

وعـــلى عـــالمي الـــشتائي فِيـــضي
نـــورَ دفءٍ يُفنـــى ظلامـــي الحالـــك
وارفعينـــي كمعبـــدٍ قُـــدسيٍّ
تتهـــادى بـــه طيـــوف جمَالـــك

❖ ❖ ❖

إننـــي في الظـــلام أنـــصب وحـــدي
خيمـــةً للغنـــاء مـــن آلامـــي
فاســـمعيني ، فـــإنني ســـأغني
لـــكِ «جنَّـــا» في وحـــدتي وظلامـــي

نداء الفجر[1]

النسيم العطري ندّى جبيني والضياء الليلي حف جفوني
وطيوف الأحلام تخفق حولي في همود الكرى ورف السكون
فتح الفجر في الظلام مقاصير خيال للشاعر المفتون
غلّف السحر أفقها فتراءت كبقايا من عالم مسكون
فتعالِ ... إليّ ... ها أنذا وحدي أناجيك في حفيف الغصون

◆◆◆

أنت فجر يشع في ظلماتي يكشف السحر في مروج حياتي
فتغني فيها ملائكة الرحمة أنشودة الخلود الآتي
أنت سحر يبدو وراء خيالي أنت نور يرف في مشكاتي
وعيون فجرية تتجلى لتنير الكئيب من ليلاتي
فتعالي .. إلي ... ها أنذا وحد ي أناجيك في ذهول صلاتي

◆◆◆

طفتُ في المعبد المقدس في الفجر أناديك في ضجيج الجموع
في يدي الشمعدان يخفق في الصمت ويخبو على ظلال الركوع
وعلى مذبح الغرام تقرّبتُ بروحي في ذلة وخشوع
غير أني رأيتُ هذا ... قليلاً فتقربت بعدها بدموعي
فتعالي ... إلي ... ها أنذا وحدي أناجيك في رفيف الشموع

---

(١) مجلة «الأسبوع» ٢٥ أبريل ١٩٣٤ .

حياة الشاعر(*)

غــدا يــا خيــالي تنتهــي ضــحكاتنا
وآلامُنــا تفنــى ، وتفنــى المــشاعرُ
وتــسلمنا أيــدي الحيــاةِ إلى الــبلى
ويحكــم فينــا المــوتُ ، والمــوت جــائرُ

❖ ❖ ❖

جلــستُ عــلى الــصخر الوحيــد وحيــدا
وأرســلتُ طــرفي في الفــضاء شريــدا
وكفكفــتُ دمعــاً لا يُكفكــفُ غربــه
وواســيتُ قلبــاً في الــضلوع عميــدا

❖ ❖ ❖

أرى صــفحة الآمــال قــد ضــاق أفقهــا
ولاح عــلى اليــأس البعيــد مديــدا
لقــد عــشتُ في دُنيــا الخيــالِ مُعــذباً
فياليــت شــعري ، هــل أمــوتُ ســعيدا ؟

❖ ❖ ❖

كــأن حيــاتي غنــوةٌ بدويَّــةٌ
شــدَتها الليــالي للقــرون بــلا مَعنــى
كــأني أنــا فيهــا شَــجى نغماتهــا
أقامــت لهــا ذكــرى تحــفّ بهــا الأذنــا

❖ ❖ ❖

(*) مجلة «أبو للو» ـ أبريل ١٩٣٤ .

لـئن فـاتني عَهـدُ الـشباب ولهـوهُ
فـإني بعمـري لـستُ آبـهُ أو أعنـي
فـربّ هـواءٍ طـافَ في اللحـن واختـى
يُخلّـد عـن ريـح مُعمـرةٍ قرنـا

◆◆◆

لقـد كنـتُ في الـدنيا جمـالاً يزينهـا
بـما شـاده شـعري عـلى هـذه الـدنيا
خَلقـتُ لروحـي سـحرها ، لا لغيرهـا
ومـن أجلهـا أقـضي ، ومـن أجلهـا أحيـا

◆ ◆ ◆

إذا ذبـل النـارنجُ عـاش عبـيرهُ
وكـان لـه في الـوهم مـن نَفْحـه مُحيّـا
ويخلـد بعـد البـدر في الفكـر رَوْنَـقٌ
يُغـذّى خيـالي الـشعرَ والحـبَّ والوَحْيَـا





ناجي ... وزازا

الحب الأخير في حياته !

داو نـــــــاري والتيــــــاعي
وتمهـــــــلي في وداعـــــــي
يـــا حبيـــب العمـــر هـــب لي
بـــــضع لحظـــــات سراع
قـــف تأمـــل مغـــرب العمـــر
وإخفـــــاق الـــــشعاع
وإبـــك جبـــار الليـــالي
هـــذه طـــول الـــصراع



الحب الأخير في حياة شاعر الأطلال

كانت حياة الشاعر الوجداني الرقيق د . إبراهيم ناجي (١٨٩٨ ـ ١٩٥٣) حياة هادئة تكاد تكون خالية من العواصف والأعاصير ؛ لأنه كان إنساناً رقيقاً ، وديعاً ، صافي القلب ، عذب الروح فعاش حياته عاشقاً للحب والجمال ، منغمساً في تجاربه العاطفية بكل كيانه ، بعاطفة إنسانية سمحه لا تعرف الكراهية ومشاعر مشبوبة محلقة ، وإن بدت عاطفته مغلفة بضباب الأسى ، ندية بآثار دموع ؛ لأن الرّجل كان يحمل في أعماقه جحيم أسى مكتوم ، ونبع بكاء حبيس لكثرة ما قاسي ولطول ما عانى .

وإذا كان ناجي قد عاش حياته قلباً محباً عاشقاً ، يتنفس الحب ويعيشه ، إلا أنه عانى كثيراً من الإخفاق والإحباط في تجاربه ، وإن كانت تجربة حبه الأخيرة قبل رحيله عن الحياة ، كانت بمثابة البلسم الذي داوى جراح قلبه ، وأحزان روحه ، فهل عوضته هذه التجربة الأخيرة عن تجاربه المخفقة التي كادت تحطم كيانه ، قبل أن يغرق زورقه في غياهب الأسى والألم ؟

زازا ... والطائر الجريح

أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) كان ناجي يعاني كآبة في نفسه ووحشة قاسية، وكانت القاهرة يخيم عليها الظلام والصمت ... دخل في حياته حب كبير كان بمثابة لمحة الضوء التي سطعت في تلك الحقبة المظلمة .

كانت بطلة قصة هذا الحب الكبير هي «زازا» ...

ولكن من هي زازا ؟

بدأ اللقاء على الورق من جانبها ، حيث بعثت له برسالة إعجاب ما لبث أن رد عليها حيث كانت تقيم ببني سويف بصعيد مصر واستمرت المراسلات بينهما لمدة عام كامل تدور كلها حول الأدب والشعر والفن ... ثم كان أول لقاء

لها في الأسكندرية .. ثم بدأت تعمل بالفن ولكن أسرتها اعترضت ، فقام ناجي بدور كبير في إقناع أسرتها بالسماح لها بالاشتغال بالفن ثم ما لبثت أن جعلت من بيتها صالوناً أدبياً تقيم فيه ندوات أسبوعية منتظمة تدور فيها أعذب أحاديث الأدب والشعر والفن كان يؤمها ناجي والموسيقار محمد عبد الوهاب والعقاد ورامي وعلي محمود طه وفكري أباظة وصالح جودت وأنور أحمد ومحمد التابعي.

وجد ناجي فيها في تلك الحقبة التي كان يعاني فيها من محنته بالناس والزمان ـ الملجأ والسلوي.. عرفها حوالي عام ١٩٤٤ م فملأت الفراغ الذي كان يكابده.

لقد لعبت زازا في حياة ناجي في سنواته الأخيرة ـ دوراً كبيراً في تخفيف آلام نفسه وأحزان روحه ، لكنه فجع أيضًا بمصرع هذا الحب في سنواته الأخيرة.

كان في تلك الحقبة يعاني المرض وعقوق الأصدقاء وهجر المحبوبات وعسر في المال فضلاً عن الأحقاد والدسائس من خصومه الذين استغلوا محنته ، فزادوا من دسائسهم للنيل منه في عمله وكان يقترب حينئذ من الخمسين ، فزاد ذلك من محنته وأساه ولكن الدهر لم يتركهما ليسعدا بنشوة الحب ، وعذوبة النجوى والوصال ، ففرق بينهما ... وكان لذلك قصة ..

جلس ناجي وزازا في مكان عال مطل على النيل حيث اعتادا أن يلتقيا ... هذا المنظر الذي طالما تطلع إليه وزازا بقربه وهي تشير إليه وتقول «ناجي ... انظر الغروب ، ما أبدعه » .

وكان ينتشي حقاً بهذا المنظر ويهمس لنفسه قائلاً :

ـ حقا أن الغروب بديع ... ونهاية الحياة رائعة كبدايتها ... الموت والميلاد معجزتان ، عندما ولد حب زازا كان هذا الميلاد عبقريا ، فقد ولدت معه فانبثق نبوغه وتدفق انتاجه .

وهمس لها قائلاً :

-زازا -. اليوم إذ تغرب الشمس .. تغرب نفسي ويغرب حبك ... مغرب مثلك عجيب. دامي الحواشي مصبوغ الجنبات .. أنك أمامي الآن أجمل من الغروب وأعذب من ماء النيل وأغلي من كل شيء في الوجود !

جلس ناجي أمامها صامتاً كمن اعتزم سماع الحكم من قاضيه ، جلس ذلك القاضي زازاً صارما عاتباً في جماله وكبريائه وغضبه ، وقال لناجي:

- أنت لا تستحق حبي ... لأنك أقل من أن تفهم حبي .. أو تكون كفؤا لذلك الحب أنت إنسان عادي وكانت هناك امرأة مخدوعة تتخيلك مثلها الأعلي فإذا بك ... وقبل أن تكمل قاطعها ناجي بشهقة هيستيرية ... فلم ترحمه واستمرت قائلة :

- إن في قلبي جراحاً دفينة منك ونقمة غائرة وسلسلة من الشكايات الكامنة ... وأخذت زازا تكيل التهم وأحس ناجي بأن روحه تكاد تزهق فقام عازماً علي الانصراف فاقترحت عليه زازاً أن يذهبا إلى البيت ..

وفي البيت جلست زازا على كرسي قبالته وقالت له بقسوة :

- إن حبك ناقص .. أنك تحب بطريقة خيالية مضحكة .

فلم يجب ... وإنما صاح عقله الباطن صيحة لم تجد التعبير مؤداها .

- لقد أحببتك أصدق الحب وأوفاه .. أحببتك حب يجمع رعاية الزوج إلى عشق الحبيب إلي حنان الأب إلى حنين الرضيع لأمه !

فقالت زازا :

- لقد كنت تخدعني .. ولم تكن نفسي صافية من ناحيتك .

فوقف ناجي وقد كثر عليه كل ذلك.. واندفع إلي حيث كانا يجلسان في الأماسي الطويلة إلى كرسيها إلي خزانة ثيابها .. إلى مشجبها حيث علقت ملابسها ... وأخذ يقبل كل هذا ويبلله بدموعه ويدفن رأسه فيه ، فصاحت به: ماذا تصنع يا ناجي ؟ إنك تفعل فعل الذين لن يعودوا أبداً ...!

فقال ناجي بصوت يخنقه البكاء :

ـ أبداً ...

أشارت إلى الصورة المعلقة ، وقالت :

ـ ناجي ... هذه زازا ...

فقال :

ـ لم يعد لي شأن بها ...

وتهادي على كرسيه الذي ألف الجلوس عليه ، فقبله وذرف عليه الدمعة الأخيرة .. ثم هرول منصرفاً ، وهي تحاول أن تمنعه فلا تستطيع وما إن خرج من الباب حتى أحس بإغماءة وشعر بشيء حار يتدفق من حلقه فتلقاه بمنديله فإذا هو دم صبيب ...!

وأحس ناجي بمرارة وحزن بعد أن رأى مصرع حبه ونهاية آماله وحطام قلبه بعد أن هجرته زازا... فشرع ذلك الطائر الجريح يرسل أنات روحه وهمسات قلبه وهو مثخن بالجراح يروي قصة حبه الشهيد مع زازا :

إني أمـــرؤٌ عـــشتُ زمـــاني
حـــائراً معـــذّبا
عـــشتُ زمـــاني لا أرى
لخـــافقي مُنقلبـــا
مـــسافراً لاقـــوم لي
مُبتعـــداً مُغتربـــا
روايـــة ملـــت كـــما
مُـــلّ الزمـــانُ ملعبـــا

وظامئــــــاً مهــــــا تُــــــتح

مـــــواردٌ لـــــن أشربــــــا

وجائعـــــــــــاً لا زاد في

دنيـــــاي يَـــــشْفي الـــــسَّغبا

وشعر ناجي بعد الفراق أن زيته كاد يجف وأنه أصبح وحيداً ضائعاً وسط أشواك الحياة، وعواطف الحرمان [1]:

أمـــــشى بمـــــصباحي وحيـــــدا

في الريـــــاحُ متعبـــــا

أمـــــشي بـــــه وزُيتـــــهُ

كـــــاد بـــــه أن يَنْـــــضَبا

ورغم أساه وحزنه، وقسوة الصدمة إلا أنه ظل يأمل أن تعود إليه؛ لأنه يرى فيها أزره وأمله وسعادته رغم أنها بعيدة عنه كالكوكب في برجه السحيق:

يـــــا أمـــــلي إنـــــك بـــــأس

القلـــــب مهـــــا اقتربـــــا

يـــــا كوكبـــــا مهـــــا أكـــــن

مـــــن بُرجـــــهُ مقرَّبـــــا

فإنـــــه يظـــــلّ في الـــــسُمتِ

البعيـــــد كوكبـــــا

وأيـــــن منـــــي فلَـــــكٌ

قـــــد عـــــزني مُطّلبـــــا

لـــــيس إلى خيالـــــه

إلا الـــــسهادُ مركبـــــاً

[1] ناجي: ديوان الطائر الجريح.

ثم يقول لها في النهاية :

كـــم خفــت مـــن أن تـــذهبي
وخفـــــت مـــــن أن أذهبـــا
إن بعُـــد الـــشطُ فقـــد
آن لــــــه أن يقربـــــا
أنـــت الحيـــاة والنجـــاة
والأمـــــان المجتبـــــى ؟

عاصفة الروح

في سنوات ناجي الأخيرة ... اعتكف وحيداً ، وشرع يشرب بإسراف رغم تأثير ذلك في صحته لمرضه بالسكر وبذات الرئة ، وقرر أن يهجر كل شيء ، وأحس بالنهاية وبأن الزورق الذي كان يتهادي في بحار الحب والجمال قد أوشك على الغرق ، ولا مجيب لصراخ الطائر الجريح ، فكانت تلك القصيدة التي كتبها في لحظة يأس قاتلة وكآبة حادة ، ومما زادها كآبة ووحشة أنه استوحاها في لحظات هجر وفراق محبوبة العمر ... زازا التي كانت بلسمه الشافي، فكانت هذه الأنات والدموع التي أفرزتها «عاصفة روحه» .

أيـــن شـــط الرجـــاء
يـــا عبـــاب الهمـــوم
ليلتـــــي أنـــــواء
ونهـــــاري غيـــــوم

❖ ❖ ❖

أعـــولي يـــا جـــراح
اسمعـــي الـــديان
لا يهـــم الريـــاح
زورق غـــــضبان

❖ ❖ ❖

اســـــخري يـــــا حيـــــاه
قهقهـــــي يـــــا رعـــــود
الـــــصبا لـــــن أراه
والهـــــوى لـــــن يعـــــود

❖ ❖ ❖

وتبلغ الكآبة ذروتها والحزن مداه ، فيودع كل شيء : الصبا والأمل والغرام بعد وداعه للحب الكبير في حياته الذي كان يضيء حياته . ويبدد عن روحه ظلماتها وأحزانها :

اطحنـــــي يـــــا سنين
مزقـــــي يـــــا حـــــراب
كـــــل بـــــرق يبـــــين
ومـــــضه كـــــذاب

❖ ❖ ❖

اســـــخري يـــــا حيـــــاه
قهقهـــــي يـــــا غيـــــوب
الـــــصبا لـــــن أراه
والهـــــوى لـــــن يـــــؤوب

❖ ❖ ❖

ولكن زازا ، رغم ذلك ظلت بجانبه إلى آخر نسمة في حياته تهبه حياتها وهي صبية ، وهو كهل، وهو فوق ذلك قليل الحظ من المال والجمال والشباب ، مريض بذات الرائة ، فما من شك بعد ذلك أنها كانت تحبه حباً مثالياً لا غاية وراءه إلا الحب في ذاته على حد تعبير رائع لشاعر النيل والنخيل ، صالح جودت.

أنشودة الوداع

في صباح يوم الثلاثاء ٢٤ مارس عام ١٩٥٣ م كان الطبيب الشاعر الأديب يجلس في عيادته بشبرا، يكتب في ورقة أمامه شعرا وبجانبه ابنته الأثيرة «ضوحية» ثم توقف عن الكتابة عندما دخل عليه أحد مرضاه، وقام ليفحصه ... وبينما هو يدنى أذنه على صدره ليسمع دقات قلبه، ارتمى رأس الطبيب على صدر مريضه، وأغلق عينيه اللتين أثقلتهما الأحلام .!

وهكذا صمتت القيثارة الشجية التي أبدعت لنا أجمل أنغام الحب والجمال..!!

أخيراً صمتت قيثارة الحب ...

غاب ذلك النجم المشرق في سماء الشعر والحب والجمال ...

بعد أن أصبح حطام جسد وأطلال روح، ذهب ناجي وهو يهمس في أسى مودعاً محبوبته والوجود :

داو نـــــاري والتيـــــاعي
وتمهَّـــــــل في وداعـــــــي
يـــا حبيـــب العمـــر هـــب لي
بـــضع لحظـــــاتٍ سراع
قـــف تأمـــل مغـــرب العمـــر
وإخفـــــاق الـــــشعاع
وابـــكِ جبَّـــار الليـــالي
هـــدّه طـــولُ الـــصراع
واضـــياع الحـــزن والـــدمع
عـــلى العمـــر المـــضاع
وهتـــاف القلـــب بـــا الـــشكوى

عـــــلى غــــــير انتفـــــاع
مـــا يهـــمَ النـــاس مــــن نجـــم
عــــلى وشــــك الزمـــــاع
غـــاب مــــن بعــــد طلـــوع
وخبــــا بعــــد التعـــاع ؟

ويروي صديقه أحمد رامي أن ناجي كان ملهماً قبل موته : فقد تحدث عن الموت قبل أن يشرب كأسه بأيام ، فقال : كيف جاءت الحياة ولم ؟ هل جاء الحياة مصادفة أم هي من عمل عاقل مبصر مدبر ؟

هل الحياة على هذه الأرض حياة خاصة بأهل هذه الأرض أم هي جزء من نظام عام وبعض من كل ؟

وكان آخر ما نظمه ناجي تلك الأبيات التي تفيض رقة وأسي ، وقد جعل عنوانها القصيدة الناقصة ... التي يقول فيها :

قــــضيتَ العمـــــر تــــذكرني
وأذكــــــر في الهــــوى جرحـــكْ
فقــــم نــــسخر مــــن الأمـــــل
ومـــــن أعماقنــــا نـــضحك

❖ ❖ ❖

وقــــم نــــسخر مــــن الـــدنيا
وقــــم نَلْـــهُ مـــع اللاهــــي
طويـــــت صـــفحة الأمـــس
فـــــدَعْها في يـــــد الله

❖ ❖ ❖

هـــي الـــدنيا كـــما كانـــت
ومـــاذا ينفـــع الـــوعظ

ومـــا عتبـــت ولا خانـــت
ولكـــن خانـــك الحـــظ

❖ ❖ ❖

أردنـــا الجـــاه والـــذهبا
فلـــم يتلطّـــف المـــولى
وهـــذا العمـــر قـــد ذهبـــا
وأحـــسن مـــا بـــه ولى ؟

❖ ❖ ❖

وانتهت مأساة ناجي ... الطائر الجريح الذي عاش ظامئاً على كثرة الموارد حوله ، جائعاً على وفرة الزاد ... مقيماً كالمسافر ، وثاوياً كالمهاجر ... المأساة التي طالما توقعها متلهفاً في أخريات أيامه والتي وصفها بقوله :

حـــان الـــوداع ففـــيم تنتظـــر؟
نـــزل الـــستار وأقفـــر العمـــر
لم يبـــق إلا مقفـــر تعـــس
تعـــوي الـــذئاب بـــه وتـــأتمر
هـــو مـــسرح وانفـــض ملعبـــه
لم يبـــق لا عـــين ولا أثـــر
وروايـــة رويـــت وموجزهـــا
صـــحب مـــضوا وأحبـــة هجـــروا
عـــبروا بهـــا صـــوراً فمـــذ عـــبروا
ضـــحك الزمـــان وقهقـــه القـــدر

وعندما مات ناجي في صباح ٢٤ مارس عام ١٩٥٣ من عمر يناهز الثالثة والخمسين أصيبت زازا بصدمة عنيفة عندما حضرت إلى العيادة لتراه أصرت على أنه لم يمت ، بل كما قالت: ذهب ولم يترك عنوانه !

أحلى قصائد ناجي العاطفية

أغنية في هيكل الحب

كـــــم تجرعنـــــا هوانـــــا
ولقينـــــا في هوانـــــا
وبلونـــــا نـــــار حـــــبٍّ
لم نـــــذق فيهـــــا أمانـــــا
وإذا حـــــلّ الهـــــوى
هيهـــات تـــدري كيـــف كانـــا
فـــإذا مـــا ملـــك الأنفـــس
أصـــــلاها عوانـــــا
فهـــو نـــصل مـــستقرٌ
ولهيـــــب لا يـــــداني

❖ ❖ ❖

يـــا حبيبـــي هـــدأ الليـــل
ولم يـــسهرْ ســـوانا
لا الـــدجى ضـــمّد جرحينـــا
ولا الـــصبُح شـــفانا
لا الهـــوى رقّ عـــلى
الـــشاكي ولا قاســـيه لانـــا

قـــد غـــدونا غـــرض الرامـــي
كـــما شـــاء رمانـــا
وافنـــي بـــالله نطـــرق
هيكـــلَ الـــحُب كلانـــا
ســـاعة نبكـــى عـــلى الكـــأس
ونـــشكو مَـــنْ ســـقانا

◆◆◆

إلى س ...

جئتُ أشكو لـكِ روحي وجواها
وردتْ ظمـأي وعـادت بـصداها
آه مـن عينـكِ ! مـاذا صـنعتْ
بغريـب مـستجير بحماهَـا ؟!
تبعثـه تقتفـي أحلامَـهْ
كلّما أغفـى أطلّـت فرآهـا
يـا سـقى الله (للِـيلى) أيكـةٌ
وجزاهـا الخَـير عنّـا ورعاهَـا
وغـذَاها مـن أمانينـا ومـن
حبنـا الـشهدَ المـصفّى وسـقاهَا

◆◆◆

قِربّـى عينـكِ منـى قربّـى!
ظلليني واغمريني بـصفاهَا
وأريني هـدأة البحـر إذا
انبـسط البحـرُ جـلالاً وتنـاهَى
وأريني لجـة الـسحر التـي
ضـلّ في أعماقهـا الفكـرُ وتاهـا
ألمـح اللؤلـؤ في أغوارهـا
وأرى الطيبـةَ تطفـو في سـناهَا
وأراهـا تخبـأ الخلـد لمـن
بـاعَ دنيـاه وبـالروح اشـتراهَا!

◆◆◆

نحـن أرواح حيـارى افترقـتْ
ثـم عـادت فتلاقـت في شـجَاهَا
سـوف ينـسى القلـبُ إلاّ سـاعة
مِنْ رضاً في وكرك الحاني قضاهَا
هتـف القلـب وقـد حـدثتني
أيّ مـاضٍ كـشفتْ لي شـفتاهَا
همَـستْ في خـاطري فاسـتيقظتْ
روحـيَ الحيْرى وأصـغت لنـداهَا

فأنـــا إنْ لَمْ أكُـــنْ توأمَهـــا روحـيَ الحـيْرى وأصـغت لنـداهَا
فأنـــا إنْ لَمْ أكُـــنْ توأمَهـــا فكـأني كنـتُ في الغيـبِ أخاهَـا

❖ ❖ ❖

نحـــن أرواحٌ حيـــارَى ثملـــتْ وانتشتْ سكرى على لحنِ أساهَا
قرِّبـي روحـــكِ منـــي قرابـــي! ظلليـني واغمرينـي برضـاهَا!
وتعـــالىْ حـــدّثيني ! حـــدّثي ! أنـــت مـــرآةُ شـجوني وصَـدَاها
فَهَبينـــي ســـاعةَ الـــصفو التـــي تقسِمُ الأيـامُ مـا فيهـا سـواهَا
ثـــم أمـــضى لحيـــاةٍ مـــرةٍ صبْحُها عنـدي سـواءٌ ومسـاهَا!

الخريف

يـــا حبيبـــي غيمـــةٌ في خـــاطري
وجفـــوني ، وعـــلى الأفـــق ســـحابه
غفـــر الله لهـــا مـــا صـــنعتْ
كلـــما شـــاكيُها تنـــدّى كآبـــه
صرخ القفـــر لهـــا منتحبـــا
ويكـــى مـــستعطفاً ممـــا أصـــابه
فأصـــمَّ الغيـــث عنـــه أذْنـــه
مـا عـلى الأيـام لـو كـان أجابـه ؟

❖ ❖ ❖

كثـــر الهجُـــر عـــلى القلـــب فهـــل
مـــن ســـلوٍّ أو بعـــادٍ يرتـــضيه
أنـــت فجـــر مـــن جمـــالٍ وصـــبا
كـــل فجـــر طـــالع ذكّـــر نيـــه
كيـــف جانبتُـــك أبغـــى ســـلوةً

ثـــم ناجيتُـــك في كـــل شـــبيه
أيهـــا الـــساكن عينـــي ودمـــى
أيـــن في الـــدنيا مكـــانٌ لـــست فيـــه ؟

❖ ❖ ❖

عنـــدما أزمـــع ركـــبُ العُمـــر
رحلـــةً نحـــو المغـــاني الأُخر
ظهـــرتْ تجلـــوك كـــف القـــدر
صـــورة أروع مـــا في الـــصور
تـــتراءى في الـــشباب العطـــر
نفحـــة تحمـــل طيـــب الـــسَّحر
وقـــف العمـــرُ لهـــا معتـــذرا
وثنـــى الركـــبُ عنـــانَ الـــسفر

❖ ❖ ❖

عنـــدما أقفـــرت الـــدنيا جميعـــا
لحـــت لي تحمـــل عمـــراً وربيعـــا
إن يكـــن حلـــماً تـــولي مـــسرعا
أجمـــلُ الأحـــلام مـــا ولّى سريعـــا
إن يكـــن مـــا كـــان دَيْنـــاً يقُتـــضى
خلنـــي أدفعْـــه عنـــك دموعـــاً
قـــد شربنـــاه عزيـــزاً غاليـــاً
إن تكـــنْ بعـــتَ فـــإني لـــن أبيعـــا

❖ ❖ ❖

يا ندامى الحب سُمّار الهوى
سكبوا لي السهدَ في ذاك السراب
أرقوني أجرع السُقمَ وبي
صفرةُ الكأسِ وأوهامُ الحباب
كلما تقبلُ أيامُ المنى
تتجلى النعماء عن ذاك السراب
وترى أيامي الحيرى على
عرسها الضاحك أحزان الضباب

❖ ❖ ❖

لم أقيدْك بشيء في الهوى
أنت من حبي ومن وجدي طليق
الهوى الخالصُ قَيْدٌ وحدَهُ
رُبَّ حُرٍّ وهو في قيد وثيق
مزقت كفيك أشواكُ الهوى
وأنا ضقتُ بأحجار الطريق
كم ظمّيٍ بظميٍّ يرتوي
وغريقٍ مستعينٍ بغريق
يا ليالي العمر ما سرُّ الليالي
البطيئات المملات الطوال
مسرعات مبطئات ولها

❖ ❖ ❖

خفة الموت وأثقالُ الجبال
كاسفات البال عرجاء المنى
عاثرات الحظ شوهاء الظلال
عجبا للعمر يمضي مسرعاً
للمنايا بسلحفاة الملال

❖ ❖ ❖

يـا كنـار الـرَّوض في أيـكِ الهـوى
جفَّـت الروضـة مـن بعـد النـديم
حـل بالأيـكِ خريـفٌ منكـر
وظـلالٌ قاتمـاتٌ وغيـومُ
ماتـت الروضـةُ إلا طائفـاً
مـن هـوًى حـيٌّ عـلى الـذكرى يقـوم
فـإذا أنكـر مـا حـلَّ بهـا
فـرَّ يبغـى سربـه بـين النجـوم!

❖ ❖ ❖

شـاهت الـدنيا وجوهـاً ورؤى
وتولاهـا سـهوم ووجـوم
يـا عـذارى الحسن في ظـلِّ الصبَّا
كـلّ حـسن بعَـد لـيلاي دمـيْم
يـا نعـيَم العـيش في ظـلِّ الرضـا
آه لـو أعـرف مـا طعـم النعـيم
أنكـر الجنـة قلـبٌ ضَـجرٌ
أبـديّ النـار موصـولُ الجحـيمْ

❖ ❖ ❖

طالمـا موّهـتُ بالـضحْك فـما
غـيَّر التمويـه رأيـاً لـك فيَـا
كلـما تنظـر في عينـى تـرى
سِرّىَ الغـافي ومعنـاي الخفيـا
وتـرى في عمـق روحـى زهـرةً
قـد سـقاها الحـزن دمعـاً أبـديًا
ويـراه النـاس طَـلاً وتـرى
أنـت دمعـاً غـائماً في مقلتَيـا
يـا فـؤادي مـا تـرى هـذا الغـروب
مـا تـرى فيـه انهيـار العُمـرِ؟
مـا تـرى فيـه غريقـاً ذا شـحوب

يتلاشـــــىَ في خـــــضمٍّ القـــــدرِ؟
مـــا تراهـــا اتـــأدتْ قبـــل المغيـــب
ورمـــت مـــن عرشـــها المنحـــدرِ
لفتـــةً الحـــسرة للـــشط القريـــب
قبـــل أن تـــسقط خلـــف النهـــرِ

❖ ❖ ❖

يـــا فـــؤادي قاتـــل الله الـــضجرْ
وعـــذابي بـــين حـــلٍّ وســـفر
مـــا تـــرى قنطـــرة مـــن بعـــدها
راحـــة ترجـــى وبـــال يـــستقر
ذلـــك الجـــرُح ومـــا أفدحـــه
مـــا عليـــه لـــو إلى الـــسلوى عَـــبَرْ
قـــد طـــواه اليـــوُم في بُرْدتَـــه
وأتـــى الليـــلُ عليـــه فـــانفجر

❖ ❖ ❖

مَّـــر يـــومي فارغـــاً منـــك ومـــن
أمـــل اللقيـــا فـــما أتعـــسَ يـــومي
أنـــتَ يـــومي ، وغـــدي أنـــتَ ، ومـــا
مـــن زمـــان مـــرّ بي لم تـــكُ همِّـــي!
آه كـــم أغـــدو صـــغيراً ، حـــاجتي
لـــك كالطفـــل إلى رحمـــة أمِّ
ولكـــم أكـــبُر بالحـــبِّ إلى أن
أغتـــدي مستـــشرفا آفـــاقَ نجـــم
أي سر فيـــك إني لـــست أدري
كـــل مـــا فيـــك مـــن الأسرار يغـــري
خطـــرٌ ينـــساب مـــن مفـــتر ثغـــرِ
فتنـــةٌ تعـــصف مـــن لفتـــة نحـــرِ

قـــدر ينُـسج مـــن خـــصلة شـــعر
زورق يـــسبح في موجـــة عطـــر
في عُبــاب غــامض التيــار يــسرى
واصــلاً مــا بــين عينيــك وعمــري!

❖ ❖ ❖

ذات ليـــل والـــدُّجى يغمرنـــا
أتـــرى تـــذكر إذ جزنـــا المدينـــه ؟
كلـــما رُوِّعـــت مـــن نـــار شَـــج
حَـــرَّ مـــا يَـــصْلى تلمـــستَ جبينـــه
بيـــد شـــفافة مثـــل النـــدى الرَّطـــب
تعيـــد النـــار بـــرداً وســـكينه
أيهـــا الآسي لنـــاري هـــذه
مـــا الـــذي تـــصنع بالنـــار الدفينـــه؟

❖ ❖ ❖

أخيـــالا كـــان هـــذا كلـــه
ذلـــك الجـــسرُ الـــذي كنـــا عليـــه ؟
والمـــصابيحُ التـــي في جانبيـــه
ذلـــك النيـــلُ ومـــا في شـــاطئيه؟
وشـــعاعٌ طوَّفْـــت في مائـــه
وظـــلالٌ رســـبْت في ضـــفتيه
وحبيـــب وادعٌ في ســـاعدي
ووعـــودٌ نلتهـــا مـــن شـــفتيه!
رب لحـــن قـــصَّ في خـــاطري
قـــصة الحـــادي الـــذي غنَّـــى ســـهاده
وكـــأن الـــصمت منـــه واحـــةٌ
هيـــأتْ مـــن عـــشبها الرطـــب وســـاده
هأنـــا عـــدت إلى حيـــث التقينـــا

في مكـــان رفرفـــت فيـــه الـــسعاده
وبـــه قـــد رفــرف الـــصمت علينـــا
إن في صـــمت المحبـــين عبـــاده

❖ ❖ ❖

رفــرف الـــصمتُ ولكـــن أقلبـــتْ
مـــن أقـــاصي الـــسهل أصـــداءٌ بعيـــده
تتهـــادى في عبـــاب ســـاحر
مرســـل للـــشطّ أمواجـــاً مديـــده
كـــم نـــداء خافـــتٍ مبتعـــدٍ
تـــشتهي أذنُ الهـــوى أن تـــستعيده
عـــاد منـــساباً إلى أعماقهـــا
هامـــساً فيهـــا بأصـــداءٍ جديـــده
رفـــرف الـــصمتُ ولكـــن هاهنـــا
كـــل مـــا فيـــك مـــن الحُـــسنِ يغنّـــي
آه كـــم مـــن وتـــرِ نـــامَ عـــلى
صـــدر عـــودٍ نـــوم غـــافٍ مطمـــئنٍّ
وبـــه شـــتّى لحـــون مـــن أســـىً
وحنـــين وأنـــين وتَمَـــنٍّ
رقـــد العاصـــفُ فيـــه وانطـــوتْ
مهجـــةُ الـــود عـــلى صـــمتٍ مُـــرنٍّ
هـــذه الـــدّنيا هجـــيرٌ كلهـــا
أيـــن في الرَّمـــضاء ظـــلٌ مـــن ظلالِـــكْ
ربـــما تزخـــر بالحـــسن ومـــا
في الـــدُّمى مهـــما غلَـــتْ سُر جمالِـــكْ
ربـــما تزخـــر بـــالنور وكـــم
مـــن ضـــياء وهـــو مـــن غـــيرك حالـــك
لـــو جـــرت في خـــاطري أقـــصى المنـــى

لتمنيـــتُ خيـــالاً مـــن خيالـــك

❖ ❖ ❖

أنـــا إن ضـــاقت بي الـــدنيا أفـــئ
لثـــوانٍ رحبـــةٍ قـــد وســـعتا
إنـــما الـــدنيا عُبـــابٌ ضـــمنا
وشـــطوطٌ مـــن حظـــوظ فرّقتنـــا
ولقـــد أطفـــو عليـــه قَلِقـــاً
غارقـــاً في لحظـــةٍ قـــد جمعتنـــا
كلـــما تـــترى المعـــاني أجـــتلي
خلـــف معناهـــا لأسرارك معنـــى

❖ ❖ ❖

مـــا الـــذي صبك صّـــباً في الفـــؤادْ؟
مـــا الـــذي إن أُقْـــصه عنـــي عـــاد؟
طاغيـــاً يعـــصفُ عـــصفاً بالرشـــاد
ظامئـــاً ســـيان قـــربٌ وبعـــاد
ســـاهر العينـــين موصـــول الـــسهاد
مـــا الـــذي يُجـــرى لهيـــاً في الرَّمـــاد؟
مـــا الـــذي يخلقنـــا مـــن عـــدم
مـــا الـــذي يُجـــرى حيـــاة في الجـــماد ؟

❖ ❖ ❖

كـــم حبيـــب بعـــدَتْ صـــهباؤه
وتبقَّـــتْ نفحـــةٌ مـــن حَبَبَـــهْ
في نـــسيج خالـــدٍ رغـــم الـــبلى
عبـــثَ الـــدهرُ ومـــا يعبـــثُ بـــه
مـــا الـــذي في خـــصلة مـــن شـــعره ؟
مـــا الـــذي في خُطِّـــه أو كُتبِـــه ؟
مـــا الـــذي في أثـــر خلّفـــه

مـــن أفـانين الهـــوى أو عجبـــه ؟

❖ ❖ ❖

مـــا الـــذي في مجلـــس يألفُـــه
عقـــد الحـــبُّ عليـــه موعـــدَه ؟
ربـــما يبكـــي أســـى كرسّـــيهِ
أن نـــأى عنـــهُ وتبكـــي المائـــده
ربـــما نحـــسبها هـــشَّتْ إذا
عائـــدٌ هَـــشَّ لهـــا أو عائـــده
ربـــما نحـــسبها تـــسألنا
حـــين نمـــضي أفـــراق لفـــده ؟

❖ ❖ ❖

كـــم أعـــدَّتْ لـــك ســـتراً في الخفـــاء
وتـــوارت عـــن عيـــون الرقبـــاء
كـــم أعـــدَّتْ نفـــسها وانتظـــرتْ
واســـتوتْ موحـــشةً تحـــت الـــسماء؟
وهـــي لـــو تملـــكُ كفّـــاً صـــافحتْ
كفـــك الحلـــوةَ في كـــلِّ مـــساء
وهـــي لـــو تملـــكُ جـــوداً بـــذلتْ
كـــل مـــا تملـــك كـــف مـــن ســـخاء

❖ ❖ ❖

رُب كَـــرْم مـــدَّه الليـــلُ لنـــا
فتواثبنـــا لـــهُ نبغـــي اقتطافَـــهْ
وعـــلى خيمتـــه أســـودُه
عـــربيُّ الجـــود شرقـــيُّ الـــضِّيافه
وجـــد العـــرس عـــلى بهجتـــه

وســــــناه دون ورد فأضــــــافه

ثــــم وارت يـــــده جنيـــــةٌ

وطوتــــه كأســــاطير الخرافــــه

❖ ❖ ❖

أرج يعبــــــق في أنحائــــــه

حملتــــه نحــــو عرشــــينا الريــــاح

كـــــل عطـــــرٍ في ثنايــــــاه سرى

كــــان سرّاً مــــضمراً فيــــه فبــــاح

يــــا لهــــا مــــن حقبــــة كانــــت علــى

قِـــصَرٍ فيهــــا كآمــــادٍ فــــساح

نتمنــــى كلـــــما طابْــــت لنــــا

أن يظـــل الليـــلُ مجهـــول الـــصباح

❖ ❖ ❖

يــــا فــــؤادي : العمــــرُ سِــــفْرٌ وانطــــوى

وتبقـــتْ صــــفحة قبــــل النَّــــوى

مــــا الــــذي يغريـــك بالـــدنيا ســـوى

ذلــــك الوجـــــه ، وذيَّــــاك الهــــوى

الأطلال

(هذه قصة حب عاثر، التقيا وتحابا ثم انتهت القصة بأنها هي صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تسجل وقائعها كما حدثت).

❖ ❖ ❖

يا فؤادي رحمَ الله الهوى ... كان صرحاً من خيالٍ فهوَى
اسقني واشربْ على أطلاله ... وارو عنيَّ طالما الدمعُ روَى
كيف ذاك الحبُّ أمسى خبرا ... وحديثاً من أحاديث الجوَى
وبساطاً من ندامي حُلُم ... هم تواروا أبداً وَهْوَ انطوَى..

❖ ❖ ❖

يا رياحا ليس يهدَا عصفُها ... نضبَ الزيتُ ومصباحي انطَفا
وأنا أقتاتُ من وهمٍ عَفَا ... وأفِي العمرَ لناسٍ ما وفَى
كم تقلبتُ على خنجره ... لا الهوى مال ولا الجفنُ غفَا
وإذا القلبُ على غفرانه ... كلما غارَبه النصلُ عفَا

❖ ❖ ❖

يا غراماً كان مني في دمي ... قدرا كالموت أوفى طعمِه
ما قضينا ساعةً في عرسه ... وقضينا العمر في مأتمِه
ما انتزاعي دمعة من عينه ... واغتصابي بسمة من فمِه
ليت شعري أين منه مهربي ... أين يمضي هاربٌ من دمِه

❖ ❖ ❖

لستُ أنساكِ وقد أغريتني ... بفم عذبِ المناداة رقيقْ
ـد تمتد نحوي كيدٍ ... من خلال الموج مُدَّتْ لغريقْ

آه يــــا قِبلــــةَ أقـــــدامي إذا ... شـكت الأقـدام أشـواك الطريـقْ
ويريـــقٌ يظمـــأ الـــساري لـــه ... أيــن في عينيـك ذيـاك البريــقْ

❖ ❖ ❖

لـــست أنـــساك وقـــد أغريتنـــي ... بالـذري الـشم فأدمنـتُ الطمـوحْ
أنـــت روحٌ في ســـمائي وأنـــا ... لـك أعلـو فكـأني محـضُ روحْ
يالهـــا مـــن قمـــم كنـــا بهـــا ... نتلاقـــي وبــــسرّينَا نبــــوْح
نستـشف الغيـبَ مـن أبراجهـا ... ونـرى النـاس ظـلالا في الـسفوح

❖ ❖ ❖

أنــتِ حُــسنٌ في ضــحاه لم يــزل ... وأنـا عنـديَ أحـزانُ الطَفَـلْ
وبقايـا الظـل مـن ركـب رحـلْ ... وخيـوط النـور مـن نجـم أفَـلْ ...
ألمــح الــدنيا بعينـــيْ ســـئم ... وأرى حـــوليَ أشـــباحَ الملـــلْ
راقــصاتٍ فــوق أشـلاء الهـوى ... مُعـولاتٍ فـوق أجـداث الأمـلْ

❖ ❖ ❖

ذَهـــبَ العمـــرُ هبـــاءً فـــاذهبي ... لم يكـــن وعـــدُكِ إلا شـــبحَا
صـفحة قـد ذهـب الـدهر بهـا ... أثبـتَ الحـبُّ عليهـا ومحَـا
انظـري ضـحكي ورقـصي فَرِحَـا ... وأنـــا أحمـــلُ قلبـــا ذُبحَـــا
ويــراني النــاس روحــاً طـائراً ... والجـوى يطحنني طحـنَ الرحَـى!

❖ ❖ ❖

كنـــت تمثـــالَ خيـــالي فهـــوى ... المقـــادير أرادت لا يـــدي
ويحهـــا لم تـــدرِ مـــاذا حطمـــتْ ... حطمـتْ تـاجي وهـدتْ معْبـدِي
يـــا حيـــاةَ اليـــائِس المنفـــردِ ... يـا يبابـاً مـا بـه مـن أحـدِ
يـــا قفـــاراً لا فحـــاتٍ مـــا بهـــا ... مـن نجـيٍّ ... يـا سكونَ الأبـدِ ...

❖ ❖ ❖

أيــن مــن عينــي حبيــب ســاحر ... فيــه نبــل وجــلال وحيــاءْ

واثـــقُ الخطـــوة يمـــشي مَلَكـــاً ظـــالمُ الحـــسنِ شـــهيٌّ الكبريـــاءْ
عِبَـــقُ الـــسحرِ كأنفـــاس الـــربي ســـاهمُ الطـــرف كـــأحلام المـــسّاءْ
مـــــشرقُ الطلعـــــة في منطقـــــه لغـــةُ النـــور وتعبـــيرُ الـــسّماء

❖ ❖ ❖

أيـــن منـــي مجلـــس أنـــتِ بـــه فتنَـــةٌ تمّـــتْ ســـناءً وســـنَا
وأنـــــا حـــــب وقلـــــب ودمٌ وفَـــراش حـــائر منـــك دنـــا
ومـــن الـــشوق رســـولٌ بيننـــا ونـــديمٌ قـــدَّمَ الكـــأسَ لنـــا ...
وســـقانا .. فانتفـــضنا لحظـــةً لغبـــارٍ آدمـــي مَـــسَّنا !

❖ ❖ ❖

قـــد عرفنـــا صـــولةَ الجـــسم التـــي تحكـــم الحـــيَّ وتطغَـــى في دمـــاه
وســـمعنا صرخـــةً في رعـــدها ســـوطُ جـــلادٍ وتعـــذيبُ إلَـــه
أمرتنـــــا فعـــــصينا أمرهـــــا وأبَينـــا الـــذلّ أن يغـــشَى الجبـــاه
حكـــم الطـــاغي فكنّـــا في العـــصاه وطُردنـــا خلـــفَ أســـوارِ الحيـــاه

❖ ❖ ❖

يـــا المنفيين ضـــلاً في الوعـــورِ دميًـــا بالـــشوكِ فيهـــا والـــصخورِ...
كلـــما تقـــسو الليـــالي عرفَـــا روعـــةَ الآلام في المنفـــي الطَّهـــورِ ...
طُـــرِدًا مـــن ذلـــك الحلْـــم الكبـــيرِ للحَظُـــوظِ الـــسودِ والليـــلِ الـــضريرِ
يقبـــسانِ النـــور مـــن روحـــيهما كلـــما قـــد ضـــنَّت الـــدنيا بنـــورِ

❖ ❖ ❖

أنـــت قـــد صـــيَّرت أمـــري عجبَـــا كثُـــرتْ حـــوليَ أطيـــارُ الرُّبَـــى
فـــإذا قلـــتُ لقلبـــي ســـاعة قـــم نغـــرِّدْ لـــسوي لـــيلى أَبي
حجـــبٌ تـــأبي لعينـــي مأربـــا غـــير عينيـــك ولا مُطّلبَـــا
أنـــتِ مـــن أســـدلها لا تـــدَّعِي أنّنـــي أســـدلتُ هـــذي الحُجُبَـــا

❖ ❖ ❖

ولكـم صـاح بيَ اليـأسُ انتزعهـا ... فـيرد القـدرُ الـساخر : دعهـا
يالهـا مـن خطـة عميـاء لـو ... أنني أبـصر شـيئاً لم أطعهـا
وليَ الويــل إذا لبيتهـا ... وليَ الويــل إذا لم أتبعهـا
قـد حَنَـتْ رأسي ولـو كـلّ القـوى ... تـشتري عـزةَ نفـسي لم أبعهـا

❖ ❖ ❖

يـا حبيبـاً زرت يومـاً أيكـه ... طـائر الـشوق أغنّـي ألَمـي
لـك إبطـاء الـدلالِ الـمُنعم ... وتجنّـي القَـدرِ المحُـتكم
وحنينـي لـك يكـوى أعظُمنـي ... والثـواني جمـراتٌ في دمـي
وأنـا مرتقـبٌ في موضـعي ... مُرْهِـفُ الـسمع لوقـع القـدم

❖ ❖ ❖

قـدمٌ تخطـو وقلبـي مـشبهٌ ... موجـة تخطـو إلى شـاطئها
أيهـا الظـالم بـالله إلى كَـمْ ... أسـفح الـدمعَ عـلى موطئهـا
رحمـةٌ أنـتَ فهـل مـن رحمـةٍ ... لغريـبِ الـروح أوظامئهـا
يـا شـفاءَ الـروح روحـي تـشتكي ... ظلـمَ آسـيها إلى بارئهـا ...

❖ ❖ ❖

أعطنـي حريتـي أطلـق يـديّ ... إننـيَ أعطيـتُ مـا اسـتبقيتُ شيّ
آهِ مـن قيـدك أدمـي معـصمي ... لمَ أبقيـه ومـا أبقـي عـليّ؟
مـا احتفـاظي بعهـودٍ لم تـصنها ... وإلامَ الأسرُ والـدنيا لـديّ
هـا أنـا جَفّـتْ دمـوعي فـاعفُ عنهـا ... إنهـا قبلـك لم تُبـذَلْ لحـيّ

❖ ❖ ❖

وَهَـب الطـائرَ عـن عـشك طـارا ... جَفّـتِ الغـدرانُ والـثلجُ أغـارا
هـذه الـدنيا قلـوب جمّـدت ... خبـت الـشعلةُ والجمـر تـوارى
وإذا مـا قـبسُ القلـبِ غـداً ... مـن رمـادٍ لا تـسله كيـف صـارا
لا تـسلْ واذكـرْ عـذابَ المـصطلي ... وهـو يذكيـه فـلا يقـبسّ نـارا

لا رعـــي الله مـــساء قاســـيا قـــد أراني كـــلّ أحلامـــي سُـــدَى
وأراني قلـــبَ مـــن أعبـــده ساخراً مـن مـدمعي سُخْرَ العِدَا
ليـت شـعري أيُّ أحـداثٍ جَـرتْ أنزلـت روحَـك سـجناً موصَـدَا
صـــدئتْ روحُـــك في غيهبها وكـذا الأرواحُ يعلوهـا الـصدَا

❖ ❖ ❖

قـــد رأيـــتُ الكـــونَ قـــبراً ضـيقاً خيَّم اليـأسُ عليـه والسكوت
ورأتْ عينـــي أكاذيـــبَ الهـــوى واهيـاتٍ كخيـوط العنكبـوتْ
كنـــت ترثـــي لي وتـــدري ألمـــي لـورثي للـدمع تمثـالٌ صـموتْ
عنـــد أقـــدامِكَ دنيـــا تنتهـــي وعـلى بابـك آمـالٌ تمـوتْ

❖ ❖ ❖

كنـــتْ تـــدعونيَ طفـــلا كلـــما ثـــار حبـــي وتنـــدَّتْ مُقـــلي
ولـــك الحـــق لقـــد عـــاش الهـــوى فيَّ طفـــلا ونـــما لم يعقـــلِ
وأرى الطعنـــــةَ إذ صــــوبتَها فمــشتْ مجنونــةً للمقتـــلِ
رمَـــتِ الطفـــلَ فأدمـــتْ قلبَـــه وأصـــابت كبريـــاء الرجـــلِ

❖ ❖ ❖

قلت للنفس وقد جُزْنَا الوصيدا عَجِّـلي لا ينفـع الحـزمُ وئيـدا
ودعـــي الهيكـــلَ شـــبَّتْ نـــاره تأكـل الركَّـعَ فيـه والسجودا
يتمنّـــى لي وفـــائي عـــودةً والهـوى المجـروح يـأبى أن نعـودا
ليَ نحـــو اللهـــبِ الـــذاكي بـــه لفتـةُ العـود إذا صـارَ وقـودا

❖ ❖ ❖

لـــســـت أنـــســـى أبـــدا ســـــاعة في العُمُـــــرِ
تحـــت ريـــح صـــفّقَتْ لارتقـــاصَ المطـــر
نوّحـــــت للـــــذِّكرِ وشـــكتْ للقمـــر
وإذا مـــــا طربـــــتْ عربـــدتْ في الـــشَّجرِ

❖ ❖ ❖

هـاك مـا قـد صبَّت الـريُح بـأُذن الـشاعرِ
وَهيَ تغري القلبَ إغراءَ النصيح الفـاجرِ

❖ ❖ ❖

أيهـــا الـــشاعر تغفـــو — تـــذكر العهـــد وتـــصحو
وإذا مـــا التـــامَ جُـــرحٌ — جَـــدَّ بالتـــذكار جـــرحُ
فـــتعلمْ كيـــف تنـــسى — وتعلـــمْ كيـــف تمحـــو
أو كـــلّ الحـــبِّ — في رأيـــك غفـــرانٌ وصـــفحُ

❖ ❖ ❖

هــــاك فــــانظرْ عــــددْ — الرمـــل قلوبـــاً ونـــساءْ
فتخّـــير مـــا تـــشاء — ذهـــبَ العمـــر هبـــاءْ
ضـــلّ في الأرض الـــذي — ينـــشدُ أبنـــاءَ الـــسماء
أي روحانيـــــة تُعـــــصرُ — مـــن طـــينٍ ومـــاءْ ....

❖ ❖ ❖

أيهـــا الـــريح أجـــلْ لكـــنما — هـــي حبـــي وتعـــلاتي ويـــأسي
هـــي في الغيـــب لقلبـــي خُلِقَـــتْ — أشرقـت لي قبـل أن تـشرق شمـسي
وعـــلى موعـــدها أطبقـــتُ عينـــي — وعـــلى تـــذكارها وســـدْتُ رأسي



شاعر الروابي الخضر
وربيع الحب!

أنـا لحـن عـلى قيثـارة الحرمـان والـشعر
أنا سـاقٍ تناستني كـؤوس الحـب والخمـر
أنا زهر وهبت الروض ما حملت من عطر
أنـا الغريـد في شـدوي لكـن ليتنـي أدري



أحمد خميس

شاعر الروابي الخضر

ولد أحمد حافظ علي خميس في ١٣ يناير عام ١٩٢٥ بمدينة القاهرة وكان رابع أخوته : عبد الله ومحمد وعلي ، وقد وجد في مكتبة أخيه عبد الله زاداً ثقافياً طيباً ، فقرأ أمهات الكتب العربية خاصة دواوين البحتري والمتنبي وأحمد شوقي وحفظ منها الكثير وبعد انتهاء دراسته الابتدائية التحق بمدرسة الفنون والصنائع حيث حصل على الدبلوم منها وكان من بين مدرسيه شاعر الكرنك أحمد فتحي لكن حبه للأدب والفن جعله يترك مهنة التدريس بعد تخرجه ، وفي نهاية عام ١٩٥٤ انتقل لمدينة الأسكندرية حيث اشترك في تأسيس إذاعتها المحلية .

تزوج شاعرنا من رفيقه عمره السيدة ليلى أحمد موسى سنة ١٩٦١ ابنة أحد كبار نقاد الفن التشكيلي في مصر هو د . أحمد موسى (١٩٠٦ - ١٩٩٢ الذي شهدت مجلة الهلال في نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات من القرن العشرين مقالاته الدسمه عن الفن التشكيلي وأعلامه فكانت رفيقة الدرب الوفية حيث وجد فيها الإنسانه المثقفة الواسعة الأفق فكانت من أكبر عوامل استقراره النفسي والوجداني والفني .

وقد سافر شاعرنا إلى ألمانيا للعمل بإذاعتها الناطقة بالعربية في كولونيا عام ١٩٦٧ وظل بها حتى عام ١٩٧٣ حيث عاد للقاهرة أثناء معارك أكتوبر المجيدة التي شدته وأيقظت كل أحاسيسه، فكتب قصيدة من وحيّ ذلك اليوم المجيد بث فيها كل مشاعره وأحاسيسه وعواطفه نحو مصر وتاريخها وأمجادها وحضارتها المجيدة .

ولكن ما هي حكاية شاعرنا مع الملاح التائه ، علي محمود طه ؟

في مطالع شباب أحمد خميس قرأ دواوين الملاح التائه ، وتوقف عنده طويلا.. استوعبها واستهوته أول ما استهوته رقته العاطفية وأجواءه الشعرية

وهيامه في بحار الحب والجمال فضلا عن رقة موسيقاه وحلاوة جرسه ورهافة روحه .

وعاش أحمد خميس في أجواء الملاح التائه الرومانسية الحالمة ، وعرفه عن قرب في سنواته الأخيرة وتأثر به ، ثم بدأ يكتب محاولاته الشعرية الأولى وهو لم يتجاوز العشرين من عمره في منتصف "ربعينيات القرن العشرين حيث بدأت تظهر ملامح شاعريته الأصيلة وسماته الروحية والذوقية والوجدانية.

لقد بدا أنه أكثر قرباً من الملاح التائه في أجوائه الشعرية واحتفاله بالموسيقا ورقته العاطفية ورومانسيته الحالمة وهيامه في بحار الحب والجمال سعيا وراء سحر المجهول مما جعله يعد بحق خليفة للملاح التائه .

إن أحمد خميس وعلى محمود طه يشكلان مدرسة خاصة في شعرنا العربي المعاصر لها سماتها المتميزة وخصائصها المتفردة وهي المدرسة الرومانسية العاطفية الطروبة ... إذ أن كلا منهما كان يعشق بدائع الحسن ويقدس الجمال وكل منهما ظامئ لمباهج الحياة وأفراحها . ينهلان منها ويسبحان في بحار الحب وأجواء الجمال في شاعرية حالمة ورومانسية هامسة رقيقة .

إن المثال الذي يمثل اتجاهات على محمود طه الذوقية والروحية ، قصيدته «ليالي كليوباترا» تلك الفاتنة الساحرة «فاتنة الدنيا وحسناء الزمان» التي ألتقي معها في ليلة حب على صفحة النيل في زورق من صنع أحلام الشباب وتغني شاطئاً النيل حولهما وغردت الضفاف الخضر لهذين العاشقين المفتونين السابحين في نهر حب ونغم :

كيلوباترا ... أيُّ حُلم من لياليكِ الحسانِ
طافَ بالموج فغنَّي وتغنَّي الشاطئان
وهفا كلُّ فؤادٍ وشدا كلُّ لسان
هذه فاتنةُ الدنيا وحسناء الزمان

ويصبح الجو المحيط بالعاشقين المفترنين أكثر شاعرية ورومانسية ، فالموج

والشاطئان يتغنيان، والأشواق تغرد حولها والكئوس تدور ، والقمر الفضي يباركها ، فيسبحان في بحر من النور والنغم والهوى :

ليلنُا خمرُ وأشواقٌ تُغَنّي حولنا
وشراعُ سابحُ في النُّور يرعي ظِلنّا
كان في الليل سُكارى وأفاقوا قبلنا
ليتهم قد عرفوا الحبَّ فباتوا مثلنا
كلما غرَّد كأسُ شربوا الخمرةَ لحنا
يا حبيبي ، كلّ ما في الليل روحُ يتغنىَّ
هات كأسي ، إنها ليلة حُبِّي
آهِ لو شاركتني أفراح قلبي

وعند شاعر الراوبي الخضر ، نجد نفس الأجواء الحالمة والصور الملونة الرقيقة حيث نجد الجو الرومانسي الحالم الطروب ، فيرسم لنا صورة الشاعر وملهمته في زورق على النيل في مناجاة حالمة وقد باركتها الطبيعة الفاتنة ، وهي لوحة شعرية قريبة من أجواء الملاح التائه ولياليه في بحار الحب والجمال. يقول: أحمد خميس في قصيدته «الشروق» :

يا حبيبي قد بدا الشاطئ في نهر الخيال
وترامى الموج مشتاقاً إلى صدر الرمال
وتغنى الزهر للفجر بأسرار الليالي

مرت الأنسام تلهو بالشراع الخافق ... ضاحك الأنوار مطلولاً بأنداء الصباح
طيع المجداف منساباً كحلم شيق ... هو رؤيا لحبيب وعناق ومراح
أنت نشوان على صدري تميل ... وأنا السابح في الحلم الجميل

ثم يناجي ملهمته في ظلال الطبيعة الحالمة فيقول :

يا حبيبي .. لم يعد في الكون وسنان سوانا
والأزاهير مع الطير تغنت بهوانا

والـروابي خلـدتها لثمـة النـور حنانـا

أشرف الروح على فجر من الحب السعيد	في شعاع راقص القلب على نورِ سناه
ـي البلبـل الظمـآن للـصبح الوليـد	وشربنا الخمر فياضاً على كأس الشفاه
أنـت نـشوان عـلى صـدري تميـل	وأنـا الـسابح في الحلـم الجميـل

الشاعر الرومانسي :

ينتمي شاعرنا إلى المدرسة الرومانسية التي وجد فيها الشاعر حرية الوجدان والقلب بنشوته وحرارته وانفعالاته ، فالرومانسية تعد ملجأ وملاذاً للشعراء الحالمين يهربون إليها من هجير الحياة ومن مرارة الواقع الذي يعانون منه ويكابدونه .

وأحمد خميس الرومانسي رهيف الإحساس ، رقيق المشاعر ، سريع التأثر ، نزاع إلى الحرية، تواق إلى الوحدة ، محب للطبيعة ، يستوحيها إلهامه ، ويصف من خلالها مشاعره وقد وجد أحمد خميس في ظلال الطبيعة خاصة نهر النيل والبحر والروابي الخضر الملجأ والسلوى من أحزانه الروحية وإحساسه الحاد بالاغتراب الروحي سواء كان منفرداً بنفسه أو بصحبة عروس إلهامه أو عروس شعره في عالم الخيال والأساطير التي تبهج روحه الظمأى ، وتلهمه أجمل أغاريد الحب والجمال وأعذبها .

وقد سجل لنا شاعرنا أرق أحاسيسه وأصدق خفقات قلبه انفعالاً بلحظات السعادة الروحية وذوبان النفس مع سحر الطبيعة وليالي النجوى والوصال فجاء شعره انعكاساً صادقاً وأميناً لما أحس به وتذوقه في ظلال الطبيعة الحالمة ! ..



أن أحمد خميس شاعر رومانسي حالم طروب ...

فشاعرنا خصب الخيال ، يحلق بعيداً عن واقع الحياة وهجيرها إلى واحات

الحب والسحر والجمال ، وهو بعيد عن الواقع في تصويره وتعبيره وتفكيره ، فيطلق أحياناً العنان لخياله ، فيصور لنا أجواء حالمة هامسة لمحبين يتناجيان وسط جمال الطبيعة وسحرها والكون يبارك حبهما وكأنهما وسط مكان ناء بعيد عن أرض الواقع وعن البشر كافة حيث تدور الكئوس وتلذ النجوى تذكرنا بتهويمات شاعر الرباعيات عمر الخيام ، ولنطالع بعض هذا الخيال المجنح وهو يصف لنا ليلة حب حالمة في قصيدته «همس الغروب» التي عبر فيها عن عواطفه الوجدانيه تعبيراً مليئاً بالصور والإيحاءات الخصبة الغنية .

يصور أحمد خميس ذلك الجو الحالم الملون وهمسات المحبين عند الغروب على صفحة الماء في زورق حالم ، فيقول على لسان محبوبته :

قلت لي والشمس تلقي فوق خديك رداها
وتحيل الصخر والماء قلوبا وشفاها
وتعيد الطير مسحوراً على خفق سناها

قلت لي والشفق الوردُّي في روعته آه لو يغفلُ هذا الكون عن دورته

ونرى الدنيا بعيْني طائرين
أطلقا فيها جناحيْ عاشقين
فأغني وتغني لك عيني

وبعينيك من الشوق فتونُ وبقلبي منك سحر وجنون

والحب الرومانسي لا ينشد اللذة الحسية ، فهو يقنع باللقاء العابر والمناجاة الحالمة في ظلال الطبيعة المشرقة ، فيصور لنا هذه النجوى حيث تشاركهما الطبيعة أفراح القلب وبهجة الروح :

واحتوانا زورقٌ يختال في زرقة ماء
الهوى ملاّحهُ الشادي بأنغام الرجاء
فيه ما ألقته رباتُ الصّبا ذات مساء

مـن أزاهـير وقيثـار وكـأسٍ عـاطرٍ سكرتْ من خمره روحُ الشباب الثائر

فأحاطتـــك عـــلي رفـــقٍ ذراعـــي
وتـــساقينا عـــلي همـــس الـــشراع
وتبـــديت كحلـــم أو شـــعاعِ

ويعينيـــك مـــن الـــشوق فتـــون ويقلبـــي منـــك ســـحر وجنـــونُ

وتبدو أبيقورية شاعرنا وروحه المبتهجة الطروبة المتفتحة للحب والجمال ، في تلك الصور الشعرية الحارة المتدفقة التي يحث فيها على شرب النخب قبل الفراق ، ويخشى أن تضيع ساعات النجوى والحب فينادي القدر أن يتمهل ليقف عند تلك الساعات ، وليظل ليل الحب سرمدياً لا يلوح له فجر ، فيبدد ساعات الحب والهناء والسعادة :

ثم عدنا للضفاف الخضر واللهو المتاح
بـين عـشاقٍ أسـاري وأبـاريق وراح
كل كأس غفلة تقصيك عن ذكر الصباح

ساعة شفت لها الأضواء واستحى القمر صحتِ بالغيب تمهلْ وترفق يا قدرْ

يـا حبيبـي مـا عـلى الـدنيا سـوانا
فـاشرب الليلـة مـن خمـر هوانـا
وادع بالأيـام أن ترعـى صـبانا

ويعينيـــك مـــن الـــشوق فتـــونُ ويقلبـــي منـــك ســـحر وجنـــونُ

أن أحمد خميس محب للطبيعة ، يستوحيها إلهامه ، ويصف من خلالها مشاعره ورغم دعوة الشاعر للحب والانطلاق وانتهاب لحظات السعادة الحسية والروحية إلا أننا نجده ـ كعادة الرومانسيين ـ يحلو له التغني الحزين الذي يدغدغ حواس المستمع ، ويحمله إلى دنيا من شجن لطيف ولحن أليف ، دون أن يبعث فيه أسى أو يدفع به إلى الإشفاق على الشاعر الأسوان .

إن شاعرنا يستعذب الشجن ، ويحلق في جو المعاناة ، وتروعه وتفزعه لحظات الفرقة والرحيل، فيتأسى ببقايا ليالي الحب ، وحطام الكأس ، ليرضى روحه الظمأى وقلبه الحزين :

كلّ ما في الليل ولّي وخبا الضوء العليلُ
وخيالات المنى راحت مع الفجر تميلُ
ومضي العشاق في أعينهم حلم جميلُ

وخلا الكون بدنياه على روحي وقلبي   وبقايا لثمة في كأسي المحطوم قربي

فتذكرتُ أحاديث الغروبِ
وتشهّي ساعدي خصر حبيبي
غير همسٍ طاف بالشطّ القريب

إن خصائص المدرسة الرومانسية من حيوية الطبيعة والتفاعل بين الذات والموضوع ، والكشف عن العنصر الأسطوري في الطبيعة ، واستخدام الرمز والمجاز في هذا الكشف فضلاً عن الذاتية والولوع بالوحدة وعبادة الجمال متمثلة في شعر أحمد خميس أصدق تمثيل وأصدقه فهو بحق من أعلام تلك المدرسة الخالدة الأصيلة في شعرنا العربي المعاصر .

الشاعر التصويري :

إن الصورة الشعرية تمنح الشعر الجمال والأصالة ولقد أجاد أحمد خميس استخدام الصورة الشعرية في قصائده فالتصوير هو الأداة المفضلة لديه ، ولقد أبرزت الطبيعة الحية الساحرة الجانب التصويري من شاعريته .

إن التصوير عند أحمد خميس تصوير حي منتزع من عالم الأحياء ، وهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل ، كما أنه تصوير بالنغم والموسيقا الناعمة الهامسة .

وأحمد خميس شاعر مصور يخلع على صوره الشعرية ملامح من أحاسيسه

الروحية والذوقية والنفسية ، فتجيء تلك الصورة قطعة من روحه ونفسه ، مما يمنحها الحرارة والصدق الفني والجمال .

في هذه اللوحة التصويرية الجميلة نجد جوا ملونا حالماً ، التقطه شاعرنا من الطبيعة الجميلة وصور من خلاله مشاعره العاطفية وحبه للجمال مع عروس أحلامه المهومة :

يا صحابي هذه النبأة من فرح السماء
طاف الروض نداها ، فتغنّي للنداء
وأفاق الزهرُ في أحضانه ، حلو الرواء
ورنا الكون وأصغي ، وحلا همس اللقاء

وسري بالضفة الخضراء لحن شاعريٌّ ساحر النبرة ، رفاف ، رقيق ، عاطفي
يا أخا الأحلام هيىء خمرنا واسكب الأشواق في كأس المنى
فالهوى والشعر والنجوى لنا

إن في شعر أحمد خميس التصويري ظاهرتين ملموستين هما : الموسيقا والتشخيص .

الموسيقى التصويرية التي تصاحب المشهد التعبيري ، والتشخيص الذي يجعل من مظاهر الطبيعة الصامتة كائنات حية نابضة بالحرارة والحياة تشاركه أفراح روحه وخفقات قلبه المفتون من عرائس أشعاره .

أننا في قصيدته « خمرة الربيع » نراه يشخص الطبيعة ويرسم لنا لوحات تمثل الطبيعة تشاركه سعادته الروحية مع ملهمته أن هذه الصور الشعرية تمثل انفعالات الشاعر وأحاسيسه وعواطف الحارة المتدفقة ، وقد وفق أن ينقل لنا الجو الحالم بكل أطيافه وظلاله وألوانه وأصواته فقال [1] :

يا صاحبي رددوا أنشودة القلب الطليق

(١) الهلال ، قصيدة «خمرة الربيع » ، أبريل ١٩٥٠

واسمعوا رجع الأماني من رفيق لرفيق
فهنا في موكب السحر ومغناه الأنيق
كل ثغر فتنة تغري وكأس من رحيق

والربيع الطلق صداح كحوراء الخيال هاجها الوجد فغنت ذات ليل من ليال
يأخا الأحلام هيئ خمرنا واسكب الأشواق في كأس المنى

فالهوى والشعر، والنجوى لنا

إن أحمد خميس في صوره الشعرية يستخدم الصور الحية مما يضفي على شعره الحرارة والحياة والصدق الفني ، ومرجع هذا إلى أنه دائماً يلجأ إلى الطبيعة الحية يستوحيها ويستلهمها .

وأدواته التي يستخدمها: اللفظة الحية ، والموسيقا الناعمة ، والضوء واللون والصوت إن التلوين في شعر أحمد خميس يضفي عليه جمالاً وحركة ، والصوت يضفي عليه نبضاً وحرارة فهو فنان يجيد توزيع الظل والظلال والضوء والألق والسنا ولكننا نلحظ ظاهرة بارزة في شعره وهو احتواؤه على قسط كبير من الأضواء ، حيث نجد ألفاظ « السنا والنور والألق » .

في هذه اللوحة يضفي حياة وحركة بتشخيصه لمظاهر الطبيعة ، حيث يجعل الفجر يصحو والروض يتحرك ، والربيع يضحك ويغني فضلاً عن الموسيقا الحالمة الرقيقة ، وهو يناجي ملهمته[1] :

بسمة العمر : صحا الفُجر كحلم عاطر
واحتوى الروض شعاع من جناحي طائر
ينثر الفتنة والشعر وأنس الحائر

أخت روحي:مثل هذا الحسن لم أسمع فيه قيثُار وعطُر وشبابُ وجني

(١) الهلال ، قصيدة «ابتسام» ، يوليو ١٩٥١ .

فيـه مـا يفـتن مـن زهـر وجـام
وربيـع ضـاحك البهجـة سـامي
وأنـا فيـه أغنـي لا بتـسامي

وهو يجعل الفجر إنساناً يصحو متألقاً والزهور تهمس وتناجي :

وصحا الفجر وضيّ المهد رفاف العبير
وَسرتْ في بسمة الإشراقِ همساتُ الزهور
وانثنيـا لـوداع وأفقنـا لمـسير

وفي هذه الأبيات تبرز رقته وعذوبته واحتواء شعره على قسط وافر من النغم والموسيقا فضلاً عن توافق الكلمات وانسجامها مما يجعله خليفة الملاح التائه في الشعر التصويري[1] :

وغفـا اللحـن فـضمتنا الأمـاني الغافيـه
واحتوتنـا نـشوة سكري ... ودنيـا شـاديه
مهجـة تهتـف للحـب وأخـرى حانيـه

يـا ربيـب العطـر يـا روح الـسنا ، طابـت الليلـة فـاملأ واسـقنا
وأدر كأسـك تحكـي عـن ثنايا شـفتين وأدرهـا لثمـة منـك ومنـي رشـفتين
ثـم هـات ... فأنـا سـمع وأصـداء وعـين

إن أحمد خميس يجيد التصوير الشعري بفن وأصالة واقتدار.

شاعر الوجدان الذاتي :

إننا نجد في شعر أحمد خميس الوجدان الرومانسي للشاعر متلاقياً مع التعبير الرمزي ليعبر عن تجاربه تعبيراً مليئاً بالصور الشعرية والإيحاءات الغنية الخصبة.

إن شعره الذاتي تعبير أصيل وصادق عن أحاسيسه ومشاعره وعواطفه ووجدانه ، فالنظرية الرومانسية ترى أن الشعر هو تعبير عن المشاعر وتركز على

(١) الهلال قصيدة «غريبة» مايو ١٩٥٣ .

العالم الداخلي للشاعر أي انعكاس للعالم الداخلي للشاعر ، وقوة الخيال الخالق هي البوتقة التي تنصهر فيها كل عناصر هذا العالم من ذهنية وشعورية .

ولقد ظل أحمد خميس شاعر الوجدان الذاتي يصور لنا تجاربه الوجدانية والنفسية والشعورية بصدق وأصالة مغلفين بروح العصر من حزن وشكوى وأسى وأنين وتمرد .

ومن خصائص الرومانسية الحزن الخفي والأسى ، وشاعرياً يتغنى بأساه وحيرته الخالدة في هذا الوجود ، ويصور لنا نفسه كطائر حزين على غصون الحب ، يداوي بنفسه جراحه ، ويشدو لروحه مما يروح عن نفسه .

ومن أصدق قصائد أحمد خميس تعبيراً عن ذاتيته ومشاعره وأحاسيسه وسماته النفسية والشعورية والوجدانية والذوقية قصيدته «الحيرة الخالدة» التي هي أحمد خميس بذوقه ومشاعره وحبه وحيرته .

يصور لنا في مناجاة مع محبوبته سر أساه وحزنه الخفي ، ويفصح لها عن أسرار قلبه وسرائر روحه ، فيصور لها وحدته كملاح تائه يبحث عن الحبيب المجهول وغربته في بيداء الوجود ، فيقول[1] :

أنا يا فتنة الدنيا ويا رجع الأناشيد
شراع تاه في بحر شريد الموج عربيد
بشطيه خيالاتي وأحلامي وتغريدي
تناديني نداء الحب للعشاق والغيد

ثم قول لها أنه لحنَ جميل ولكنه لا يصدر إلا النغم الباكي الحزين :

أنا لحن على قيثارة الحرمان والشِّعرِ
أنا ساقٍ تناستني كئوسُ الحبِّ والخمرِ
أنا زهرُ وهبتُ الروضَ ما حُمّلتُ من عطرِ

() الهلال قصيدة «الحيرة الخالدة» إبريل ١٩٥٤ .

أنا الغريـد في شـجوي ولكـن ليتني أدري

ثم يصور ظمأه الروحي وحنينه الغلاب لعروس شعره، التي يرتل في محرابها ألحان الحب والغزل كأنه راهب في معبد الحب :

أنـا والفكـرُ والأوهـامُ.. سُـمارُ بأعتابـك
وبي مـن لهفـة الظمـآن أشـواقٌ لأكوابـك
أنا والعمُر والنجوى ... مُصّلونَ بمحرابكْ
ولي في الفجـر والأنـداء تـذكارُ عـلى بابـك

وتبلغ ذروة تصويره لغربة روحه وأحزان نفسه، في هذه اللوحة التي يصور فيها روحه المرحه المبتهجة وقد تاهت وسط بيداء الأشواك والأحزان :

أنـا روحُ مغلفـةُ بـأظلال وأضـواء
كما طافت علي الشمس تـردَّتْ في سري الماء
دعتهـا فرحـةُ الـدنيا إلى وردٍ وأنـداء
فـضّلتْ عَـبر أشـواكٍ وكثبـانٍ وحـصباء

شاعر الروابي الخضر :

كتب أحمد خميس سنة ١٩٥٤ قصيدة وطنية رائعة هي «الروابي الخضر» كانت قصيدة حب وغزل وأمل لمصر تتجلى فيها أبرز خصائص شاعريته وهي الرقة والعذوبة والصدق الفني، والابتكار والأصالة فضلاً عن براعة الصور الشعرية وحيويتها، فهو في هذه الأنشودة الوطنية التي يتغنى فيها بحب مصر لا يصخب ولا يرتفع صوته بل نجد نبرة عاطفية هادئة، فجاءت قصيدته صادقة ومعبرة عن مشاعر أحمد خميس وأحاسيسه الدافقه نحو مصر وحضارتها التليدة ومسقبلها الزاهر، لذا أحببت أن أسميه شاعر «الروابي الخضر» لأن هذه الأنشودة هي أحمد خميس وذوقه ومشاعره وأصالته ووطنيته .

يقول في مطلع هذه القصيده :

يـا ليـالي الـشّرقِ هـل عادَتـك أشـواقُ الغنـاءِ

فالروابي الخضرُ تشْدو والسنا حلو الرواء
والأماني هَتافُ عزفته الضّفتانِ
فجرى في مُقلة الأرض وفي قلب السماءَ

ثم يصور كيف جثا التاريخ بكل جلاله وشموخه ليستروح أمجاد مصر التليدة فوق روابيها الخضر:

وجثا التاريخُ يستروح أمجادَ الغد
فوق واد عاطر التُّربة ، فيّاض السّناء
فأفاقت مصرُ ، شطآناً ، وعشباً ونخيلا
تنفض الظلّمة عن فجر عزيز الكبرياء

ثم يدعو الله أن يحمي مصر كنانة الله ودرة الشرق من كل شر وأن تسلم على المدى التي يفتديها أبناؤها بأرواحهم :

درة الشرق ... رعاك الله ما دام وجود
ورعى شعباً عريق المجد موفور الإباء
وأقام العز خفاقاً بواديك الحبيب
خالداً في صفحة الأيام في عمر البقاء
فانهلي يا مصر من إشراقة العهد الرغيد
واسلمي يا مصر ... تفديك قلوب الأوفياء

وكان لتغني الموسيقار محمد عبد الوهاب لهذه الأنشودة أثر كبير في اتساع شهرة الشاعر كلما سمع الناس لحنها المميز رغم أن هناك قصائد عديدة تغنى بها كبار المطربين والمطربات مثل الموسيقار فريد الأطرش ، وسعاد محمد ، ونجاح سلام والمطرب السوري نجيب السراج وغيرهم ، لكن أصبحت القصيدة التي تغنى بها الموسيقار محمد عبد الوهاب هي الأشهر والأطرب والتي تثير معاني الاعتزاز بمصر وتاريخها العريق وأصبح أحمد خميس هو شاعر الروابي الخضر»!

شاعر الرباعيات

في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين بدأت مرحلة مختلفة في حياة أحمد خميس وشعره، هي مرحلة التساؤل، والتأمل، والشك، وصولاً إلى شاطئ اليقين الهادئ، وقد عكس هذه المرحلة في رباعيات شعرية تذكرنا بشاعر الرباعيات، الفارسي، عمر الخيام.

في رباعيات أحمد خميس نجد فلسفة حياته، فيها الحب واللذة والألم والحياة والموت، والتأمل في الوجود، أختزل أحمد خميس في رباعياته تجاربه وتأملاته وأفكاره وفلسفته في الحياة والحب، إنها مرحلة أكثر عمقاً وشجناً في حياته وشعره، فهي تتجاوز مرحلة الرومانسية بأحلامها وسحرها وخيالها المفعم بالحب واللذة والنشوة والاستغراق في الاغتراب الروحي. إنه تعكس فلسفة الحياة، وخبرة الدنيا .. فيها التأمل والتفكر، وتأرجح نفسيته بين الحيرة واليقين، بين اللذة والألم،بين التفاؤل والتشاؤم، بين الأبيض والأسود، بين الحياة والموت ... بين الشك واليقين .. إنها تجمع فلسفة اللا أدرية .. فلسفة عمر الخيام وإيليا أبو ماضي... مرحلة الرباعيات الفلسفية المتسائلة .. المؤمنة ... مرحلة الحكمة واليقين بعد التطواف في بحار التساؤل والشك والحيرة!

إنها خلاصة تجارب أحمد خميس في الحياة التي عبر عنها في عمق وحكمة فلسف فيها مراحل حياته ورؤيته للحياة والدنيا:

يقول في إحدى رباعياته للنديم:

أطلق الفجر حبيبات الذهب
وجرى باللحن في كل جناح
فتهيأ يا نديمي للطرب
واسقنا قبل نداءات الرواح

ويدعو إلى انتهاب لذة اليوم وعدم التفكر في الغد لأنه رهن الغيب:

هـــات ... زدني مـــن أفـــانين الحيـــاه
يـــا أخـــا الـــروح ... ودعنـــي مـــن غـــدي
قـــد غفـــا الأمـــس عـــلى صـــدر ســـواه
وغـــدٌ .. مـــا زال رهـــن المولـــد

وكأنه يردد قول الشاعر الحكيم :

مـــا مـــضى فـــات والمؤمـــل غيـــب   ولـــك الـــساعة التـــي أنـــت فيهـــا

ويمني نفسه أن يمسح الليل أوهامه ودموعه وأحزانه :

عجبـــاً يـــا ليـــل .. تـــأتي كـــل يـــوم
تـــسكب الأوهـــام في كـــأس الخـــلى
لم لا تأســـو جراحـــاً لم تـــنم
يـــا نـــديم الـــدمع قـــد حـــان الـــشجى

ويدعوه الربيع الباسم للبهجة والمرح والنشوة :

قـــم خـــليَّ البـــال ... مجلـــو الـــرواء
واغتـــسل قلبـــاً .. ونفـــساً ومُنـــى
فـــالربيع الطفـــل بالآمـــال جـــاء
والـــروابي الخـــضرُ تـــشدو للـــسَّنا

ويتـذكر دورة الحياة فتوقظه مـن نـشوة الحـب ، وأحـلام الخلـود ، فـيهمس لنفسه:

كـــم خـــلي قهقهـــت .. أحلامـــه
فـــأراق العمـــر لهـــواً ... واغـــترف
فـــإذا مـــا آذنـــت أيامـــه
ودّع الكـــأس .. وحيـــا وانـــصرف

ويستوعب فلسفة الحياة وغايتها فيردد :

هكـــذا تـــأتي الأمـــاني .. هكـــذا
مـــن سـماء الحلـم في الوشـــى الجميـــل
ثـــم تمـــضي مـــثلما جـــاءت .. إذا
قـــضي الأمـــر ... ونادانـــا الرحيـــل

ثم يفسر مشكلة الشاعر المهموم بقضايا الوجود ، والذي تتفاعل في وجدانه نوازع الخير والشر، والحب والكره ، والتأمل والسخرية ، والشك واليقين ، لكنه في النهاية يعيش ليزرع الحب والجمال في أنحاء الوجود :

خطـــوة الـــشاعر في الأرض عطـــاء
أيـــنما حـــلّ .. وأيـــان ارتحـــل
عبقـــري الحـــزن .. مـــشبوب الرجـــاء
يـــزرع الحـــب ... ويقتـــات الأمـــل

وبعد تطوافه في بحار الحب والجمال ، وحيرته في فهـم كنه الوجـود ، وقلقـه وسط صراعات البشر، وتناقضات دنياهم ، لم يجد يقينا إلا وجه الله :

سرت بـين الـروض .. أنـسى مـا بيـه
وأرد الـــروح .. روحـــا شـــاعره
فرأيـــتُ الله .. عينـــاً صـــاحيه
ويـــداً تحنـــو ... وأخـــرى قـــادره

ثم تأتي أيامه الأخيرة وتغسل دموعه حيرة الماضي ، وتساؤلاته ولا يجد أمامه إلا تجلي قدرة الله ورحمته ورجاء تقبل توبته :

يـــا جميـــل العفـــو ... هـــذى عـــبرتي
ترفـــع التوبـــة مـــن بحـــر الأســـف
فتقبـــــل يـــــا إلهـــــي تـــــوبتي
واعـــف يـــا رحمـــن عـــما قـــد ســـلف

ويرحل شاعر الروابي عن دنياه في صمت في الخامس من أكتوبر ٢٠٠٨ .. بعد أن أثرى حياتنا بشعره الخالد ..

أحلى قصائد
أحمد خميس العاطفية

الشروق

يا حبيبي ، قدْ صحا الوردُ وما زلنا سكارى
وتهادي العِطر فيّاضاً بأنفاس العذارى
والكؤوس الحلوةُ الشقراء في لهفٍ حيارى

تتهادى بين ثغرَينا كأطياف المُنى　　مِلؤها شوق الليالي وخيالاتُ الصبا
في حناياها أمانٌ ، آه لوْ دامتْ لنا　　وبدنياها خلودٌ مثل أفراح الرُّبى
أنت نشوانُ على صدري تميلْ　　وأنا السابحُ في الحلم الجميلْ

❖ ❖ ❖

يا حبيبي ، قد بدَتْ في الأفق أعلام الصباحِ
وأنا صداحُ روضٍ خضَّب الشوكُ جناحي
أنا ساقي الزهر من دمعي وأحلامي وراحي

وبدَتْ تهفو تباشيرُ الأماني حولنا　　بعد أن ولت مع الأسحار آهاتُ الحنينْ
وطويتُ الليلَ فرحان أناديك : هُنا　　يا غرامي . املأ الكأسَ بأحلام السنينْ
أنت نَشوانُ على صدري تميلْ　　وأنا السابحُ في الحلم الجميلْ

❖ ❖ ❖

يا حبيبي ، قد بدا الشاطئ في نهر الخيالِ
وترامى المَوجُ مشتاقاً إلى صدر الرمالِ
وتغنيَّ الزهرُ للفجر بأسرار الليالي

مرتِ الأنسامُ تلهو بالشراع الخافقِ　　ضاحكَ الأنوار مطلولاً بأنداء الصباحْ

طيّعَ المجدافِ منساباً كحلمٍ شيّقٍ ... هو رؤيا لحبيبٍ وعناقٍ ومراحْ
أنت نشوانُ على صدري تميلْ ... وأنا السابح في الحلم الجميلْ

❖ ❖ ❖

يا حبيبي ، لم يعدْ في الكون وسنانَ سوانا
والأزاهيرُ مع الطير تغنَّت بهوانا
والروابي خلدتها لثمةُ النُّور حنانا

أشرف الرُّوحُ على فجر من الحب السعيدْ ... في شُعاعٍ رقص القلبُ على نور سناه
وتغنَّى البلبلُ الظمآنُ للصبح الوليدْ ... وشربنا الخمر فيَّاضاً على كأس الشفاهْ
أنت نشوانُ على صدري تميل ... وأنا السابح في الحلم الجميلْ

❖ ❖ ❖

يا حبيبي ، كلّ ما حولكَ ناداك : حبيبي ...
يا نجيَّ الزهر والأنسامِ والعشب والرطيبِ
فاصحُ يابنَ الذكريات البيض والكأس الطروبِ

طِرْ على النهر وغرد بجناحيْ شاعرٍ ... وابتسم للحب وارقص بين أوتار السَّنا
واستمعْ لحنَ الحياة العبقري الساحرِ ... وادعاً يسرى من الخلد ليهفُو حولنا
أنت نشوانُ على صدري تميلْ ... وأنا السابح في الحلم الجميلْ



خمرة الربيع(*)

رَفعَ الكأسَ وغَنّى شاركوني يا صحابي
وابعثوا النّشوةَ فينا ، وجوى الروح المُذاب
واملأوا الآفاقَ شدواً واغمروا تلك الروابي
بأغاريدِ الرَّبيع السَّمح معبودِ الشباب

يخطر الحسنُ على كفيَّهِ ريّان القدودِ   ويغني الحبُّ في أعطافهِ لحن الخلودِ
يا أخا الأحلامِ هيئ خمرنا   واسكب الأشواقَ في كأس المُنى

فالهوى والشعرُ ، والنجوى لنا

❖ ❖ ❖

يا صاحبي .. أيُّ سحرٍ ذاب في دنيا الوجودِ؟
أي خمرٍ عصروها من شعاع وورودِ
سكر العشاقُ فيها وأفاقوا من جديدِ
فدَغتهم ربة الحب إلى خُدر سعيدِ

رَقّشتهْ بنان من أعاجيب وفنٍّ   لم تعُدْ تخفقُ فيه غيرُ أرواح تُغَنّي
يا أخا الأحلامِ هيئ خمرَنا   واسكب الأشواقَ في كأس المنى

فالهوى والشعرُ، والنجوى لنا

❖ ❖ ❖

يا صحابي .. ردّدُوا أنشودة القلبِ الطليقِ
واسمعوا رَجعَ الأماني من رفيقٍ لرفيقِ

(*) الهلال : أبريل ١٩٥٠ .

فهُنا في موكب السحرِ ومغناهُ الأنيقِ
كل ثغرٍ فتنةٌ تُغري وكأسٌ من رحيقِ

و ربيعُ الطلقُ صداحٌ كحوراء الخيال هاجها الوجدُ فغنت ذاتَ ليلٍ من ليال
يا أخا الأحلام هيئ خمرَنا واسكب الأشواقَ في كأس المُنى

فالهوى والشعرُ، والنجوى لنا

❖ ❖ ❖

يا صحابي .. هذه النَّبأةُ من فرْح السماءِ
طاف بالروضِ نداها ، فتغّنى للنّداءِ
وأفاقَ الزهرُ في أحضانه ، حلوَ الرُّواءِ
ورَنا الكونُ وأصْغى ، وحلا همسُ اللقاءِ

وسرى بالضفة الخضراءِ لحن شاعريٌّ ساحرُ النّبرةِ ، رفافٌ ، رقيقٌ، عاطفيٌّ
يا أخا الأحلامِ هييء خمرَنا واسكب الأشواقَ في كأسِ المُنى

فالهوى والشعرُ ، والنجوى لنا

❖ ❖ ❖

يا صحابي ... قد غفا الدهرُ ، فهاتوا الخمر هاتوا
ودعُوا الأوهامَ تمضي قبلما تمضي الحياةُ
كيف نقضي مثلما تذوي الورودُ الظامئاتُ
بينما في العمرِ كأسٌ وعيون حالماتُ

وشفاهٌ ضاحكاتٌ تتغنى بالربيعِ وتشيع السحر والنشوة في اللحن الرفيع
يا أخا الأحلام هيئ خمرنا واسكب الأشواق في كأس المنى

فالهوى والشعر ، والنجوى لنا

همس الغروب(*)

يا ضفاف الحب هل حيتك أطياف المغيبِ
وتراءت مثل شقراء تغني لحبيبِ
تنثر السحر علي الأمواج والرمل الرطيبِ

صورٌ من خفقة الماضي ونكري من لقاءْ وبقايا نشوة راحت ودنيا وصفاءْ

خطرت كالحلم في جفن الليالي
حين سرنا فوق واد من خيالِ
نشرب النور ونهفو للظلال

وبعينيك من الشوق فتون وبقلبي منك سحرُ وجنونُ

❖ ❖ ❖

قلت لي والشمس تلقي فوق خديك رداها
وتحيل الصخرَ والماءَ قلوباً وشفاها
وتعيد الطير مسحوراً علي خفق سناها

قلت لي والشفق الورديُّ في روعته آه لو يغفلُ هذا الكون عن دورته

ونرى الدنيا بعينيْ طائرينِ
أطلقا فيها جناحيْ عاشقين
فأغني وتغني لك عيني

وبعينيك من الشوق فتونُ وبقلبي منك سحر وجنونُ

---

(١) الهلال ، مايو ١٩٥٢ .

❖ ❖ ❖

واحتوانـــا زورق يختـــال في زرقـــة مـــاء
الهـــوى ملاحـــه الـــشادي بأنغـــام الرجـــاء
فيـــه مـــا ألقتـــه ربـــات الـــصبا ذات مـــساء

مـــن أزاهـــير وقيثـــار وكـــأس عـــاطر سكرت من خمره روح الشباب الثائر

❖ ❖ ❖

فأحاطتـــــك عـــــلى رفـــــق ذراعـــــي
وتـــــساقينا عـــــلى همـــــس الـــــشراع
وتبـــــديت كحلـــــم أو شـــــعاع

وبعينيـــك مـــن الـــشوق فتـــون وبقلبـــي منـــك ســـحر وجنـــون

❖ ❖ ❖

ثـــم عـــدنا للـــضفاف الخـــضر واللهـــو المتـــاح
بـــين عـــشاق أســـاري وأبـــاريق وراح
كـــل كـــأس غفلـــة تقـــصيك عـــن ذكـــر الـــصباح

ساعة شفت لها الأضواء واستحى القمر صـحت بالغيـب تمهـل وترفـق يـا قـدر

❖ ❖ ❖

يـــا حبيبـــي مـــا عـــلى الـــدنيا ســـوانا
فـــاشرب الليلـــة مـــن خمـــر هوانـــا
وادع بالأيـــام أن ترعـــى صـــبانا

وبعينيـــك مـــن الـــشوق فتـــون وبقلبـــي منـــك ســـحر وجنـــون

❖ ❖ ❖

غريبة(*)

أي همس حالم الإيقاع نشوان الصدي
طاف كالفرحة كالنجوي .. كلألاء الندي
حين ناداني وحيّا وهو يلقي لي يدا

قلت أهلا ... فتثني ورنا وتبدّي لي الرفيق المحسنا
نظرة ثم دعاني قائلاً في همستين أيها المفتون ... ماذا لو شربنا قدحين

قلت هات ... فأنا سمع وأصداء وعين

❖ ❖ ❖

وتبعنا رغبة الروح وأهواء الصبّا
وتبدي الليل مفتوناً .. تغني وصبا
وبدا لألاؤها يعبث في صدر الربا

فانطلقنا بين خمر وجني كخيالين علي ذوب المني
وتهادي النيل .. عطراً تاه بين الضفتين موجه ... حلم وقيثار وأقداح لجين

آه هات .. فأنا سمع وأصداء وعين

❖ ❖ ❖

ثم سرنا بين لحن وقلوب شاعره
نثر الحب عليها من رؤاه الساحره
وسري فيها سري الحلم بعين ساهره

قال والكون شباب حولنا أيها العاشق ... دنيانا هنا
ما علينا لو تخاصرنا ودرنا دورتين وتهامسنا عيونا تتناجي .. ويدين

(*) الهلال، مايو ١٩٥٣ ص ٥٨ .

وأنام منك أنا ... سمع وأصداء وعين

❖ ❖ ❖

ورمي للساعد الحاني نحيل الخاصرِ
وصبابات حياري فوق نهد حائرِ
فرأيت العمر أوهاماً ورؤيا شاعرِ

يا حبيبي .. قد ملكنا الزمنا وكتبنا خلفه ليلتنا
خطوة مل بي مع اللحن ودر بي دورتين واحتويني .ثم دعني . ثم عد في خطوتين

فأنا .. ماذا أنا ؟ سمع وأصداء وعين

❖ ❖ ❖

وغفا اللحن فضمتنا الأماني الغافيه
واحتوتنا نشوة سكري .. ودنيا شاديه
مهجة تهتف للحب .. وأخرى حانيه

يا ربيب العطر يا روح السّنا طابت الليلة فاملأ واسقنا
وأدر كأسك تحكي عن ثنايا شفتين وأدرها لثمة منك ومني رشفتين

ثم هات .. فأنا سمع وأصداء وعين

❖ ❖ ❖

قال : حدثني عن الشرق وصف لي عالمه
وعن الأشواق في صدر العذارى الناعمه
وحديث النيل في أذن الضفاف الحالمه

أين منا زورق يمضي بنا ومساء يستخف الفتنا
لرأيت النيل يحكي قصة للشاطئين عن ليال .. ما رآها قبلنا من عاشقين

لها ... سمع وأصداء وعين

يـا أخـا الغـرب .. ليـالي الـشرق عـشق وهـوى
وضــفاف ظمــأ الحــب عليهــا .. وارتــوي
وشــباب خالــد الفتنــة معبــود الــروا

أطلــق الوجــدان روحــاً معلنــا وقلوبــاً تتــشهي مثلنــا
فتعال. اسكب على روحي وقلبي غنوتين وترفق يا أخا الغرب .. وخذها قبلتين

فأنــا آه أنــا .. ســمع وأصــداء وعــين

❖ ❖ ❖

يـا أخـا الغـرب .. ويـا لحـن الليـالي الخالـده
أقبـل الـصيف .. وعـاودتني الظـلال الـشارده
ورؤي طيفــك يــدعوني ويلقــي لي يــده

أي دنيــا شعــشعت أنغامنــا ثــم عــادت .. فطــوت مــا بيننــا
غير تذكار من الماضي جري في مقلتين كلما هاجته أشواقي .. ترامي دمعتين

وثـوي في خـاطري ... سـمع وأصـداء وعـين



الحيرة الخالدة (*)

أنـا يـا فتنـة الـدنيا ويـا رجـع الأناشـيدِ
شراع تـاه في بحـر شـديد المـوج عربيـدِ
بـشطيهِ خيـالاتي وأحلامـي وتغريـدي
تنـاديني نـداء الحـبِّ للعـشاقِ والغيـدِ

❖ ❖ ❖

أنـا لحـنٌ عـلي قيثـارة الحرمـانِ الـشِّعر
أنـا سـاقٍ تناستني كئوسُ الحـبِّ والخمـرِ
أنا زهرُ وهبتُ الروضَ ما حُمِّلْتُ من عطـرِ
أنـا الغِرّيـدُ في شجوى ولكـن ليتنـي أدري

❖ ❖ ❖

أنـ الفكـرُ والأوهـامُ .. سُـهارٌ بأعتابـكْ
وبي مـن لهفـة الظمـآن أشـواقٌ لأكوابـكْ
أنا والعمُر والنجوي ... مُصلّونَ بمحرابكْ
ولي في الفجـر والأنـداءِ تـذكارٌ عـلى بابـكْ

❖ ❖ ❖

أنا الطيفُ الذي يخطر في أحلامـكِ السَّكري
حيـيٌّ الخطـو هيّـابٌ كـأنُ بليلـهِ سرّا
يَسيرُ علي لهاثِ القلب والأشـواق والـذكرى
ويمـضي مـثلما أقْبـل ، في أدمعـه الحَمْـرا

❖ ❖ ❖

(١) الهلال أبريل ١٩٥٤

حديث الحب

إذا مـا عـانق الليـل حـديث الحـب والـشعر
وغنـت بـالمني الأرواح في أرغنهـا الـسحري
وراح الليـل موسـيقى مـن الألـوان والعطـر
فقـومي يـا عـروس الـروح يـا حلـم الهـوى البكـر
وعـودي للهـوى عـودي عـلى أشـواقي الحمـر
هنـاك عـلى ظـلال الحـور يحيـا بـالمنى قلبـي
يعيش العمـر صـداحا عـلى درب الهـوى العـذب
ويحكـي قـصة الينبـوع والأنـسام والعـشب
فقـومي يـا عـروس الـروح يـا حلـم الهـوى البكـر
وعـودي للهـوى عـودي عـلى أشـواقي الحمـر(*)

❖ ❖ ❖

إلى سيدة ...

إلى صاحبة عمري الحلو...

ربيبـة هـذا الـسنا العـاطر ... تعـالي إلى صـدري الـشاغر
هـزي جناحيـك في سـاعدي ... عـلى رعـشة النـدم الغـافر
فـما زلـت أقـرأ في مقلتيـك ... حنينـاً إلى أمـسنا الغـابر
ومـا زلـت في خـاطري طفلـة ... تلـوب عـلى قلبـي الثـائر

❖ ❖ ❖

تعـالي إلى خفقـات الحنـين ... تهدهـد أحلامـك المجهـده
تعـالي إلى لثمـة في الجبـين ... ألم بهـا الخـصلة المبعـده

(*) تغنى بها الموسيقار السوري نجيب السراج .

أقام الصباح لها موعداً ... لتشرب من مقلة مسهده
ونام العبير على ليلها ... ليطلق في موجتيها يده

❖ ❖ ❖

تعالي لنملأ كأس الشباب ... بخمرة أشواقنا الضارجه
تعالي لنفتح قلب الربيع ... بأقصوصة للهوى ساذجه
تعالي فما العمر إلا خيال ... تلونه اللمسة الهازجه
وما الحب في مهجتينا سوى ... نبيذ وأغنية دارجه

❖ ❖ ❖

تعالي إلى جنة الذكريات ... تنام على الشاطئ الأملد
تمر بها صور الأمسيات ... فتغفو وتحلم بالموعد
تعالي تعالي شباباً يذوب ... وتنثال أعصابه في يدي
وخصراً تضج به الصبوات ... ينام ويصحو على ساعدي

❖ ❖ ❖

تعالي فهذي المروج ظماء ... لوشوشة في الربي شاديه
وهذي الدروب على حالها ... تدغدغ بالعطر تذكاريه
وأنشودة الأمس في مخدعي ... تحدث عن ليلة صاحيه
وهذا عبيرك ملء دمي ... يكاد يمزق أنفاسيه

❖ ❖ ❖

تعالي .. ربيبة هذا السنا ... تعالى لتضحك أعمارنا
ونبعث لحنا حبيب الرنين ... تولي وأغفل أحلامنا
تعالى لنبعث ملء الحياة ... وملء الوجود ... وملء المنى
ونخطر فوق الربيع النضير ... ونرقص تحت امتثال الجنى

❖ ❖ ❖

تعالي فكم حلم في الدجى ... ينقب عن واقع باسم

وكـم غنـوة تـستدر الـصبًا / وتهتـف بالغافـل الـواهم
وكـم فكـرة في رحيـل الربيـع / تـسائل عـن غـدنا المبهم
وكـم زهـرة تتـشهي يـدي / فأقـذف بالقيـد في معـصمي

❖ ❖ ❖

تعـالي أناقـات حلـم المنـى / وإشراقـة الأمـل الرائعـه
تعـالي فـأني زرعـت الطريـق / حكايـا لأشـواقنا الـضارعه
وأهرقـت فـوق ربـاة الليـالي / تلملـم أمـسية ضـائعه
فقـال لي الـصمت أني أراك / وأسـمع أغنيـة راجعـه

❖ ❖ ❖

تعـالي هنـا في إنـدلاع الـصبًا / نعابـث أنجـم هـذي الـسماء
ونغـزل أشـواقنا ضـمتين / تـذوب المنـى فـيها والرجـاء
ونـزرع ألـوان هـذا الوجـود / حديث الفراشات خلف السماء
فتـصحو بـسيرتنا في الـصباح / شـفاه الـورود وبـوح الـضياء

❖ ❖ ❖

تعـالي حماقـات عمـر الـشباب / وأهـواء رقـصاته الفـائره
تعـالي ينـاديـك روح حبيـب / يعـيش بآلامـه الـساخره
أعيـدي إليـه انفـلات الـشباب / وإشراقـة الغفلـة البـاهره
وردي عليـه الربيـع / بألوانـه الطفلـة الفـاجره

❖ ❖ ❖

أناديـك أنـت فهـل تـسمعين / وهـل تـرحمين صـدى آهتـك؟
وعـبرة مـسهدة في الـدجي / تعـيش عليهـا رؤي وحـدتك
تعـالي فمازلـت أهفـو إليـك / ومـا زلـت أخطـر في مهجتـك
ومـا زلـت أنـت عـلى لهفتـي / ومـا زلـت أنـت في لهفتـك

بداية ... ونهاية

قبـل أن نلتقـي افترقنـا .. خِفافـاً ... مـا تَهـادَى بناظِرينـا عِتـابُ
قبـل أن نبـدأ انتهينـا .. وعُـدنا .. وترامـى عـلى خُطانـا الـضّبابُ
حَـسبنا في بلاهـةِ الـدّربِ وهمـاً .. وكفانـا مـن الطّريـقِ الإيـابُ
لا انتظـارٌ .. ولا وَجيعَـاتُ قلـبٍ ... هَـرَأ الـسّهدُ ليلَـهُ والعـذابُ
وكـلامُ الوشـاةِ في كـلِ نـاد .. أخطـأوا في كلامِهـم .. أم أصـابوا
عَرْبَـدَ اللّحنُ سـاعةً .. ثـم أغفـى .. وعَبرنـاهُ .. واسـتراحَ الرّبـابُ

◆◆◆

وصَـحونا وفي يـدَينا خُـواءٌ .. وأفقنـا .. وفي العيـونِ اغْـترابُ
فطَوينـا صـحائفاً .. كـم تمنَّـت لغـةُ الحُلـم لَـو حَواهـا كِتـابُ
ونَبـذْنا الكـؤوسَ وهـي عـروسٌ .. لم يُزغـردْ عـلى سَـندها الحَبـابُ
وسَـلكنْا منَازلَ الزُهْـدِ في الأشْـواقِ .. حتى جـرَى عليها الحجـابُ
رُبَّـما أرّقَ الفـؤاد خيـالٌ .. أو سـؤالٌ .. بـلا جـوابٍ يُجـابُ
غـير أنَّ العبـيرَ في رحمةِ الـشّوكِ .. وخـيرُ الـدواءِ مـرٌ .. وصـابُ
فـإذا مـا تـساءلَ الـصَّحبُ عنّـا .. فـأجيبهِمْ .. إننـا يـا صـحابُ
قبـل أن نلتقـي افترقنـا خِفافـاً .. مـا تَهـادى بناظرينـا عتـابُ



الشاطئ الظّامئ

أوَ تذكُرينْ ... ؟

أوَ تـذْكرينَ الشّاطئَ الورديَّ .. والعُشبَ النَّدِي

وَحديثَ وشْوشَةٍ تروحُ على الرِّمالِ .. وتَغْتَدي

لَمّا تَعَاهَدْنا .. وقدْ نامتْ يَداكِ على يَدي

أقْسَمْتِ لي .. والشَّمسُ تَغْفو فوقَ صدْرِ المُخْمَلِ

وَتُلَمْلِمُ الياقوتَ في جِيدِ المَغيبِ الشَّارِدِ

أقْسَمْتِ لي .. إنَّ الهَوى سَيَدُوم لي .. أقْسَمْتِ لي

فَضَممْتُ أسرابَ الأماني كُلّها في ساعِدي

❖ ❖ ❖

وَسَكِرْتُ في هذا البَريقِ الشَّاحِبِ

يَنْسابُ في صَمْتٍ كَهَمْسِ الرَّاهِبِ

أوَ تَذْكُرينْ ... ؟

❖ ❖ ❖

أسطوَرةُ الحُبِّ التي كانت رَبيعاً .. وجَنَى

لَمْ يَرْوِها شَوْقٌ عنِ الأحبابِ يوماً .. قَبْلنا

لا .. لمْ تُرَدِّدْ مِثْلَها الأمواجُ .. حتّى بَعْدَنا

❖ ❖ ❖

كانتْ غِناءً .. بينَ ألحانِ الطيّورِ العائِدَه

كانتْ نِداءً تَرْتَوي منه القلوبُ الظّامِيَه

أَقْسَمْتِ أن تَحيا ضياءً للأماني الواعِدَه
وحِكايةً .. يَزهو المَصيفُ إذا حكَاها ثانِيه

❖ ❖ ❖

وَرَفَعْتِني مِلكاً على هَامِ السَّما
مَلِكاً يعابثُ في يَدَيْهِ الأَنجُما

أَوَ تَذْكُرينْ ... ؟

❖ ❖ ❖

أَقبَلْتِ في تَرَفِ الجَمَالِ .. وفي تَجَنّي سِحْرِهِ
وجَمَعْتِ لي كَرَمَ الرّبيعِ .. وكُنْتِ أكْرَمَ زَهْرِهِ
وفَرَشْتِ دَرْبي بالعَبيرِ ... وكنتِ أشْهَى عِطْرِه

صُوَرٌ .. يُهَدْهِدُها الخَيالُ لِترسُمَ الحُلْمَ الجَميلْ
حُلْماً تُبارِكُهُ الدُّفوفُ .. وَتَجتلي فيهِ الشُّموعْ
حُلْمَ العروسِ تَتيهُ في وَشْيِ الصَّبايا .. أوْ تميلُ

في كلِّ رُكْنٍ فتنةٌ تَختالُ .. أو عِطْرٌ يَضوعْ
وأنا وأنتِ ... فراشتانِ تعاهدا
تمضي بنا أقْدارُنا خَلْفَ المَدَى

أَوَ تَذْكُرينْ ... ؟

❖ ❖ ❖

راحَتْ ليالي الصَّيفِ يا خَسناءُ .. وانفَضَّ السَّمَرْ

ومواكـــبُ العُــشَّاقِ .. لا ترجـــو وداعـــاً أو سَــفَرْ
هـــذا عـــصيُّ الـــدَّمِع يُخْفيـــهِ .. وهـــذا مـــا صَـــبَرْ

❖ ❖ ❖

والـــشَّاطئُ المهجـــورُ .. تَبْكِيـــهِ العيـــونُ الرَّاحِلَـــه
لِتَمُـــدَّ أَذْرُعَهـــا سَـــحاباتُ الخَريـــفِ الآتِيَـــه
وأنـــا .. وسُـــهْدي .. واللّيـــالي العاوِيـــاتُ الذّابِلَـــه
لِتَمُـــدَّ أَذْرُعَهـــا سَـــحاباتُ الخَريـــفِ الآتِيَـــه
وأنـــا .. وسُـــهْدي .. واللّيـــالي العاوِيـــاتُ الذّابِلَـــه
لم يَرْتَحِـــلْ عنَّـــا الوَفَـــاءُ .. ولا البَقايـــا الباقِيَـــه

❖ ❖ ❖

لنظـــــلّ نرعـــــى ذِكْريـــــاتِ المَوْعِـــــدِ
في ليلَـــةٍ .. نامـــتْ يـــداكِ عـــلى يَـــدي



كريستال

أرســل الطّـرف .. وأومــي .. وتفــضلْ
وصــحا البارفــان موســيقى .. وأقبــل
قــال أهــلا .. وجَـرَى نهـرُ الكِريـسْتالْ
فَتفَــضَّلْ .. يــا حبيبـــي .. وتفَــضَلْ

❖ ❖ ❖

قــَالَ أَهْــــلاً .. فـــإذا قلبِـــيَ ينــسَى مَوْضِـــعَه
قلـــتُ أهـــلاً .. ويَـــدي فَـــوْقَ الـــسَّماءِ الـــسّابِعَه

تُطْعِـــمُ الـــنَّجماتِ أَحْـــلى أغنيـــه
وتَـــضَمُّ الأمنيـــات الـــسَّاريَه

❖ ❖ ❖

حيـــنَما نـــادَى حبيبـــي .. مُـــنْعِمَا
حيـــنَما أَوْمَـــي لقلبـــي .. حيـــنَما
قــال أهــلاً ..وجَــرى نهـرُ الكريـستالْ
فتفَــضلْ .. يــا حبيبـــي .. وتفــضَّلْ

❖ ❖ ❖

قـــالَ أهـــلاً .. فـــإذا الـــدُّنيا بِعَيْنَـــيَّ .. تَـــدورْ
قلـــتُ أهـــلاً ... وبـــأعماقِيَ .. زَهْـــوٌ .. وغُـــرورْ

❖ ❖ ❖

ورَبيـــعُ لَـــيْسَ يأتيـــهِ شـــتاءْ
يَـــرْقُصُ الفجـــرُ عليـــهِ .. والمَـــساءْ

❖ ❖ ❖

حيـــنما أَغْـــرَى جَنـــاحي .. ورَمَـــى

حيـــنما .. أوْمَـــى لقلبـــي .. حيـــنما
قـــالَ أهـــلاً .. وجَـــرَى نهـــرُ الكريـــستالْ
فتفّـــضلْ .. يـــا حبيبـــي .. وتَفَـــضَّلْ

❖ ❖ ❖

قـــالَ أهـــلاً .. وكَـــلامٌ وَشْوَشَـــتْهُ مُقْلَتـــاه
قلـــتُ أهـــلاً .. وتهـــادَتْ لِلِقـــائي راحَتَـــاه

❖ ❖ ❖

وتَنَـــاثَرتُ شُـــموعاً مُرْهَفَـــه
مَرْقَـــصي .. حُلْـــمٌ .. ودفْءٌ .. وشَـــفَه
حيـــنما .. أهْـــدَى لعمـــري موســـما
حيـــنما .. أومـــي لقلبـــي .. حيـــنما
قـــال أهـــلا .. وجَـــرى نهـــرُ الكريـــستالْ
فتفّـــضل .. يـــا حبيبـــي .. وتفـــضّلْ



نهر بلا عودة

لا تعودي .. فقد نَسَجْتُ لربيعَ البكرَ سِتراً على جراح الخريفِ
لا تعودي .. فقد نَظمتُ المُنى في سَرَحاتي .. أحلامَ طفلٍ شفيفِ
وضممتُ الحياةَ .. أنقي من الوهمِ .. وأبقى من الخيالِ المُطيفِ
لا تعودي .. نلنْ أعودَ بقايا تتهاوى على فؤادٍ كسيفِ ...

❖ ❖ ❖

هَدَأَتْ جذوةُ الجُنونِ بقلبي .. وَخَبَتْ شُعلةُ الفؤادِ العميدِ
وأفقْنا من الخُمارِ .. وراحتْ سَكرةُ الشَّوْقِ والهُيامِ الشّريدِ
وَطَويتُ الشّراعَ .. لّما سَعَتْ بي للمنيّاتِ ثائراتُ الرعُّودِ ..
فاذهبي الآنَ .. لا رَجِعْتِ .. ولا عادتْ لعمري مأساةُ عمرٍ فقيدِ

❖ ❖ ❖

أنا إن كنتُ قد أَسِفتُ .. فما ذنبُ الأزاهيرِ في فراديسِ وَهْمي
سَحَقَتْ عودَها الوليدَ وأرْدَتْهُ خطاياكِ .. كالقضاءِ المُلمّ
وإذا أنتِ قد نَدِمتِ .. فماذا عن شهيدٍ ما زال يُدْمي ويُدْمى
حَسَبُ قلبي ما رَوَّعته اللّيالي .. وجَرَتْ فيه من شقاءٍ .. وسُقْم

❖ ❖ ❖

زَلّةَ الأمسِ .. آنَ للأمسِ أن يسترجعَ الشاويَ الكئيبَ الخَدوعا
قد دَفَنتُ الّذي مضى وَتَولّى .. وعلى القبرِ ما أضأتُ شُموعاً
ونَسيتُ المكانَ .. قَفْرَ للرائي .. وزمانَ وَأَدْتُ فيه الضَّجيعا
وَأبَيْتُ العزاءَ .. فيمَنْ أعَزّى ودموعُ الخلاصِ ليست دُموعاً !

❖ ❖ ❖

سَقَطَ العرشُ والقِناعُ .. وَدَالَتْ دولةُ الزيّفِ والغرامِ الكذوبِ

وَهَـوَى المعبـدُ المُـضَمَّخُ بالـسَّهدِ وبالـدّمع والـدُّعاءِ الـسَّليبِ
والتَّراتيـلُ .. جهـشةٌ صَرَعَتْهـا عَـبَراتُ عَـلى أسـاكِ الـشَّحيبِ
ومَـضَى الرّاهبـانِ .. كـلٌّ بمنـأى في طريـقٍ مـن الحيـاةِ غريـبِ ..

❖ ❖ ❖

كـلُّ مـا كـان بيننـا .. كـان رؤيـا .. جَثَمَـتْ فـوقَ صـدرها الأشباحُ
الأزاهـيرُ في رُباهـا قَتَـامٌ .. والـسَّواقي عبيرُهـا الفَـوَّاحُ
فـاشْربي الآن ... فـالطَّريقُ طويـلٌ .. والمقـاديرُ أدمُـعٌ وجِـراحٌ
واجْرعـي حُرْقَـةَ اللّظَـى .. لا كـما شئـتِ .. ولكـنْ كـما تَـرى الأقـداحُ ..

❖ ❖ ❖

يـا سـماء الحيـاةِ .. قـد عُـدْتُ حُـرّاً .. بجنـاح إلى الأغـاني طليـقِ
وَغـسَلْتُ الـشّموسَ مـن دَرَنِ الغَـيْمِ .. وألقيـتُ في سَـناها طريقـي
أنـا قـد عُـدْت للـصحابِ .. لنفـسي .. لـشبابٍ عـلى الرّبيـع وَريـقِ
أنـا قـد عـدتُ يـا حيـاةُ فهـاتي .. وأريقـي المُنـى علـيَّ .. أريقـي



عبد الحميد الديب
والمرأة المجهولة في حياته !

الصعلوك والحب!

دنياي أنت لغيري مصبح ألق
وأنت طيلة عمري الليل والغسق
حرمتني وسقيت الناس من غدق
كأنني هالك والناس قد خلقوا
إن التي حرمتني قبلة خضعت
لأنف وغد وأفنى حزنها النزق



من هي الحبيبة المجهولة
في حياة شاعر الصعاليك ؟!

عانى الصعلوك الساخر عبد الحميد الديب (١٨٩٨ ـ ١٩٤٣) الكثير من المآسي في حياته الخصبة القصيرة، التي قضاها بين أشواك البؤس، وعذابات الحرمان، ومكايدة الصحاب الذين كانوا يتخذون من مأساته تسلية وملهاة، وهم لا يدرون أنهم يمزقون قلبه بقسوة، ويحطمون روحه بلا رحمة! وكان أكثر، ما يعذب الديب أن أهل الأدب والصحافة في زمنه قد أطلقوا عليه لقب «شاعر البؤس» تفكها وسخرية، فكانوا يقدمونه للآخرين بأنه «الشاعر البائس عبد الحميد الديب» وكان رد فعل الديب إزاء ذلك كله، ما رواه بنفسه لنا: «وقد تأثرت حياتي بهذا الوصف المخيف «البائس» وكثيراً ما كنت أتعمد إسماع الناس وسوسة الدراهم في جيبي، أو أتظاهر بالسكر، أو أظهر فيهم معطراً، أو أتكلم في أناقة الأرستقراطيين وكبريائهم .. ومع هذا كله لا ينفكون يعتقدون أني بائس، ويعتقدون أن الوسوسة التي سمعوها ما هي إلا رنين مفاتيح أو ملاليم أو يفسرون سكري بأني صريع «السبرتو» وأما أناقتي في الحديث وكبريائي المصطنع فهذا طلاء تتواري خلفه ذلتي ومسكنتي كما يفسر ذلك الناس».

وعاش الديب بلا منزل ... حيث كان يعتبر أن أرض الله في القاهرة التي عاش فيها حياته هي منزله العامر، وعلى هذا كان يمكن أن تلتمسه يفرى حصباء حاراتها وأزقتها، فإذا أدركه الكلال آوى إلى حانة اعتاد صاحبها أن يراه مفلساً في الليل أفاقاً كالطريد المشرد يذرع أحياء القاهرة فلا يسأله ماذا يشرب وقد تجده في مقهى شعبي، وفي ليالي الشتاء الباردة كان يضطر للمبيت إما في أحد المساجد أو على دكة في أحد المقاهي الشعبية، وقد استطاع مصور صحفي ذات ليلة أن يلتقط صورة طريفة للديب وهو نائم فوق دكة خشبية ببدلته الكاملة وقد غطى وجهه بورق الجرائد!!

وكم كان الديب يقضي لياليَ كثيرة دون أن يجد كسرة خبز تقيم أوده ، وكم قضى ليالي الشتاء الباردة دون أن يستره إلا ثوب مهلهل ، مما دفعه إلى أن ينظم قصيدة في ثوبه ذاك الذي يحميه برد الشتاء ووقعها باسم «الشاعر المهلهل» !

وكم قضى فصول الشتاء دون أن يجد مأوى إلا بيوت الله ، ومقاهي الفقراء!

وقد صور حياته البائسة وتشرده في قوله :

نهاري إما نومة بين مسجد
غراراً .. وإما بالطريق تسكع
وأطوي عصى الليل في القر ساعياً
ومن أين للأفاق في الكون مهجع
أصلي بإذكار المرائي وقلبه
وبئس صلاة يحتويها تصنع!

وبعد عشر سنوات من الضياع والتشرد .. استطاع بمعاونة الشاعر كامل الشناوي أن يعثر على وظيفة مصحح في إحدى الصحف اليومية لقاء جنيهين في الشهر ، واستأجر لنفسه «غرفة» متهالكة فوق سطح منزل عتيق بحي الباطنية قرب حي الحسين الذي كان يسميه تفكهاً «الحي اللاتيني» !

وغلب على الغرفة الطابع الديبي .. أي أنها كانت غرفة بائسة عارية تكاد تخلو من الأثاث ، وقد وصفها بقوله :

أفي غرفتي يارب أم أنا في لحدي ؟
ألا شد ما ألقاه من الزمن الوغد
تراني بها كل الأثاث ، فمعطفي
فراش لنومي أو وقاء من البرد
وأما وساداتي بها فجرائد
تجدد إذ تبلى على حجر صلد
تعلمت فيها «صبر أيوب» في الضنى

وذقت هزال الجوع أكثر من «غاندي»

وكان الشاعر يلقى في مطلع كل شهر صنوفاً من الإذلال والمهانة لعجزه عن دفع ثمانين قرشاً سداداً لإيجار الغرفة البائسة :

ثمانون قرشاً أهلكتني كأنها
ثمانون ذنباً في سجل عذابي
طويت لها الدنيا سؤالاً وكدية
فما ظفرت نفسي برد جواب
ألا مسكن لي ولو بجهنم
فأكفي من الأيام شر حسابي ؟!

وكان غطاؤه في ليالي الشتاء القارسة البرد ورق الجرائد ، فأصيب بنزلة برد شديدة ، فأشفق عليه أحد محبيه فأعطاه غطاء بالياً ، فرح به الديب فرحاً شديداً لأنه سيقيه برد الشتاء القارص ، لكن سوء الحظ يلاحق الديب ، فلم تمض أيام حتى سطا لص فقير على اللحاف فسرقه، فحرم الديب من دفئه ، فرثى لحافه الوحيد وهو يبكي :

لحافي، وهل غير الهباء لحافي؟
بقية نسج دارس ونداف
أطاف به لص فقير كعيشتي
فيا بؤسها من هجرة ومطاف
فكم ليلة تحت اللحاف قضيتها
أسامر أحلامي وطيف سلافي
وكم ذا وقاني البرد في جنح ليلة
بها الموت من كل المواجع شاف
لقد ضاع مني ذا الغطاء ، فهل ترى
أدثر شعراً ضافياً وقوافي؟!

الشاعر المحروم

وإذا كان الحرمان المادي قد دفع الديب إلى الثورة والتمرد، فإن حرمانه العاطفي قد حطم نفسه، وأشقى روحه، وملأ قلبه بالأحزان والآلام، كان بطبيعته الشاعرية يعشق الجمال المحروم منه، ويهفو إلى وصال المرأة لكنه كان يتراجع لبؤسه وفقره ومهانته لكن الديب لم يكن دميماً إلى هذه الدرجة، لكف شعوره بالإحباط الذي جعله يشعر بالمهانة والذلة، فيصرخ باكياً :

تـــزور عنـــي الخـــرد الغانيـــات
لـــوجهي الحـــاكي ســـواد الغـــراب

وقد صحب الديب صديقة الموسيقار سيد درويش لفترة قصيرة ذاق خلالها الديب النعيم واستطاع أن يغشي الملاهي والمنتديات الفنية، لكنه كان فقيراً لا يستطيع أن يجاري تلك الأجواء الصاخبة، فتبسمت له ذات ليلة إحدى الغانيات، فحاول أن يتقرب إليها لكنها اكتشفت إفلاسه فرفضت أن تمنحه قبلة كان يتمناها ومنحتها لآخر لديه المال، فثار باكياً محطماً ورأى الدنيا منادح أهوال، وأن الشقاء قد كتب عليه :

دنيـــاي أنـــت لغـــيري مـــصبح ألـــق
وأنـــت طيلـــة عمـــري الليـــل والغـــسق
حرمتنـــي وســـقيت النـــاس مـــن غـــدق
كـــأنني هالـــك والنـــاس قـــد خلقـــوا
إن التـــي حرمتنـــي قبلـــة خـــضعت
لأنـــف وغـــد وأفنـــى حزنهـــا النـــزق
إذا ســـلكت اللظـــى في العـــيش مرتجيـــاً
بعـــض الكفـــاف كـــوتني دونهـــا الحـــرق

ويسعى الديب بكل قواه ليتكسب عيشه، ويجد وظيفة تعطيه ذلك الاحترام والتقدير وتنفي عنه صفته كشاعر للبؤس، وينجح بأن يجد وظيفة مدرس لغة عربية بمدرسة أهلية لبنات .. فمضى في وظيفته بكل جد ودأب

ليثبت وجوده وكفاءته أمام مدير المدرسة وبالفعل اكتسب محبة زملائه وثقة مدير المدرسة ، ومما زاد من سعادته أنه وجد مُدَرِسة بائسة زميلة له اسمها «فاطمة» بادلته مشاعره وعواطفه المتأججة فلم تسعه الدنيا وشعر أن الدنيا قد ابتسمت له بعد طول إدبار وعبوس !

حكاية فاطمة

أحبها الشاعر الصعلوك بكل ما في قلبه من حرمان وظمأ إلى الحب الذي يسعد روحه ، ويبهج حياته ، وينزع أشواك الأسى والحرمان التي تكتنف دنياه ، ويجعله يحس بآدميته وبمشاعره كإنسان محب عاشق للجمال ..

ولم يستطع العاشق أن يخفي مشاعره فأطلقها في أبيات عشق كلها محبة وأمل في أن تكون «فاطمة» هي الملهمة والزوجة الحانية التي تنسيه مأساة حياته . وبؤسه الذي خشي أن يحول بينه وبين محبوبته :

أأحببت .. والبؤس تقصيني مخاوفه
فبت أضرب للأسداس أخماسا
أحببت .. أنعم من حدثته «رشأ»
به سمات الهوى روحاً وأنفاسا
به شحوب يكاد الصب يأكله
أكلاً .. ويشربه دون الطلي .. كأسا
وإن تكلم فاسمع أيما ضحك
يريك أي جمال يسحر الناسا
وأن تثني على كرسيه ورنا
فاسخر من البان : صداحا ومياساً

ويدأ يقترب منها ويفضي إليها بهموم روحه وأحزان نفسه ، وسعد بتجاوبها مع ظروفه القاسية لكن القصيدة التي ناجاها بها انتشرت بين زملائه من المدرسين والمدرسات ، وأصبح هو وملهمته مضغة في الأفواه ومثار سخريتهم.

وتصبح قصة حبهما موضوعاً لتحقيق طويل مرهق عند مدير الإدارة ينتهي به آخر الأمر إلى الطريق مفصولاً معها من المدرسة .

وراء الأسوار

ولكن ما ذنب فاطمة ؟ لقد جنى عليها وأشعلته هذه المأساة الجديدة وأرهقته فغامت الدنيا في عينيه ، ولم يجد إلا الكوكايين مهرباً وملاذاً علـه ينسى في غيابات ضبابه الأبيض مأساة حبه الذي ضاع منه ، فانتهى به الأمر إلى السجن ، فيبعث إليها من وراء أسواره عدة أبيات يواسيها في محنتهما ويبرر لها سبب إدمانه وشقوته بزمانه وأهل زمانه :

أفاطم .. إن الناس قد أكلوا عرضي
وصرت لعيناً في السموات والأرض
يقولون «شمام» ، وما شم معطسي
سوى الوردة الفيحاء والنرجس الغض

ويخرج من السجن بعد أن يقضي ستة شهور وراء أسواره ، ولكنه يجد الدنيا أمامه أكثر ضيقاً وسواداً .. فلا أمل في وظيفة بعد أن أصبح من أرباب السوابق .. ولا أمل في زواج .. ولا أمل في مسكن يؤويه .. وزاد أحزانه أنه حاول أن يستعيد علاقته بفاطمة لكنها اختفت وسط الزحام بعد أن سبب لها الفصل من عملها والفضيحة المدوية .. فيعكف على أحزانه وعلى شرابه : طريداً ، مشرداً ، هائماً على وجهه لكنه لم يستطع أن ينساها ، فيخلق لنفسه عالماً من الجمال والنجوى مع ذلك الحب الضائع ، علـه يعوض في الخيال ما فاته في الواقع الأليم المر ، فيكتب من وحيها رباعيات بعنوان « بين بؤسي وغرامي » يقول فيها :

ليس في الدنيا سوى عيني تنوح
وفؤادي من لظى حزني مروح
وصدى صوت على بعد يصيح
أيها العاشق للمحبوب هيا

❖ ❖ ❖

طـرت كالهـارب مـن وجـه القـضاء
أسـأل الغـبراء عنهـا والـسماء
لم يجبنـي غـير عينـي بالبكـاء
اذكرينـي واسـكبي الـدمع عليـا

ثم يستعيد مأساة تشرده وبؤسه، فيقول:

أنـا في الليـل عـلى سـهدي شريـد
والأسـى يعـرف مـن «عبـد الحميـد»
غـير أني في يـد الجـلي جليـد
لـست أنـسى همتـي مـا دمـت حيًّا

ويمني نفسه أن صفو المحبة بينهما لا تغيرها خطوب الدنيا وأهوالها وأقوال الوشاة الحاقدين فيدعوها أن تصفح عنه:

سـلي فـؤادك عنـا .. لا تلومينـا
ولا يجافيـك منـا قـول واشـيناً
عـدا الـشقاء عـلى الـدنيا فغيرهـا
ولم يغـير بهـا صـفو لمحبيتـا
وخلـف الـروض إلا بأنـه حطبـاً
وكـان مخـضوضراً يهفـو رياحينـا

ويقارن بين حظه وحظ الآخرين .. فيجد أنه وسوء الحظ توأمان .. فيقارن بين حظه وحظ د. طه حسين فتثور براكين يأسه وألمه بمناسبة صدور كتابه «الأيام»:

عـشرين عامـاً أنـادي
ولم أجـد لي سـميعاً
وأنّ طـه .. فأنـت
لـه الـبلاد جميعـاً

يــــارب .. حنـــى بيـــؤسي
أري مكـــــاني وضـــــيعاً
يكـــون عـــن بـــؤس طـــه
ولم يـــــذق فيـــه جوعـــاً
ولا تـــــشرد يومـــــاً
ولا أصــــــاغ مطيعــــــاً
ولا عـــــــداه رحيـــــل
لم يـــرج منـــه رجوعـــاً
أمـــــا أنـــا ، فـــتراني
في كـــــل يـــوم صريعـــاً
مـــا مـــر يـــوم بعمـــري
إلا وكـــــان مريعـــــاً
مهــــاجر في شــــقاء
أطويـــه عريـــاً وجوعـــاً
أرجـــو الحيـــاة كفافـــاً
واليـــسر لـــن أســـتطيعا



عندما تزوج الديب !

ولا يجد الديب في سنواته الأخيرة أملاً في حياة كريمة فلا وظيفة .. ولا زوجة .. ولا ولد.. ولا بيت .. وذات يوم من صيف عام ١٩٣٨ يفاجئ الديب رفاقه بأنه سيتزوج جارته في الغرفة التي عاش فيها لفترة وهي أرملة لديها أولاد .. وكان يوم زفافه مأساة باكية .. حيث حضر بضعة أصدقاء حفل الزفاف البائس وقوفا في غرفته لأنها كانت خالية من الأثاث وارتدى الديب قميصاً مهلهلاً .. واكتملت المأساة حين قدمت جارة عجوز للضيوف «قهوة سادة» احتفالاً بزفاف شاعر البؤس على زوجته «إحسان».

أقام لي الأصحاب عرساً فمذ رأوا
به محنتي تشدو .. أقاموه مأتما

ولم تمض شهور حتى أجبره البؤس وضيق ذات اليد على طلاقها وقلبه يبكي ، وحاول أن يسترضيها :

يا ربه الدار لا ترثي لأرزاقي
قد قدر الله إسعادي وإملاقي
معيشتي بين مصر أصبحت مثلاً
لعبقريّ غنَيّ النفس .. أفاق
أنا الذبيح مدى عمري ومن عجب
أني حُرمتُ بخطبي كل إشفاق

ويصاب الديب باليأس القاتل ، فيجد أن كل شيء سيان ، فيمعن في طريق الشراب والمخدرات والضياع وهو يعلم أنه متجه إلى الانتحار يأساً :

دع الشكوى وهات الكأس نسكر
ودعك من الزمان إذا تنكر
وهام بي الأسى والبؤس حتى
كأني عبلة والبؤس عنتر

كــــأني حــــائط كتبـــوا عليـــه
هنـــا يـــا أيهـــا المزنـــوق «طرطـــر» !

ويبلغ يأسه مداه ، فيطلق صرخة مدوية يطلب فيها الموت :

ويـــارب مـــا يـــومي وأيـــن منيتـــي
أمـــالي حتـــى في المنيـــة موعـــده ؟!

ولا يتأخر الموت عنه طويلاً ، فيرحل الديب في ٣٠ أبريل ١٩٤٣ فيرتاح بعد حياة حافلة بالعذاب والبؤس والحرمان والشقاء ، الذي بلغت ذروته بحرمانه من الحب ومن المرأة .. ومن نو ل أمانيه في الحياة الحرة الكريمة.. وهو الذي طالما حلق في سماوات الخيال بحلم بالحبيبة الجميلة الساحرة الحنونة، التي سوف تخفف عنه مأساة حياته وما يعانيه من ذل وحرمان من كل ما تمناه قلبه، فتظل صرخة أساه وغضبه سابحة في الفضاء بعد رحيله مدوية.

يـــا معـــشر الـــديب وافى كـــل نقـــترب
إلا غـــريبكم في مـــصر مـــا بانـــا
قـــدمت الـــشاه قربانـــا لعيـــدكم
والـــدهر قـــدمني للبـــؤس قربانـــا



أحلى قصائد

عبد الحميد الديب

دنياي

دنيـــاي أنـــت لغـــيري مـــصبحٌ ألـــق
وأنـــت طيلـــة عمـــري الليـــل والغـــسق
حرمتنـــي وســـقيت النـــاس مـــن غـــدق
كـــأنني هالـــك والنـــاس قـــد خلقـــوا
إن التـــي حرمتنـــي قبلـــة خـــضعت
لأنـــف وغـــد وأفنـــى حزنهـــا النـــزق
يـــا وقعهـــا طعنـــة في العـــيش قاتلـــة
جرحـــى بهـــا مالـــه شـــبه ولا نـــسق
إذا ســـلكت اللظـــى في العـــيش مرتجيـــاً
بعـــض الكفـــاف كـــوتني دونهـــا الحـــرق
مـــر القفـــار كفـــافي إن ظفـــرت بـــه
وفي حريـــري ذا المـــتروك والخلـــق
يـــا رب قـــد لعنـــوني في ديـــارهم
وهلهلـــوا دوني الآثـــام واختلقـــوا
والـــصادقون إذا مـــا أشـــفقوا كـــذبوا
والكـــاذبون إذا مـــا صرحـــوا صـــدقوا

لماذا شقيت

قــــاضي حــــاذر واعــــدل
وانظــــر مكــــاني مــــن عــــل
كــــسيت ضــــيائي النــــيرات
وأشرقــــت مــــن منــــزلي
والــــروض غنّــــى وارتــــوى
مــــن نغمتــــي أو جــــدولي
وجعلــــت مــــن حظــــي وعيــــشي
قــــسمة .. للمجــــتلي
فــــإذا بــــي الهمــــل الــــشقي
أســــام بخــــس .. المبطــــل
نجــــم هــــوى ، روض ذوي
ميــــت ثــــوى في مجهــــلي
قــــد غــــيض مــــائي .. عــــيّ دائــــي
مــــن قــــضائي المبــــتلى
في كــــل يــــوم محنــــة
مــــن صــــحبتي أو عــــذلي

❖ ❖ ❖

آمنــــت بالقــــدر الخفــــي
وبالقــــضاء المنــــزل
والله أعــــدل أن يعــــذب
شــــاعراً لم يجهــــل
لكــــن قــــومي حاســــدي
وتــــاركي بمعــــزل

إن كـــان شـــعري مـــسلمي
لحواســـــــــدي .. لا أم لي
حطمـــوا الغـــصون الراقـــصات
وأردفـــــوا .. بالبلبـــــل

❖ ❖ ❖

يـــا ليـــل .. يـــا صـــبح .. اعطفـــا
لمعـــــذب .. متعطـــــل
أرتـــــاد أبـــــواب الجهـــــاد
فينـــــــبري لي عـــــــذلي
هـــــذا يجرحنـــــي .. وذلـــــك
ممعـــــــن في مقـــــــتلي
فـــــأموت إذ يحيـــــا الطغـــــام
بنعمـــــــــة المتفـــــــضل
يكـــسون مـــن غـــالي اللبـــاس
واكتـــــــسى بمهلهـــــــل
شربـــوا نمـــيري ... بيـــنما
أروي بفـــــيض الحنظـــــل
يـــــا طالمـــــا .. طـــــالعتهم
في أنـــــسهم وتبلـــــبلي
فتـــــضاحكوا وتغـــــامزوا
مـــن كربتـــي.. وتجمـــلي
وأنـــــا أزيـــــد كرامـــــة
مهـــما تـــضاعف محمـــلي!

بؤسي وبؤس طه (*)

عشرين عاماً أنادي
ولم أجد لي سميعا
وأنّ طه فأنت
له البلاد جميعاً
يا رب حتى ببؤسي
أرى مكاني وضيعاً
يكون عن بؤس طه
ولم يذق فيه جوعاً
ولا تشرد يوماً
ولا أصاغ مطيعاً
ولا عداه رحيل
لم يرج منه رجوعاً
أما أنا، فتراني
في كل يوم صريعاً
ما مرّ يوم بعمري
إلا وكان مريعاً
مهاجر في شقاء
أطويه عرياً وجوعاً
أرجو الحياة كفافاً
واليسر لن أستطيعا
وإن بؤست كطه
أرى الحياة ربيعا
مالاً، وجاهاً، وعلماً
وثروة لن تضيعا

(*)يقصد د. طه حسين وكتاباته عن ذكريات البؤس والمعاناة.

مصرع الحظ ...

حظـــي ومـــصرُعه في لـــين أخلاقـــي
وفـيض عطفـي عـلى قـومي ءإشـفاقي
ومــن حبتــه الطــلا أخــلاف نــشوتها
عـدا عـلى الكـأس طـوراً أو عـلى الـساقي
بـين النجــوم أنــاس قــد رفعــتهم
إلى الـــسماء فـــسدُّوا بـــاب أرزاقـــي
وكنـت نُـوح سـفينٍ أرسـلتْ حرمـاً
للعـــالمين فجـــازوني بـــإغراقي
وكـم وقيـت الـردي مـن بـتَّ مـضطرباً
في أسره المـــرّ لم أظفـــر بـــإطلاقي

❖ ❖ ❖

يـــا أمـــة جهلتنـــي وهـــي عالمـــة
أن الكواكـــب مـــن نـــوري وإشراقـــي
أعـيش فـيكم بـلا أهـل ولا وطـن
كعـــيش منتجـــع المعـــروف أفـــاق
ولـــيس لي مـــن حبيـــب في ربـــوعكم
إلا الحبيبـــين : أقلامـــي وأوراقـــي
ريشت لغـدري سـهام مـن نميمـتكم
فـــصارعتني ومـــالي دونهـــا واق ...
لم أدر مـــاذا طعمـــتم في موائـــدكم
لحـم الذبيحـة أم لحمـي وأخلاقـي ؟ ..

❖ ❖ ❖

قـالوا غَـويٌّ شـقيٌّ قلـتُ يـا عجبـا
قـد امتحنـت بفجـار وفـساق
ومـا تألمـتُ مـن خطـبٍ ضـحكتُ لـه
كـما تألمـتُ مـن خَطبـي بعـشاقي
أنـا عـلى القـرب مـنهم كـل متعـتهم
وإن نأيـتُ حبـوني فَـيْض أشـواق
فـما لهـم قـد أشـاعوا كـل مخجلـةٍ
عنـي ، وأعلنـوا بـؤُسي بـأبواق
كـصاحب الطـير لا ينفـك يـسجنه
سـجنين مـن قفـص مُـضنٍ وأطـواق

❖ ❖ ❖

حظـي هـو الأيكـة الخرسـاء ذابلـة
هـو النـسيم سـموماً غـير خفَّـاق
هـو الـسحاب جهامـاً والنـدى أَسـناً
هـو الـضياء لهيبـاً حـين إحراقـي
لا تـسألوني عـن بـؤسي وعلَّتـه
سـلو بـه الحـظ ميتـا فـوق أعنـاق!



صرخة شاعر ...

مَـا بـالُهمْ سـكتُوا كـأنْ لم يعرفـوا ...
هــذا الـضحى والـشمس فَلْيتـشوَّفُوا
ضَـنُّوا عــليّ بكثْــرهم وبقلّهــم ..
وسـواى لـو طلـب المعونـة أسرفـوا
لا تُبهِمُــوا يــا جيرتــي أحكــامكمْ
في محنتــي ، فلتعــدلوا أو تُجحفُــوا
لا تُـــسمعوني نـــوْحكُمْ لــشقاوتي
وَتَرنَّمُــوا بــين الحــوادث واعزفــوا

❖ ❖ ❖

مـا بـال مـن عرفـوا ألـيم خـصَاصِتي
ورقيـق حـالي لـيس فـيهمْ مُـسْعفُ ؟ ..
مــن كــان يقــدر أن يُفَــرِّجَ كربتــي
ويُنِيــب مدمعــه فظلــمُ منــصف
يتمتعـــون بمـــدمعي وشـــكايتي
والبــدر ســلوى للــورى إذ يُخْــسف
ولـــربما غـــدت المواجـــع ســـلوةً
للمترفـــين ومتعـــة لا توصـــفُ
ولقــد تَــسَّلى العــين وهــي قريــرةٌ
بمــن اغتــدى في قيــد ســجن يرســفُ

❖ ❖ ❖

حرب الأصدقاء ! ..

(كان الشاعر يضيق أحياناً بدعابات أصدقائه فيثور عليهم ويطلق سلاح شعره عليهم يمزقهم شر ممزق وهذه القصيدة ثورة صاخبة على أصدقائه .. الذين كانوا يتخذون من بلواه فكاهة وسمرا في مجالسهم وقد نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٤٠ يتيه بها عليهم بفنه وعبقريته:

عـــزّتكمُ الــدنيا وهُنّــا
فرقـــصتمُ طـــيرا وغـــصنا
مُلّكتموهـــا بـــالغنى
وملكتهـــا شـــعراً وفنّـــا
أنـــتم مـــشيب في الـــصبا
وأنـــا الـــشباب كـــبرت ســـنّا

❖ ❖ ❖

عـــشرون عامـــاً والزمـــان
يـــؤودني ضـــنّا وغبنـــا
وتجـــددون هنـــاءكم
وأجـــدد الأحـــزان حزنـــاً
وأنـــا لكـــم فلـــك النجـــاة
وكـــم بكـــم أغرقـــت ســـفنا
يـــا للغريـــق إذا اســـتغاث
بقـــادر في الـــيمّ ضـــنا
لا تملكـــون ســـوى المـــلام
ومـــا ضـــللنا أو أثمنْـــا

❖ ❖ ❖

أبنـــي لكـــم صرح الـــوداد

وكـــم حطمـــتمْ منـــه ركنـــا
كـــم مـــن صـــديق شـــامني
أبكـــي مـــن البلـــوى فغنـــيَّ
كـــم شـــامتٍ قـــد سرّه
قلقـــي بعيـــشي فاطمأنـــا
هـــي هدنـــةٌ في محنتـــي
إن عُـــدتمُ للحـــرب عُـــدْنا ! ...

❖ ❖ ❖

القدر المذل

أسْـلَمتُ للقـدر المـذلّ سـلاحي
وجَـرتْ علـيَّ مَـشِيئةُ الـسَّفّاح
مُسْتـضْعَفٌ يُجْنـي عَـليَّ كـأنّني
يُـتْمٌ يُـدلّلُ في حُجُـور سِـفاحِ
يـا مِحْنـةً أكَـلَ الـشَّقاءُ شَـبيبتي
فيهـا ، ومزَّقـت الخُطـوب جنـاحي
ولَبِـسْتُ بَاليهـا بعُـرسي مُكْرهـاً
وشربـت آسـنَها مُعتَّـقَ راح
في أسرة ترجـو المعيـشة قُنّعـاً
بـالخبز مُؤتـدماً بـماء قـراح
ولهـا سـوى حـرب الـشعوب حروبُهـا
والـدهر عـزلاء بغـير سـلاح

❖ ❖ ❖

جُرحـان في كبـدي لفـرط صَـبابتي

ولِشقْوتي والنـاس جـدّ شحاح
ولـوَّانهُم جَرحَى خُطُـوب زمـانهم
مَـنْ ذا يقيسُ جـراحهم بجراحـي ؟..
لا تَعتُبـوا بخـلي بـدمعي صـابراً
فَـيْضُ الـدُّموع بمُقلـة التِّمـساح
أنبتُّ في الأخـلاق صـدقَ «محمـد»
وَجْنيتُ كـذْب (مسيلم وسجاح)! ..

❖ ❖ ❖

أشـكو إلى الأخـلاق غـرّا والغـاً
في الإفْـكِ رَغْـم هِدَايـة النُّـصاح
كَـمْ ذا أقلْـتُ عِثَـارهُ ورحمتـه
فارتـد يهجـو نعمتـي ويُلاحـي
نَبـغَ النَّبـوغَ اللّغـو في تهريجـه
ومـن الطّغَـام مُهـرِّجُ الأفـراح
تحـذوه تـسلية النـدىً وحـسبُه
هُـزء الـضَّحُوكِ ونكتـةُ الفـضّاح
مِـنْ معْـشرٍ أكلـوا «الجرايـة» قُنَّعـاً
بـالخبز مُؤتـدماً بـماءٍ قـراح
ظفـروا عـلى الأحـداث جُنْـد مُوَّفَـقٍ
للـمال أو خـدماً لـدى مِـسْماح
إن كـان هـذا الفحـش خِفّـة روحـه
فمـن الحماقـة خفّـة الأرواح ! ..

❖ ❖ ❖

مـا كـان ضَرّكَ لـو رعيـت كرامتـي ...
ورحمـت تبريحـي : وطُـول نُـواحي ؟..

وأنـا الـذي لـبس النّجُـوم قلائـداً
وزكـا غُـدُوّى في العُـلا ورَوَاحـي
وطَلعـتُ في مَحْـل الخلائـق واكفـاً
ومَحـا ظَـلاَمَ المُعْتَفـين صـباحي
أيُبـاحُ عـرْضي في سـفاهك بَيْـنَما
عِـرْضُ الأذلّ الغـرِّ غـير مُبـاح ؟ ..

❖ ❖ ❖

وأشـدُّ مـا ألقـاهُ يـوم رزيئتـي
أنَ أجعـل الهجـو الوجيـع سـلاحي
مِـن قَبْـل يـوم البعْـثِ لِؤْمُـكَ باعِـثٌ
في كُـلِّ يـوم حَامِـل المـصْباح
نَحْـن الملائـك والملـوكُ ، وَحـسْبُنا
بالـشعر تزكيـةٌ ونيْـل وشـاح
يـا محِنَـة الأدب الرفيـع بمعـشر
جعلـوا الـسفاهة آيـة الإفـصاح
لا يـضْدعُ الزَّبـدُ الجُفـاءُ سـفينةً
والبحـرُ طـوْع رغائـب المـلاّح! ...



كامل الشناوي ... وملهمته!
عاشق السراب!

داري غرامي ما بدا لك - داري

أنا بالصبابة هاتك أستاري

هيهات لا أقوى على كتمان

ما باحت به عيناك من أسرار

عيناك حدثنا بما سكرت به

روحي وعربد خمره بوقاري!



كامل الشناوي

كامل الشناوي

شاعر الشك والحرمان

كان كامل الشناوي شاعراً رقيقاً عذباً ، اتسم شعره بالرقة العاطفية والعذوبة ، وهذه الخصائص والسمات كان لها جذور بعيدة ضاربة في النشأة والبيئة والثقافة ، فهو ابن بيئته ، حيث ولد في الدقهلية موطن السحر والجمال والحب والعبقرية .

ولد كامل الشناوي في قرية نوسا البحر ، وهي قريبة من مدينة المنصورة بدلتا مصر في ٧ ديسمبر ١٩٠٨ ، وكان أبوه الشيخ سعيد الشناوي نائب المحكمة الشرعية العليا بمصر ، وكان من مؤيدي الزعيم الوطني مصطفى كامل، ولذا سمي ابنه مصطفى كامل الشناوي تيمناً باسم الزعيم الوطني العظيم !!

وكانت أمه قد نذرت وليدها للأزهر الشريف ، ونسيت الأسرة ذلك ، فعندما شب مصطفى كامل عن الطوق أدخلوه المدرسة الابتدائية ، ولكنه مرض، فتذكروا النذر فأخرجوه من المدرسة الابتدائية وأدخلوه الأزهر .

وفي الأزهر بدأ يتجه إلى قراءة الشعر القديم بنهم وشغف كبيرين ، ولكنه لم يواصل دراسته الأزهرية ، وبدأ يقرأ ما تهفو إليه نفسه من كتب الأدب العربي قديمة وحديثه ، بل بدأ يتعلم اللغة الفرنسية استعداداً للسفر إلى فرنسا لمواصلة دراسته بها ، ولكن الظروف أبت عليه ذلك ، فبدأ يعلم نفسه ، ووجد في مكتبة أبيه الكبيرة زاداً ثقافياً نفيسًا.

وفي مطلع شبابه كان يقطن بمنزل أسرته بجنينة قاميش بحي السيدة زينب بالقاهرة كان يجتمع في حجرته مع مجموعة من شباب الأدباء والمثقفين يتحدثون في أمور الثقافة والأدب والحياة .

ثم بدأ كامل يتصل بالصحافة ، فبدأ عمله الصحفي مصححاً بصحيفة «كوكب الشرق» ، ثم انتقل منها إلى صحيفة «الوادي» والتي كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين ، وعلى صفحاتها بدأ يصول ويجول وينشر أشعاره العاطفية ، وبدأ اسمه يلمع كصحفي قدير وشاعر رقيق، وكاتب متمكن ، ولكن روحه كانت تهفو إلى حب كبير يملأ عليه حياته ويلهم أدبه ..

الحب الأول

كان ذلك في عام ١٩٣٠ ، وكان كامل الشناوي في حوالي العشرين من عمره وكان يستعد للسفر إلى فرنسا ليتعلم في جامعات باريس بعد أن ترك الأزهر بعد عام دراسي واحد .

وبدأ يتعلم كامل الشناوي بمنزل أحد المدرسين للغة الفرنسية وهناك رآها .. كانت فتاة بارعة الجمال رقيقة الملامح تختلط فيها الملامح المصرية والأوروبية ، ليس فيها ما يثير الصخب سوى ذكائها الحاد وجمالها الأكثر حدة .

كانت شقراء في عينيها السوداوين كل الحنان وعلى شفتيها بسمة فيها أمل وبين خصلات شعرها المتهدل تكمن أسرار كأسرار الليل الغامض !!

ووجد فيها كامل الشناوي ضالته المنشودة .

وكان حباً روحياً رائعاً .. علمته أن يحب الموسيقى الغربية وشرحت له أشعار لامارتين بلكنة أجنبية كانت أحب إلى قلب كامل من أرق السيمفونيات .

وأحبها كامل الشناوي بعنف وهام بها .. وألهبت شاعريته .. ونظم فيها أجمل قصائد الحب والغزل ... ولكن لظروف ما افترقا .. وكانت صدمة عنيفة .. وظل يستوحي من مرارة الهجر والفراق معاني لونت شعره بطابع سوداوي حزين قاتم فيه الفرقة واليأس والأسى ..!!

الحيرة والتساؤل

نشأ كامل منذ صغره محروماً شقياً حزيناً .. خاصة الحرمان المعنوي والعاطفي وهو أشد وأقسى.

فقد كان ضخم الجسم قليل الحظ من الجمال والوسامة كان يقابل الحياة بصدر رحب وصفاء نفس فأذاقته الحياة فنوناً من غدرها وتلونها .. وخاض عدة تجارب عاطفية كان نصيبه منها الحرمان والشفاء . ومن العوامل التي جعلته يوغل في الحديث عن الحرمان والألم قراءاته الشعرية الكثيرة لفيلسوف التشاؤم والحزن والحرمان ... «أبو العلا المعري» . فقد كان أول شاعر أثر في شخصيته . وأخذ عنه نزعة التشاؤم كان كامل يسميها نزعة التساؤل .

وقد حاول الدفاع عن اتهامه بالتشاؤم والحيرة فقال : « لا تتهمني بالتشاؤم لأن بعض ألفاظي حزينة ، وبعض تعبيراتي مقطبة الجبين فما دام الموت يتعقب حياتنا وما دمنا لا نعرف من نحن فإن المجانين وحدهم هم الذين يضحكون للحياة ، ويسمون ذلك تفاؤلاً . لست متشائماً ، ولست مجنوناً ، ولكني أحاول أن أكون صادقاً مع ما أشعر به ، وما أفكر فيه .

وكان دائماً يتساءل : لماذا خلقنا ؟ وإلى أين المصير ؟ ولماذا نموت .. ؟ وقد ردد كل هذه المعاني الخالدة في قصائده .. يقول في إحدى قصائده :

أنـــا في الظـــل اصــــطلي	لفحـــة النـــار والهجـــير
وضــــميري يــــشدني	لهـــوى مـــا لـــه مـــصير
وإلى أيـــــن ؟ لا تـــسل	فأنـــا أجهـــل المـــصير

ثم تبلغ ذروة حيرته وتساؤله وشكه فيتساءل «من أنا» ؟

يـا رب فـيم خلقتنـا نهـب الـضباب	فــلا ظـــلام ولا ســـنا
ونـدب فـوق الأرض لا نـدري بهـا	ونـدب فـوق الأرض لا تـدري بنـا
أنـا مـن أنـا ؟ أنـا مـن أكـون ؟	وســــيلة أم غايــــة؟

أنـــا لـــست أعـــرف مـــن أنـــا ؟!

أنا لست أعرف من أنا

وكان يتشاءم من يوم مولده ، وقد نظمها عندما بلغ الخمسين في فترة كان يمر فيها بأزمة نفسية حادة ، فقد كان في ذلك اليوم وحيداً بلا صديق وقد بدأ

يشعر أن الشيب يغزو قلبه ، وقد أصيب بصدمة عاطفية فأحس بأنه ضائع في الطريق الطويل الذي لا يعرف له بداية أو نهاية وهو طريق الحياة .

شاعر الشك والحطام

وكان كامل الشناوي كثير الشك والقلق بسبب أحزانه الروحية وإحساسه الحاد بالغربة الروحية والوحشة الطويلة ..

وقد تجلت فلسفة الشك عنده في تجاربه مع المرأة . حتى أنه رفض الزواج وكان يردد دائماً قول أبي العلاء :

هـذا جنـاه أبي عـليّ   ومـا جنيـتُ عـلى أحـد

وقد سئل عن ذلك مرة فقال : أنا مشكلة وليس من المعقول أن أتزوج وأتسبب في خلق إنسان مني فكأنني بدلاً من أحل مشكلة نفسي .. ألد للدنيا مشكلة جديدة ..!

وبعد أن فاته سن الزواج كان يردد بأسي وحزن قول الشاعر القديم :

فلـو سـمح الزمـان بهـا لـضنت   ولـو سـمحت لـضن بهـا الزمـان

لقد كانت له تجارب عميقة في دنيا الحب والعشق .. وخبر غدر المرأة وتلونها .. ولم تستطع أعصابه تحمل صدمات الخيانة والغدر من المرأة .. فملأ الدنيا شكوى وأنيناً وصراخاً ، يدين المرأة. ويكشف غدرها وخيانتها .. فهو حين يكتشف خيانة محبوبته يحذر الرجل الآخر في حياتها من غدرها ويحرضه على الثورة عليها والتمرد على حبها والابتعاد عنها لأنه ليس الوحيد في سجلها فهو ما زال يلقاها رغم غدرها :

حبيبهـا لـستُ وحـدك   حبيبهـا أنـا قبلـك
وربـما جئـتُ بعـدك   وربـما كنـتُ مثلـك
فلـم أزل ألقاهـا   وتـستبيح خـداعي
بلهفـة في اللقـاء   برجفـة في الـوداع
حبيبهـا وروت لي   مـا كـان منـك ومنهم

فهـــم كثـــير ولكــــن لا شيء نعــــرف عـــــنهم

ولكنه رغم فزعه من الغدر والخديعة ما زال قلبه يهفو للجمال ويتغلب قلبه على عقله فيثور ثورة الضعيف المستسلم الذي لا يستطيع فكاكاً من أسر الهوى وشباك الصبابة حتى أنه يخلق الأعذار لتفسير هذا الضعف وهذه الاستكانة :

ســـألت قلبـــي فأصـــغي وقـــال : لا لـــن تراهـــا
وقـــال قلبـــي : أراهـــا ولـــن أحـــب ســـواها
مـا أنـت يـا قلـب ؟ قـل لي: أأنـــت لعنـــة حبـــي ؟
أأنـــــت نقمـــــة ربي إلى متـــى أنـــت قلبـــي؟

ويبلغ به تحميل قلبه كل الأسباب لضعفه واستكانته واستسلامه حتى أنه يذكر أن قلبه إنما هو قلب هذه المخادعة :

أنـــت قلبـــي فـــلا تخـــف وأجـــب هـــل تحبهـــا ؟
وإلى الآن لم يـــــــــزل نابـــضاً فيـــك حبهـــا
لـــست قلبـــي أنـــا إذن إنـــما أنـــت قلبهـــا

ويمضي فيقيم محكمة لقلبه يسأله لم ضعفه واستسلامه ثم يدينه ويتهمه بأنه خنجر في ضلوعه يعذبه ويضنيه !

كيـــف يـــا قلـــب ترتـــضى طعنـــة الغـــدر في خـــشوع
وتـــــداري جحودهـــــا في رداء مـــــن الـــــدموع
لـــست قلبـــي .. وإنـــما خنجـــر أنـــت في الـــضلوع

ثم يهيب بقلبه أن يتمرد عليها لأنه أصبح من الهوان والألم من محبوبته ما يجعله يلفظها بعيداً، بعد أن طعنته وألقت به من القمة إلى السفح ...!

أو تـــدري بـــما جـــرى .. ؟ أو تـــدري ؟ دمـــي جـــرى
جـــذبتني مـــن الـــذرى ورمـــــت بي إلى الثـــرى
أخـــــذت يقظتـــــي ولم تعطنـــي هـــدأة الكـــرى

ثم يعود مرة أخرى إلى تبرير ضعفه وهوانه واستسلامه لحبها .

وقد مر شاعرنا بعدة تجارب عاطفية وقد خرج منها بحيرة نفسه وعذاب قلبه وخيبة آماله .. ومن الغريب أن وجوه الشبه كانت فيها جميعاً متقاربة .. في بداية وفي لحظات التحاب وفي نهاية الحب أيضاً .

ولكن كانت له تجربة يمكن تسميتها بالحب الكبير في حياته .. وبالرغم من اختلاف الأوتار في هذا الحب إلا أنه ظل يطارده حتى آخر نسمة في حياته رغم اكتشافه أنها قد خدعته وغدرت به ومزقت قلبه أشلاء . كانت هذه الممثلة حبه الكبير ، أما الأخريات فكن مجرد ملهمات يوحين إليه بأجمل الشعر وأرق النغم .

وكانت صدمة عمره اكتشاف غدرها وخداعها وسجل هذه التجربة القاسية في قصيدته «لا تكذبي» التي تدينها وتكشف زيفها .

لا تكذبي .. إني رأيتكما معاً ودعي البكاء ، فقد كرهت الأدمعا
ما أهون الدمع الجسور إذا جرى من عين كاذبة فأنكر وادعى

ويحاول أن يبدو أمامها أنه سلاها وأنه برغم ذلك قوى ومصمم على الفراق، فيبتهج لأنها كانت قيداً وكانت ذنباً ، وعندما اكتشف غدرها تحطم قيده وغفر الله له هذا الذنب بعد فراقها:

فرأيتُ أنك كنت لي قيداً حرصتُ العمر ألا أكسره
ورأيت أنك كنت لي ذنباً سألت الله ألا يغفره فغفرته ..!

ثم يطمئن نفسه بأنه قد صنعها من هواه ومن جنونه ، أما الآن فقد شفى من هذا الهوى وهذا الجنون :

كوني كما تبغين لكن لن تكوني!
فأنا صنعتك من هواي، ومن جنوني! ولقد برئت من الهوى ومن الجنون

وقد كان كامل الشناوي مشركاً في الحب .. خاض أكثر من تجربة وأحب أكثر من ملهمة وصدم أكثر من مرة .

وقد أتاح الشك في الحب لشاعرنا فرصة التغلغل في دراسة أهواء المرأة وأحلامها وفهم نفسيتها وطباعها المتقبلة وصدم بأكثر من تجربة اكتشف فيها

غدر المرأة وخداعها فتحول شعره إلى قيثارة ترجع أناته الحزينة وأحلامه المصدومة .. يبكي فيها مصارع حبه وغدر من أحبهن وأخلص لهن الود والوفاء.

وكانت قمة تجاربه «حبه الكبير» الذي ظل يبادلها عاطفة الحب سنوات طويلة ثم صدم عندما رأى دليل غدرها وخداعها !

وقد ظل يحبها رغم غدرها وتلونها وظلت هي الحب الكبير في حياته . وقد علل صالح جودت هذه الظاهرة في حياة الكثير من الأدباء العشاق تعليلاً صادقاً .. فقال :

« هناك سمة نجدها في حياة كثير من الشعراء يكون في حياتهم حب كبير ، ولا يمنعهم هذا من استلهام الجمال حيث وجد ، ولكنهم يجدون في كل جمال صورة غير محسوسة من المنبع الأصيل الذي حرك أحاسيسهم .

شك ضباب حطام

ومن نتاج هذه التجارب العنيفة أصبح كامل الشناوي شظايا وحطاماً ..

آه منهــــــــــــــــا ... أنـــــــا لم أدرك مـــــــداها
آه منــــــــــــــــي هــــي لم تـــــدرك مـــــدايا
حطمتنـــــي مـــثلما حطمتهــــا فهــي مني وأنــا منهــا شــظايا

ولا يرى أمامه بعد صدمته فيمن يحب إلا ظلال الشك وأطياف الضباب وحطام قلبه ويصبح كريشة تمزقها وتعصف بها الرياح والأشواك ..

كهــــارب لــــيس يــــدري مـــن أيـــن أو أيـــن يمـــضي
شـــك ضـــباب حطـــام بعـــضي يمـــزق بعـــضي

وتبلغ به ذروة يأسه وأحزانه فيرى أن حياته أصبحت بلا معنى وبلا لون وبلا طعم ولا أحاسيس وبلا مشاعر :

أيــن يــأسي .. ؟ لقـــد مـــضى ومـــضت مثلـــه المنـــى

فحيـــاتي كـــما تــرى لا ظـــلام ولا ســـنا
كـــل مـــا كـــان لم يكـــن وأنــــا لم أعــــد أنــــا

ورغم ما عاناه في تجاربه إلا أن قلبه ظل يخفق للحب ويغرد للجمال .

أيهـــا اللائمـــون قلبـــي عـــلى الحـــب
رويـــــــــــداً فــــما عـــسى تبتغونـــــا؟
أســـلوا عـــن الجـــمال وقلباً عاش للحسن عاشقاً مفتوناً

ولكنه رغم ذلك يحاول أن يضع كرامته فوق الحب ويرغم قلبه على النأي عمن يحب بعيداً عن أغلال العبودية وقيود الهوى .

علام يا قلب تشكو

نقض الحبيب عهوده

دع الهوان وحطم أغلاله وقيوده

ثم يستنزل عليها سخطه وغضبه فيقول :

كـــوني الجحـــيم ســـعيراً فلـــن أكـــون وقـــوده!!

طعنة الغدر

ومن مفارقات القدر الساحرة التي أدمت قلب شاعرنا الرقيق تلك القصة الطريفة التي تمتزج فيها الطرافة بالسخرية المرة المبكية .. عندما اكتشف شاعرنا خيانة ملهمته المطربة الشهيرة التي طالما سهر وتعذب في حبه وحرمانه من أجلها واستلهم منها أجمل قصائد الحب والغزل وكان يسميها «مينيون» وهي كلمة فرنسية تعني الشيء الصغير الضئيل الحجم ، وكانت تلك الملهمة رقيقة الملامح ضئيلة الحجم . رفع سماعة الهاتف ليسمعها قصيدته الجديدة « لا تكذبي» التي كتبها بدموع قلبه بعد اكتشافه خيانتها له .. ويبدأ يقرأ قصيدته عبر أسلاك الهاتف ولم يستطع أن يتماسك للنهاية فاختنق صوته بالبكاء وارتفع نشيج قلبه وهو يقول لها :

إني رأيـــــــــــتكما	إني ســـــــــــمعتكما
عينـــــــاك في عينيــــــه	في شـــــفتيه في كفيــــه
ويـــــــداك ضـــــارعتان	مـــــن لهـــف عليـــه !

وبعد أن انتهى من قراءة القصيدة انفجرت شحنة انفعالات في موجة من الدموع الصاخبة. وسألها ما رأيك في القصيدة : أجابت بكل بساطة وبدلال الحسناوات : رائعة .. ما رأيك في أن أغنيها؟!!



ثم مضت رحلة شاعر الشك والحرمان مع المرض والليل والقلم والمرأة تتفاوت بين مد وجزر فهو لا يخشى إلا سكرات الموت أو سكرات الحياة .

« أستطيع أن أعاني الشقاء والعذاب والمرض.. ليس في الدنيا ما أخرج منه إلا اللحظة التي أعاني فيها سكرات الموت .. أو سكرات الحياة » .

ثم يدعو ملهمته إلى اللقاء « ليس في حياتنا ماض ومستقبل .. حياتنا فترة واحدة هي الماضي.. الأمس مضى واليوم يمضي والغد سيمضي » !

وقد تغنى بشعر كامل الشناوي كبار المطربين العرب : محمد عبد الوهاب ، أم كلثوم ، عبد الحليم حافظ ، فريد الأطرش ، نجاة الصغيرة .. حيث إن موسيقى شعره الوجداني برقته وصدقه جعلت لشعره عذوبة خاصة . وعمقاً مؤثراً في وجدان المستمع العربي .

وأخيراً خبت الشعلة وانتهت قصة كامل الشناوي مع المرض والليل والقلم والمرأة في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٥ بعد أن قدم ذوب قلبه وأعصابه وروحه في كتاباته من وحي تجاربه المخففة في عالم الحب والحرمان .

حيث انتهت رحلة شاعر الشك والحرمان كامل الشناوي مع الحياة ، ليبقى شعره صفحة مضيئة مشرقة خالدة في سجل الشعر العربي المعاصر !!



أحلى قصائد
كامل الشناوي العاطفية

وردتي

يا وردةً لم يَزَلْ في جوِّنا أثَرٌ

.. من نَفْحِها

.. آهِ لَوْ عادَتْ لياليكِ

ذَكَرْتُ بَعْدِك أيامي التي سَلَفَتْ

.. فاشْتَقْتُها

.. غيرَ يومٍ خانني فِيكِ :

يومَ افترقنا

.. على أنّي أراكِ غَداً

.. فلم أجد في غدي إلاّ تَنائِيكِ !!

لولا إِبائي ، ولولا أنّني رَجُلٌ

.. لحَدَّثَتْكِ الليالي : كيْفَ أبكيكِ .!

❖ ❖ ❖

عيناك

عَيْنَاكِ، عَيْنَاكِ

نامَتْ في جُفُونِهِمَا مَفَاتِنُ

أيقظَتْ لَيلى وأعْصابي!!

أَصُدُّ عنها بِعَيْنٍ غير صادِقةٍ

وبيْنَ جَنْبَيَّ

قلبٌ غيرُ كذَّابِ!!

❖ ❖ ❖

يا كبريائي ..

لقد كلفتِني خطراً

.. فيه المَنَايَا مُطِلاَّتٌ بأنيابِ !!

تَمَرَّدَ الليلُ

لا أغفو بِهِ أبَداً

حتى أرَى الفجر مسفوحاً على بابي !!



حبيبها

حَبيبَهـــا ، لَــسْتَ وَحْـــدَكْ حبيبَهـــا .. أنـــا قَبْلَــكْ !!
وَرُبَّـــمَا جِئْـــتُ بعـــدَكْ وَرُبَّـــما كُنْـــتُ مثْلَــكْ !!

❖ ❖ ❖

فَلَـــــمْ أَزَلْ ألقاهـــــا وَتَـــسْتبيحُ خِـــدَاعي
بِلَهْفَـــــــة في اللقــــاءِ بِرَجْفَـــــةٍ في الـــوَداع

❖ ❖ ❖

بدمعـــــة لَـــيْسَ فيهــــا كالــدَّمْع .. إلا البريـــقْ !!
برعـــشة هـــي نـــبْضٌ .. نَـــبْضٌ بِغَـــيْرِ عـــروقْ !!

❖ ❖ ❖

حَبِيبَهـــــــــا ، وَرَوَتْ لي مـــا كــان منْــكَ وَمِـــنْهُمْ!!
فَهُـــمْ كثـــيرٌ .. ولكـــن لاَ شَيءَ نَعْـــرِفُ عـــنْهُمْ!

❖ ❖ ❖

وعـــانَقَتْني ، وأَلْقَـــتْ بِرَأْسِـــها فَـــوْقَ كِتْفِـــي
تَباعـــــدت وَتَـــدانَتْ كَإِصْـــبَعَيْنِ بِكفِّـــي!

❖ ❖ ❖

ويَحْفُـــرُ الحُـــبُّ قَلْبـــي بالنـــار ، بالـــسِّكِّينْ
وَهَـــاتفٌ يَهْتِـــفُ بي : حَـــذَارِ يـــا مـــسكينْ!

❖ ❖ ❖

وسِرْتُ وَحْـــدي شريـــداً مُحَطّـــمَ الخُطُـــواتِ
تَهُـــزُّني أَنْفَـــاسي تُخِيفُنـــي لَفَتـــاتي!!

❖ ❖ ❖

كَهَـــاربٍ لـــيْسَ يـــدري مـــن أيْـــنَ ، أو أيْـــنَ يَمْـــضي؟
شَـــكٌ ! ضَـــبابٌ ! حُطَـــامٌ ! بَعْـــضِي يُمَـــزِّقُ بعـــضي!!

❖ ❖ ❖

سَـــألْتُ عَقْـــلي فَأصْـــغَى وقَـــالَ : لا ، لَـــنْ تَراهـــا
وقـــالَ قلبـــي : أراهـــا !! ولـــن أحِـــبَّ ســـواها!!

❖ ❖ ❖

مـــا أنْـــتَ يـــا قَلْـــبُ ؟ قـــل لي : أأنْـــتَ لَعْنَـــةُ حُبِّـــي؟!
أأنْـــــتَ نِقْمَـــــةُ ربِّي؟! إلى مَتَـــى أنْـــت قلْبـــي ؟!

❖ ❖ ❖

لست قلبي

أنْـــت قَلْبـــي ، فـــلا تَخَـــفْ .. وأجِـــبْ : هـــل تُحِبُّهـــا ؟
وإلى الآن لم يَـــــــــــزَلْ نابـــضاً فيـــكَ حُبُّهـــا ؟
لـــسْتَ قلبـــي أنـــا إذَنْ !! إنـــما أنـــتَ قَلْبُهـــا !!

❖ ❖ ❖

كيـــفَ يـــا قَلـــبُ تَرْتَـــضِي طعْنَـــةَ الغَـــدْرِ في خُـــشوعْ ؟
وتـــــداري جُحُودَهـــــا في رِداءٍ مـــــن الـــدموعْ ؟
لـــسْتَ قلبـــي .. وإنـــما خِنجـــرٌ أنْـــتَ في الـــضلوعْ !!

❖ ❖ ❖

أو تَـــدْري بَـــما جَـــرَى ؟ أو تـــدري ؟ دَمِـــي جَـــرَى ..
.. جَـــذَبَتني مـــن الـــذُّرَى وَرَمَـــتْ بي إلى الثَّـــرى !!
أخَـــذَتْ يَقْظتـــي ، ولَمْ .. تُعْطِنـــي هَـــذْأةَ الكَـــرَى !!

❖ ❖ ❖

قَـــدَرٌ أحْمَــــقُ الخُطـــا ... سَـــحَقَتْ هَـــامَتي خُطَــاهْ
دمْعَتـــــي ذابَ جَفنُهـــــا !! ... بَـــسْمتي مالهـــا شـــفاهْ!!
صـــحوةُ المــوتِ مـــا أرى ؟! ... أمْ أرى غَفـــوةَ الحيـــاةْ ؟!

❖ ❖ ❖

أيْـــنَ يـــأسي ؟ لقـــد مـــضى ... ومـــضت مِثلَـــهُ المُنـــى
فحيــــاتي كـــما تـــرى : ... لا ظـــلامٌ ولا سَـــنَا !!
كـــلّ مـــا كـــان لم يَكُـــنْ ... وأنـــا لم أعُـــدْ أنـــا !!

❖ ❖ ❖

أنـــا في الظـــل أصْـــطَلِي ... لَفْحَـــةَ النـــار والهجـــيرْ
وضـــــميري يَـــــشدُّني ... لِهَـــوىً مالَـــهُ ضـــميرْ !
وإلى أيْـــــنَ ؟ لا تَـــــسلْ ... فأنـــا أجْهَـــلُ المـــصيرْ !

❖ ❖ ❖

دَمَّرَتنـــــي لأنّنـــــي ... كُنْـــتُ -يومـــاً- أحِبُّهـــا
وإلى الآنَ لم يَـــــــزَلْ ... نَابــضاً فيــكَ حُبُّهـــا ؟!
لَـــسْتَ قلبـــي أنـــا إذنْ !! ... إنّـــما أنْـــتَ قَلْبُهـــا !!



لست أشكو

لستُ أشكو مِنْك

.. فالشكوى عذابُ الأَبرياءْ !!

وَهْيَ قيْدٌ تَرْسُفُ العِزَّةُ فيه والإِباءْ !!

أنا لا أشكو

.. ففي الشكوى انحناءْ !!

وأنا نبضُ عروقي كبرياءْ !!

❖ ❖ ❖

لستُ أشكو فاستمعْ لي وأجبْني

.. رُبَّما أسْمَعُ ما يُدنيكِ مِنّي

رُبَّما أسْمَعُ ما يُقْصيكَ عنّي !!

كلُّ ما عِندي سؤَالٌ يتَرَدَّدْ

وَظنونٌ - يا حبيبي - تتجدَّدْ

❖ ❖ ❖

كُنْتُ ألقاكَ على البُعْدِ

فألقى فيكَ أحلامي ورُوحي !!

صِرْتَ في قُربي ولا ألقاكَ

.. لا ألقاكَ إلاّ في جروحي !!

❖ ❖ ❖

أنتَ عيني وأنا عينُكَ قلْ ليَ :

ما الذي أَغْمَضَ عيني ؟

.. ما الذي أَغمضَ عيْنَكْ ؟

فغدا القُرْبُ سِتاراً

... يا حبيبي بَلْ جداراً

... حائلاً بيني وبيْنكْ ؟!

يا حبيبي ، كان حبي

لكَ حرّاً وجريئاً

.. يَتَحَدَّى الويْلَ أن يأْتي

.. فيخشى أن يجيئا

مُسْرعَ الخُطْوةِ كالظُّلْمِ

.. وكالعدْلِ بطيئاً !!

.. نابضاً في القلبِ كالذَّنْبِ

.. وإِنْ كانَ بريئاً !!

جُرْأتي راحَتْ ولا أَعْرِفُ أَينْ ؟

بَسْمَتي ضاعَتْ ودَمْعِي بَيْنَ بَيْنْ!

.. الهوى خجلانُ دامي الوَجْنتين !

وحنيني لكَ مكتوفُ اليدينْ !

أنا لا أشكو

.. ففي الشكوى انحناءْ

.. وأنا نبضُ عروقي كبرياءْ !

الخطايا

زَعَموا حُبِّيَ ـ يا قلبُ ـ خطَايا !!

لم يُطهِّرْها من الإثمِ بُكايا!!

والخطايا مالها من غافرٍ

فترفَّق، وتمَهَّل

في الخطايا ..

◆ ◆ ◆

حَسْبُنَا ما كانَ

وأهدأْ .. هاهُنَا

في ضلوعي

واحتَبِس خلف الحنايا!

لا تُثِرْ لي ذِكرياتي

إنها شيَّبتني ..

.. شَيَّبَتْ حتى صِبايا !

◆ ◆ ◆

ذكرياتٌ رَسَفَتْ في أدْمُعي

وشُجُوني

وتمَشَّتْ في دِمَايا !!

ذكرياتٌ حَطَّمَتْني

ذكرياتٌ لم تدعْ من أَجَلِي إلاَّ بقايا !!

❖ ❖ ❖

أنا لا أَعرف حدّاً لِهَواها !

أنا لا أَعرف حَدّاً لِهَوايا !!

.. كم يُريني النَوْمُ منها عَجَباً !

... فتنةً يَقْظَى

ورُوحاً ، وسَجايا !!

ضَمها صدْرِي

ومسَّتْ شَعْرَها .. راحتِي

.. وارتَشَفَتْها شفتايا !!

وعليها مِنْ ذِراعيَّ وِثَاقٌ

شَدَّهُ قلبي

وأَرْخَتْهُ يَدَايا !!

فإذا ما نَفَضتْ عيني الكَرى

لم أَجِدْ بَيْنَ ذراعيَّ سِوايا !!

❖ ❖ ❖

آهِ من نومي

ومن صَحْوِي

ومن ساعةٍ تُعْلِنُ أَو تُخْفِي أسايا !!

آهِ منها

.. أنا لم أُدْرِكْ مَداها !

آهِ مِنِّي

.. هي لم تُدْرِكْ مَدَايا !!

حَطَّمَتْني مِثْلَما حَطَّمتُها

.. فهي مِنِّي .. وأنا منها .. شظايا !!

❖ ❖ ❖

لا ، وعينيك !

لا - وعينيكِ - يا حبيبةَ روحي

.. لم أَعُدْ فيكِ هائماً

.. فاستريحي !

سَكَنَتْ ثورتي

فَصار سواءً

.. أَنْ تَلِينِي

أو تجْنَحِي للجُمُوحِ!

وَاهْتَدَتْ حيرتي

.. فَسِيَّانِ عندي :

أَن تَبوحي بالحب أو لا تَبوحي !

وخيالي الذي سما بك يوماً

.. يَالَهُ اليومَ من خيالٍ كسيحٍ !!

والفؤاد الذي سكنتِ الحنَايَا

منه .. أودعتُه مهبَّ الريحِ !

❖ ❖ ❖

لا ... وَعَيْنَيْكِ

.. ما سَلَوْتُكِ عمري

فاستريحي !!

وحاذري أن تُريحي !!

❖ ❖ ❖

الحسن الثرثار!

دارِي غرامي - ما بدا لكِ - داري

أنا بالصبابة هاتكٌ أستاري !

هيهاتَ .. لا أقوى

على كتمانِ

ما باحتْ بعه عيناكِ من أسرارِ !!

.. عَيناكِ حدَّثنا

بما سَكِرتْ به روحي

.. وعَرْبد خمره بوقاري !!

❖ ❖ ❖

وإذا سَكَتُّ عن الهوى وحديثِه

.. كيفَ السكوتُ لحُسْنِكِ الثرثارِ ؟!

يا فتنة هَدَتْ الفؤادَ .. إلى هوًى

حُلْوِ العذابِ مُطَهِّرِ الأَوْزارِ !!

❖ ❖ ❖

أفديكِ راضيةً

.. فقلبي فَرْحَةٌ نَشْوَى

... وأحلامُ الصِّبَا سُمَّاري !!

أفديكِ غاضبةً

... ولو لم تغفري

.. أنكرتُ ليلي واتَّهمتُ نهاري !!

أفديك صامتةً

يَضِجُّ بِحُبِّها قلبي

... وتهمِسُ حولَها أفكاري !!

أفديكِ شادية

... فصوتكِ فتنةٌ قَهَّارةٌ

.. كجمالك القَهَّارِ !!

.. تَتَرَنَّحُ الأَلفاظُ في شفتيكِ

.. سَكْرَى مِنْهُمَا!

وتفوحُ كالأزهارِ !!

ولها بسمعي مِثْلُ أصداءِ المُنَى

ولها بقلبي مِثْلُ لَذْعِ النار !!

❖ ❖ ❖

لا تكذبي

لا تكذبي ..

إني رأيتُكُما معًا ..

ودعي البكاءَ ..

فقد كرِهْتُ الأَدْمُعا

ما أهونَ الدمعَ الجسورَ إذْ جرى ..

من عينٍ كاذبةٍ

فأنكر وادَّعَى !!

❖ ❖ ❖

إني رأيتُكما

إني سمعتكما

عيناكِ في عينيهِ

في شفتيهِ

في كفَّيهِ

في قدميهِ

ويداكِ ضارعتانِ

ترتعِشانِ من لَهَفٍ عَلَيْهِ !!

تتحَدَّيانِ الشوقَ بالقُبُلاتِ

تَلْذَعُني بسوطٍ من لهيبٍ !!

بالهمسِ ، بالآهاتِ ، والنظراتِ ،

باللّفَتَاتِ ، بالصَّمْتِ الرهيبِ !!

ويَشُبُّ في قلبي حَريقْ

ويضيعُ مِنْ قَدَمي الطريقْ

وتُطِلُّ مِنْ رأسي الظنونُ تلومني

وتَشُدُّ أُذْنِي!!

... فَلَطَالما بارَكْتُ كِذْبَكِ كُلَّهُ

وَلَعَنْتُ ظَنِّي !!

❖❖❖

ماذا أقولُ لأَدْمُعٍ سَفَحَتْها أشواقي إليكِ ؟

ماذا أقولُ لأَضْلُعٍ مَزَّقْتُها خوفاً عليكِ ؟

أأقولُ هَانَتْ ؟

أأقولُ خانَتْ ؟

أأقولها ؟

لوْ قُلْتها أشْفِي غليلي !!

يا ويلتي ..

لا ، لَنْ أقولَ أنا ، فقولي ..

❖ ❖ ❖

لا تَخْجَلِي ..

لا تَفْزَعِي مِنِّي

فَلَسْتُ بِثَائِرٍ ..!!

أَنْقَذْتِنِي

مِنْ زَيْفِ أحلامي وغَدْرِ مَشَاعِرِي ...!!

❖ ❖ ❖

فَرأَيتُ أنَّكِ كُنْتِ لي قَيْداً

حَرَصْتُ العُمْر ألاَّ أكْسَرَهْ

فَكَسَرْتِهِ !

ورأَيْتُ أنَّك كُنْتِ لي ذَنْباً

سَأَلْتُ الله ألاَّ يَغْفِرَهْ

فَغَفَرْتِهِ !

❖ ❖ ❖

كوني كما تَبْغِينَ

لكنْ لن تكوني ..!!

فأنا صَنَعْتُكِ من هَوَايَ ، ومن جنوني ..!!

ولَقَدْ بَرِئْتُ مِنَ الهوى ومن الجُنُونِ ..!!



نزار قباني «وبلقيس»!
مصرع الأحلام!

مقدورك أن تمشي أبداً

في الحب على حد الخنجر

وتظل وحيداً كالأصداف

وتظل حزيناً كالصفصاف

مقدورك أن تمضي أبداً

في بحر الحب بغير قلوع

وتحب ملايين المرات

وترجع كالملك المخلوع



نزار قباني

شهريار الشعر العربي

حظي نزار قباني بشهرة واسعة في منطقتنا العربية على مدى أكثر من نصف قرن (١٩٤٤ـ١٩٩٨) منذ أصدر ديوانه الأول «قالت لي السمراء» (١٩٤٤) حتى رحيله عن الحياة، وذلك من خلال شعره القومي والعاطفي ، حيث ظل يعزف على قيثارته أقوى أناشيد التمرد والمقاومة والثورة مع أحلى أنغام الحب والهوى والجمال .

واستطاع بقاموسه الشعري الآسر أن يجذب إليه الناس شباباً وشيوخاً بشعره السلس وجرأته وصراحته في التعبير عن أفكاره وقناعاته وآرائه وظل متمسكاً بمواقفه السياسية وأفكاره العاطفية حتى آخر نسمة في حياته ، رغم أنه كان يعرف منذ بدأ كتابة الشعر أن أصابعه سوف تحترق ، وثيابه سوف تتمزق ، وسمعته سوف تلوث ، وأن شعره العاصف المقتحم ليس نزهة في ضوء القمر !

ومنذ دخل نزار غابة الشعر ، كان يعرف أن رحلته المثيرة في عالم المرأة وفي عالم السياسة العربية سوف تكون انتحارية وأنه قد يعود إلى بيته ، وقد لا يعود !

ولأن عالم نزار الشعري متسع ومتشعب الجوانب بين السياسة والعاطفة والوجدان ، فإنني سأختار محوراً مختلفاً هذه المرة .. لن أتناول الحب والجنس في شعره ودفاعه الحار عن حرية المرأة ، ولن أتناول شعره السياسي التصادمي ومواقفه السياسية في القضايا العربية القومية لكنني سأتناول محوراً آخر هو : هل كان نزار قباني حقاً هو شهريار العصر وأن حياته كانت سلسلة من المغامرات العاطفية والجنسية العاصفة التي لا تنتهي ؟

وهل أحب نزار حقاً ، وكانت حياته سيمفونية من الحب والعشق والهوى مع مختلف النساء والملهمات من الشرق والغرب حتى أطلق عليه لقب «شاعر المرأة» ؟

بعد أن قرأت كل شعر نزار والعديد من الدراسات الأدبية عن حياته وشعره ومعظم حواراته الصحفية وكتاباته النثرية فضلاً عن معرفتي به منذ عام ١٩٦٨ عن طريق المراسلة ثم لقائي به عدة مرات ، فالتقيت به أثناء الاحتفال بذكرى الزعيم الخالد جمال عبد الناصر في يناير ١٩٧١ بمبنى الاتحاد الاشتراكي على كورنيش نيل القاهرة حيث ألقى قصيدته :

زمانــك بــستان وعــصرك أخــضر وذكــراك عــصفور في القلــب ينقــر

ثم التقيت به في مبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة للاحتفال بذكرى عميد الأدب العربي طه حسين في شتاء عام ١٩٧٤ والتي ألقى فيها قصيدته «حوار ثوري مع طه حسين» والتي قال في مطلعها:

لــست أدري مــن أيــن أبــدأ بــوحي شــجر الــدمع شــاخ في أجفــاني

وهي القصيدة التي أثار فيها الأشجان حول دور مصر القومي وتضحياتها من أجل القضايا العربية .

ثم كان لقائي الأخير معه في نوفمبر ١٩٩٣ أثناء عملي كمدير لتحرير مجلة السراج العمانية حيث أجريت معه حواراً مطولاً بفندق الخليج أثناء زيارته الوحيدة لسلطنة عمان ونشرته بالمجلة في عدد يناير ١٩٩٤ .

عدا لقاءات متفرقة أثناء زياراته للقاهرة فضلاً عن متابعتي لأخباره وحواراته وقصائده بعد أن اختار منفاه الاختياري في لندن وبدء مرحلة جديدة في حياته وشعره أكثر عمقاً وحدة في تأمل أحوال العرب ونقده العنيف والذي تمثل ذروته في قصيدته المثيرة للجدل «متى يعلنون وفاة العرب»؟ انتابني إحساس أن هذا الشاعر الحساس المتمرِّد قد أصبح تائها في عاصمة الضباب بعيداً عن عشه وملاذه العربي حتى فوجئت برحيله عن الحياة في أحد

مستشفياتها في ٣٠ من أبريل ١٩٩٨، ولذلك فمن خلال حصيلة قراءاتي لِنزار وعنه ولقاءاتي العديدة به أستطيع أن أقدم هنا رؤيتي الخاصة عن أسطورة نزار العاشق المغامر أو شهريار العصر كما تقول قصائده العاطفية الهامسة أو الصاخبة منها .

هل أحب نزار ؟

منذ ديوانه الأول « قالت لي السمراء » (١٩٤٤) قدم لنا نزار خريطة قلبه (شعري أنا قلبي.. ويظلمني من لا يرى قلبي على الورق) وأظهر لنا عشقه للمرأة والجنس :

بأعراقي الحمر امرأة	تسير معي في مطاوي الردى
تفح .. وتنفخ في أعظمي	فتجعل من رئتي موقدا
هو الجنس أحمل في جوهري	هيولاه من شاطئ المبتدا
بتركيب جسمي جوع يحن	لآخر .. جوع يمد اليدا

كما أظهر نرجسيته المفرطة واعتزازه بذاته كشاعر وعاشق :

جمالك مني .. فلولاي لم تك	شيئاً ... ولولاي لن توجدا

فهو يعلن عن طبيعة حبه المغامر الذي يكسر الأبعاد ويشعل النيران ويحطم الأسوار منذ اللحظة الأولى :

أحبك .. لا أدري حدود محبتي	طباعي أعاصير وعاطفتي سيل
أنا ما أنا .. فلتقبليني مغامرا	تجارته الأشباح ، والوهم ، والليل

ورغم تنقل نزار من زهرة إلى زهرة ومن هوى إلى هوى كان يحلم بالمرأة المستحيلة :

أريدك .. أعرف أني أريد المحال

وأنك فوق ادعاء الخيال

وفوق الحيازة ، فوق النوال

وأطيب ما في الطيوب

وأجمل ما في الجمال

ومنذ ديوانه الأول حتى ديوانه الأخير ظل ممزقاً بين مغامراته في بحر الهوى وحلمه البعيد بالمرأة المستحيلة :

أريدك : أعلم أن النجوم أروم

ودون هوانا تقوم تخوم

وما بين الجنة والنار ، وبين بئر الهوى ، ونبع الصفاء تمزق شاعر المرأة وتناثرت شظاياه ، بعد أن اكتشف أن كل مغامراته النسائية وانغماسه في عشرات التجارب لم تملأ قلبه ووجدانه ولم تسعد روحه ، وعرف أنه رغم إبحاره الطويل في دوامات الحب الحسي على مدى نصف قرن منذ ديوانه الأول قالت لي السمراء (١٩٤٤) ثم طفولة نهد (١٩٤٨) وأنت لي (١٩٥٠) وقصائد (١٩٥٦) وحبيبتي (١٩٦١) والرسم بالكلمات (١٩٦٦) وقصائد متوحشة (١٩٧٠) وكتاب الحب (١٩٧٠) حتى دواوينه الأخيرة أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء (١٩٩٣) وخمسون عاماً في مديح النساء (١٩٩٤) وتنويعات نزارية على مقام العشق (١٩٩٦) تراوحت حياة نزار بين الحب وعشق الذات ومحاولة البحث عن المرأة المستحيلة المجهولة علها تملأ خواء روحه ، وتسعد قلبه ، وتفعم كيانه بالحب والبهجة والأمل بعد أن أضناه التطواف في بحار الهوى الصاخبة التي لا تروي قلبه الظامئ وروحه الخاوية .. عندئذ تذكر مأساة الملك شهريار الذي قتله الملل والخواء رغم ليالي الأنس والطرب مع أحلى الجواري في بلاطه المترف ، فأثار ذلك أشجانه ودموعه:

لا أحد يفهمني ... لا أحد يفهم مأساة شهريار .

حين يصير الجنس في حياتنا نوعاً من الفرار

بخوراً نشمه في الليل والنهار

ودهش محبوه لملل وحيرة العاشق المغامر الذي امتلأت حياته بالنساء الملهيات والعاشقات بعد أن أصبح بوصلة جذب لوسامته وشهرته الواسعة - ومكانته الرفيعة حتى صديقته لم تفهم سر أحزانه وحيرته وملله، فخاطبها قائلاً:

لن تفهميني أبداً .. لن تفهمي أحزان شهريار

فحين ألف امرأة ينمن في جواري

أحس أن لا أحد ينام في جواري

هنا تزداد حيرة الشاعر، وإحساسه بالحزن والمرارة والغربة الروحية رغم أنه شرب حتى الثمالة من بحار تجارب الحب والهوى، ورغم أنه عرف ألف امرأة وامرأة لكنه أبداً لم يجد الحبيبة المنشودة، فطرق كل الأبواب، وسلك كل السبل عله يجدها، حتى العرافة التي طلب أن تقرأ له فنجانه عساها تريح نفسه الحائرة الحزينة، وترشده إلى تلك الحبيبة المجهولة في ضمير الغيب .. صدمته بالحقيقة المرة:

فنجانـــك دنيـــا مرعبـــة

وحياتـــك أســـفار وحـــروب

ســـتحب كثـــيراً وكثـــيراً

وستعـــشق كـــل نـــساء الأرض

وترجـــع كالملـــك المغلـــوب

لكنها طمأنته بوجود الأميرة المستحيلة التي يبحث عنها لكنها حذرته أن طريقه إليها مليء بالسدود والأشواك والأخطار:

بحياتـــك يـــا ولـــدي، امـــرأة

عيناهـــا ســـبحان المعبـــود

فمهـــا مرســـوم كـــالعنقود

ضحكتها موسيقى وورود
لكن سماءك ممطره
وطريقك مسدود مسدود

ثم تصارحه قارئة الفنجان بمأساته الحقيقية ... وتفسر له سر أحزانه العميقة وسر ضياعه في بحار الحب الصاخبة حيث سيظل تائها وسط أمواجها الهائجة تبحر به سفينة الحب من مرفأ إلى مرفأ ومن ضياع إلى ضياع دون أن ترسي به إلى شاطئ الحب الصادق ، حيث الأمان وراحة القلب والروح :

مقدورك أن تمشي أبداً
في الحب على حد الخنجر
وتظل وحيداً كالأصداف
وتظل حزيناً كالصفصاف
مقدورك أن تمضي أبداً
في بحر الحب بغير قلوع
وتحب ملايين المرات
وترجع كالملك المخلوع !

◆ ◆ ◆

وفي رحلة بحثه الطويلة المضنية في بحار الحب عن المرأة المستحيلة وجدها في بغداد ذات يوم من عام ١٩٦٩ .. وجد بلقيس الراوي وتزوجها .. فوجد فيها مرفأ الحب والأمان .. التي فهمت كيف ترضي كبرياء نزار الفنان الطفل .. فلم تتدخل في خصوصياته وتعاملت معه بروح حضارية، وفهمت نفسيته واحترمت انفراده بنفسه لفترات طويلة فرأى فيها واحة حياته وملاذه وتوأم روحه وهويته وفنه الشعري :

بلقيس يا عصفورتي الأحلى
ويا أيقونتي الأغلى

وأحس نزار أنه قد آن للسندباد الحائر أن يرسي على شاطئ الأمان ، وآن للمغامر الحزين أن يرتاح فوق جزيرة الحب والياسمين .

لكنه بعد زواج استمر اثني عشر عاماً وجد نزار نفسه وحيداً ضائعاً مرة أخرى .. فذات صباح من شهر ديسمبر ١٩٨١ استيقظ من نومه فوجد إلى جواره على الكومودينو ورقة صغيرة من بلقيس تعتذر له فيها عن عدم استطاعتها تناول الشاي معه هذا الصباح لارتباطها بموعد مهم في السفارة العراقية ببيروت حيث تعمل .

وشعر نزار بانقباض غريب لكنه واصل نومه .. وبعد قليل صحا على صوت انفجار مروع زلزله من الوريد إلى الوريد .. بعدها عرف بمأساة مصرع بلقيس تحت أنقاض السفارة تاركة أيتاماً ثلاثة : ولدها عمر وابنتها زينب وحبيبها نزار وانفجرت دموع العاشق التعيس تبكي حبه الضائع الراحل :

بلقيس ... كيف تركتنا في الريح
نرجف مثل أوراق الشجر
وتركتنا - نحن الثلاثة - ضائعين
كريشة تحت المطر !

في المنفى الاختياري

بعد أن اكتشف نزار أنه كان المستهدف من حادث مصرع روجته بلقيس من بعض الأنظمة العربية وأنه هو الهدف التالي لملم أوراقه وحاجياته وهجر بيته في بيروت واستقر في منفاه الاختياري في عاصمة الضباب «لندن» ليواصل معاركه السياسية الطاحنة .

أحس نزار في لندن بأن نبوءة العرافة قد تحققت وأن عليه أن يواصل حياته وحيداً يصارع الحيتان، ويواجه الأعاصير وأسماك القرش ، ويقاتل قراصنة البحر المدججين بالحراب والسيوف.. لكنه واجه محنة جديدة بعد أن أصبح وحيداً ، ففي أواخر عام ١٩٩٦ سقط الأسانسير به في البناية التي يقطن بها في

لندن ، فتكسرت عظام حوضه ، وأخضع لعملية جراحية نزعت فيها عظام الحوض بنسبة ٧٥ بالمائة وزرعت مكانها عظام اصطناعية بلاستيكية بديلة وهكذا أصبح ذلك النسر الشعري محطماً نفسياً وجسدياً ، وشعر أن قلبه قد أرهق في رحلته الشاقة المضنية في بحار العالم ، كان من بينها محطات ألم عميق بدأت برحيل ابنه توفيق عام ١٩٧٣ الذي كان يدرس الطب في القاهرة والذي رثاه بدموع قلبه :

أواجه موتك وحدي

وأجمع كل ثيابك وحدي

وأصرخ مثل المجانين وحدي

فكيف أقاوم سيف الزمان

وسيفي انكسر !

وانتهت بمصرع بلقيس الزوجة والحبيبة والأم ، ثم هذا الحادث الذي حطم حوضه وهو الطائر المغرد في سماوات الدنيا الواسعة فزادت أحزان الطائر الجريح ، خاصة بعد أن رأى أحوال العالم العربي تتردى ، وهاله حالة التشرذم العربية لكنه ظل مستمسكاً بفنه الشعري ونرجسيته : «النرجسية هي عطري الجميل ، الذي لا أستغني عنه إنني على مسرح الشعر منذ خمسين عاماً ، ولا تزال الصالة ملأى ، والعرض مستمر » .

ولكن ماذا يفعل في لندن :

« أنا في منفاي اللندني لا أتكلم

إلا مع البط والسنجاب الرمادي ..

إنني بعد خمسين عاماً من الكتابة

حققت حلمي الطفولي بكامله ، ودخلت إلى بيوت العرب بلا استئذان » .

وكانت رحلة نزار مع الحيَاة التي بدأت في دمشق في ٢١ مارس ١٩٢٣ ورحلته مع الشعر بصدور ديوانه الأول «قالت لي السمراء» وهو في الحادية والعشرين من عمره رحلة مع الشعر الناري المتمرد على القيود والسدود والأعراف، دفع ثمنها كثيرًا . وخاض من أجلها العديد من المعارك والمساجلات الفكرية لمواقفه الجريئة الصادمة سواء في دنيا الحب والمرأة أو في دنيا السياسة العربية بكل تشابكاتها ودهاليزها ، فظل نزار قباني طيلة رحلته بركانًا من الحب والغضب والتمرد.

وسكت شهريار !

لكن قلب نزار لم يعد يطاوعه على مغامراته وفوراته وثوراته ، وبراكينه ، فدخل غرفة الإنعاش بمستشفى بلندن وصمت البلبل الغريد يوم الخميس ٣٠ من إبريل ١٩٩٨ بعد أن ملأ الدنيا وشغل الناس وآن لشهريار الشعر أن يستريح وأن تهدأ روحه بعد ما أضناه التطواف في بحار الحب والسياسة يصارع الحيتان وأسماك القرش ، حتى سقط شهريار الشعر مثخناً بجراحه وهو ما زال يحمل سيف الشعر !



أحلى قصائد نزار قباني العاطفية

أيظن ؟

أيظــــنُّ أنّي لُعبَـــةٌ بيديــــهِ؟
أنـــا لا أفكّـــر في الرجـــوع إليـــهِ
اليــومَ عــادَ . كــأنَّ شـيئاً لم يكُـــنْ
وبــــراءةُ الأطفــــال في عَيْنَيْـــهِ
ليقـــولَ لي : إنّي رفيقـــةُ دربــــهِ
وبـــأنني الحـــبُّ الوحيــدُ لَدَيْـــهِ
حَمَـــلَ الزهـــورَ إليَّ .. كيـــف أرُدُّهُ
وصِـــبَايَ مرســـومٌ عـــلى شَـــفَتَيْهِ

❖ ❖ ❖

مـا عـدتُ أذكـرُ .. والحرائـقُ في دمـي
كيـــفَ التجـــأتُ أنـــا إلى زَنْدَيْـــهِ
خبَّـــأتُ رأسي عنـــدهُ .. وكـــأنّني
طفـــلٌ أعـــادوهُ إلى أبَوَيْـــهِ
حتـــى فـــساتيني التـــي أهملتُهـــا
فرحـــتْ بِـــهِ .. رَقَـــصَتْ عـــلى قَدَمَيْـــهِ
ســـامحتُهُ .. وســـألتُ عـــن أخبـــارِهِ
وبكيـــتُ ســـاعات عـــلى كَتِفَيْـــهِ
وبـــدون أنْ أدري تركـــتُ لـــه يـــدي
لتنـــامَ كالعـــصفور بـــينَ يديْـــهِ ..

ونسيتُ حقدي كُلَّهُ .. في لحظةٍ
مَنْ قالَ إنّي قد حقدتُ عليه
كم قلتُ إنّي غيرُ عائدةٍ لهُ
ورجعتُ .. ما أحلى الرجوعَ إليهِ ..

لا تحبيني

هذا الهوى .. ما عادَ يُغريني!
فَلْتَستريحي .. ولْتُريحيني
إنْ كان حبُّكِ .. في تقلّبِهِ
ما قد رأيتُ .. فلا تُحبّيني
حُبِّي .. هوَ الدُّنيا بأجمعها
أما هواكِ . فليسَ يعنيني
أحزانِيَ الصغْرَى .. تعانقني
وتزورني .. إنْ لَم تزوريني
ما همَّني .. ما تشعرينَ به
إنَّ افتكاري فيك يكفيني
فالحبُّ . وهمٌ في خَواطرنا
كالعطر ، في بال البساتين

❖ ❖ ❖

عيناك . من حُزْني عشقتهما
مَا أنتِ ؟ ما عيناكِ ؟ مَن دُوني
فمكُ الصغيرُ .. أدرتُهُ بيدي
وزرعتُهُ أزهارَ ليمونِ
حتى جمالُكِ ، ليس يُذْهلني

إن غـــابَ مـــن حـــين إلى حـــينَ
فالـــشوقُ يفـــتحُ ألـــفَ نافـــذةٍ
خـــضراءَ .. عـــن عينيـــكِ تُغْنينـــي
لا فـــرقَ عنـــدي يـــا معـــذِّبتي
أحببتنـــــــي ، أم لم تُحبيِّنـــــــي
أنـــتِ استـــريحي .. مـــن هـــوايَ أنـــا
لكـــنْ ســـألتُكِ .. لا تُريحينـــي

اغضب

اغضبْ كما تشاءُ ..

واجرحْ أحاسيسي كما تشاءُ

حطِّمْ أواني الزهر .. والمرايا ..

هدِّد بحبِّ امرأةٍ سوايا ..

فكلُّ ما تفعلُهُ سواءُ ..

وكلُّ ما تقولُه سواءُ ..

فأنتَ كالأطفال يا حبيبي

نحبُّهمْ .. مهما لنا أساؤوا

❖ ❖ ❖

اغضبْ !

فأنتَ رائعٌ حقاً متى تثُورُ

اغضبْ !

فلولاَ الموجُ ما تكوَّنتْ بحورُ ..

كُن عاصفاً .. كُنْ ممطراً ..

فإنَّ قلبي دائماً غفورُ

اغضبْ !

فلن أُجيبَ بالتحدِّي

فأنتَ طفلٌ عابثٌ ..

يملؤهُ الغرورُ ..

وكيفَ من صغارِها ..

تنتقمُ الطيورُ ؟

◆ ◆ ◆

اذهبْ ..

إذا يوماً مللتَ منِّي ..

واتَّهم الأقدارَ واتَّهمني ..

أما أنا فإنِّي ..

سأكتفي بدمعتِي وحزني ..

فالصَّمتُ كبرياءُ .

والحزنُ كبرياءُ .

◆◆◆

اذهبْ .

إذا أتعبكَ البقاءُ ..

فالأرضِ فيها العطرُ والنساءُ ..

وعندما تريدُ أن تراني ..

وعندما تحتاجُ كالطِّفل إلى حناني ..

فَعُدْ إلى قلبي متى تشاءُ ..

فأنتَ في حياتِيَ الهواءُ ..

وأنتَ .. عندي الأرضُ والسماءُ ..

❖ ❖ ❖

اغضب كما تشاءُ ..

واذهبْ .. متى تشاءُ

لابد أن تعود ذات يوم

وقد عرفت ما هو الوفاء ..



يجوز أن تكوني

يجوزُ أن تكوني

واحدةً من أجمل النساء ..

دافئةً .. كالفحم في مواقد الشتاءِ ..

وحشية .. كقطة تموء في العراء ..

آمرة .. ناهيةً كالأميراتِ ..



يجوزُ أن تكوني ..

سمراءَ .. أفريقيَّةَ العيونِ ..

عنيدةً .. كالفَرَسِ الحَرُونْ ..

عنيفةً .. كالنارِ ، كالزلزالِ ، كالجنونِ .

يجوزُ أن تكوني ..

جميلةً ، ساحقةَ الجمالِ ..

مثيرةً للجلدِ ، للأعصابِ ، للخيالِ ..

وتُتقنينَ اللهوَ في مصائرِ الرجالِ ..

❖❖❖

يجوز أن تترائى أمامي ..

كالسَّيف في الظلام ..

مليسة كريشة النعام ..

قلبك مُهْرٌ أبيضٌ

يجري بلا سرج ولا لجامِ ..

يجوزُ أن تبقي هُنا ..

عاماً وبعضَ عامِ ..

فلا يثيرُ حسنُكِ المدمِّرُ اهتمامي ..

كأنَّما ..

ليستْ هناك امرأةٌ .. أمامي ..

يجوزُ أن تكوني

سلطانَة الزمان والعصور ..

وأن أكون أبلهاً .. معقَّدَ الشعورِ ..

يجوزُ أن تقولي .

ما شئتِ عن جُبني .. وعن غروري .

وأنَّني .. وأنني ..

لا أستطيعُ الحُبَّ .. كالخصيانِ في القصورِ ..

يجوزُ أن تُهدِّدي ..

يجوزُ أن تُعربدي ..

يجوزُ أن تَثوري ..

لكنْ أنا ..

رغمَ دموع الشمع والحريرِ ...

وعُقدة (الحريم) في ضميري ..

لا أقبلُ التزويرَ في شعوري ..

❖ ❖ ❖

يجوزُ أن تكوني

شفَّافةً كأدمع الربابَهْ

رقيقةً كنجمة ، عميقةً كغابَهْ ..

لكنَّني أشعرُ بالكآبَهْ ..

فالهوى - في تصوري -
حكايةُ انسجامِ ..
كالنحتِ ، كالتصوير ، كالكتابَهْ ..
وشخصك النقيُّ ، كالقشطةِ والرُّخَامِ
لا يُحسنُ الكتابَهْ ..

تعوَّدِ شَعْري عَلَيكْ

تعوَّدَ شَعْري الطويلُ عليكْ
تعوَّدتُ أرخيه كلَّ مساء
سنابلَ قمحٍ على راحتيكْ
تعوَّدتُ أتركه يا حبيبي ..
فكيف تَمَلُّ صداقةَ شَعْري ؟
وشَعْري ترَعْرعَ بين يديكْ .

◆◆◆

ثلاثُ سنينْ ..
ثلاثُ سنينْ ..
تُخدِّرني بالشؤون الصغيرَهْ .
وتصنع ثوبي كأيِّ أميرَهْ ..
من الأرجوانِ .. من الياسمينْ
وتكتبُ اسمَكَ فوق الضفائرْ

وفوق المصابيح .. فوق الستائرْ

ثلاثُ سنينْ ..

وأنتَ تردِّد في مسمعيًا ..

كلاماً حنوناً .. كلاماً شهيّاً ..

وتزرعُ حبَّك في رئتيًا ..

وها أنتَ .. بعد ثلاث سنينْ ..

تبيعُ الهوى .. وتبيعُ الحنينْ

وتترك شَعْري ..

شقيّاً .. شقيًا ..

كطيرٍ جريحٍ .. على كتفيًا

◆ ◆ ◆

حبيبي ! أخافُ اعتيادَ المرايا عليكْ ..

وعطري ، وزينةِ وجهي عليكْ ..

أخافُ اهتمامي بشكل يديْكْ ..

أخافُ اعتيادَ شفاهي ..

مع السنوات ، على حدَقتيك

أخافُ أموتُ ، أخافُ أذوبُ

كقطعة شمعٍ على ساعديْكْ ..

فكيف ستنسى الحريرَ ؟

وتنسى عبير الحرير على رُكْبتيكْ ؟

❖ ❖ ❖

لأني أُحبُّكَ ، أصبحتُ أجمَلْ

وبعثرتُ شعري على كتفيَّ ..

طويلاً .. طويلاً .. كما تتخيَّلْ ..

فكيف تملُّ سنابلَ شعري ؟

وتتركه للخريف وترحَلْ .

وكنتَ تريحُ الجبينَ عليه

وتغزلُهُ باليدينِ فيُغْزَلْ ..

وكيف سأُخبرُ مشْطي الحزينْ ؟

إذا جاءني عن حنانكَ يسألْ ..

أجِبْني . ولو مرةً يا حبيبي .

إذا رُحْتَ ..

ماذا بِشَعْري سأفعَلْ ؟

❖ ❖ ❖

مَاذا أقولُ له ؟

مــاذا أقــول لــهُ لــو جــاء يــسألني ..
إن كنــتُ أكرهــهُ أو كنــتُ أهــواهُ ؟
مــاذا أقــولُ ، إذا راحــتْ أصــابعُهُ
تُلَمْلِــمُ الليــلَ عــن شَــعري وترعــاهُ؟
وكيــف أســمحُ أن يــدنو بمقعــده ؟
وأن تنــام عــلى خــصري ذراعــاهُ ؟
غــداً إذا جــاء .. أعطيــه رســائلَهُ
وتُطعــمُ النــارَ أحــلى مــا كتبنــاهُ

❖ ❖ ❖

حبيبتــي ! هــل أنــا حقّــاً حبيبتُــهُ ؟
وهــل أُصــدِّقُ بعــد الهجــر دعــواهُ ؟
أمــا انتهــتْ مــن ســنين قــصَّتي معــهُ ؟
ألمْ تَمُــتْ كخُيــوط الــشمس ذكــراهُ ؟
أمــا كَــسَرْنا كــؤوس الحــبِّ مــن زمــنٍ
فكيــف نبكــي عــلى كــأسٍ كــسرناهُ؟
ربَّــاهُ .. أشــياؤه الــصغرى تعــذّبُني
فكيــف أنجــو مــن الأشــياء أواه
هنــا جريدتُــهُ في الــركن مهملــةٌ
هنــا كتــابٌ معــاً .. كنــا قرأنــاهُ
عــلى المقاعــد بعــضٌ مــن ســجائرهِ
وفي الزوايــا .. بقايــا مــن بقايــاهُ ..

❖ ❖ ❖

مـــالي أحـَـدِّق في المـــرآة .. أســـألها
بـــأيِّ ثـــوبٍ مـــن الأثـــوابِ ألقـــاهُ
أأدعـــي أنّنـــي أصـــبحتُ أكرهُـــهُ ؟
وكيــف أكــرهُ مَــنْ في الجفــن ســكناهُ ؟
وكيـــف أهـــرب منـــه ؟ إنَّـــه قَـــدَري
هــل يملــكُ النهــرُ تغيــيراً لمجــراهُ ؟
أحبُّــه .. لــستُ أدري مــا أحــبُّ بــه
حتــى خطايـــاهُ مـــا عـــادتْ خطايـــاهُ
الحــبُّ في الأرض .. بعــضٌ مــن تخيُّلِنــا
لــو لم نجــدهُ عليهــا .. لاخترعنـــاهُ
مـــاذا أقُـــولُ لـــه لـــو جـــاء يـــسألني
إن كنــتُ أهــواهُ .. إني ألــفُ أهــواهُ ...

❖ ❖ ❖

تريدين

تُريدينَ مثلَ جميعِ النساء ..
كنوزَ سليمانَ ..
مثلَ جميعِ النساء
وأحواض عطرٍ
وأمشاطَ عاجٍ
وسرْب إماءٍ
تُريدينَ مَوْلَى ..

يُسَبِّح باسمك كالبَبَغاء

يقولُ : (أُحبُّكَ) عند الصباح

يقولُ : (أُحبُّكِ) عند المساء

يا شهر زادَ النساء ..

تُريدينَ مثل جميعِ النساء

تريدينَ مني نجومَ السماء

وأطباقَ مَنٍّ ..

وأطباقَ سلوى ..

وخُفَّيْنِ من زَهَر الكستناء ..

تريدينَ .. من شَنْغَهايَ الحريرَ ..

ومن أصفهانَ جلودَ الفراءِ ...

ويولدُ بين الغمائم قصرٌ

جميعُ حِجارتهِ من ضِياءِ ..

◆◆◆

تُريدينَ مثلَ جميعِ النساء

مراوحَ ريشٍ

وكُحْلاً .. وعطراً ..

تريدينَ عبداً شديدَ الغباءِ

ليقرأ عند سريركِ شعراً ..

تريدينَ في لحظتينِ اثْنَتَيْنِ

بلاطَ الرشيد وإيوانَ كسرىٰ .

وقافلةً من عبيد وأسرى

تجرُّ ذيوللكِ .. يا كليُوبترا ..

ولستُ أنا ..

سندبادَ الفضاء ..

لأُحضر بابلَ بين يديْكِ

وأهرامَ مصرٍ .. وإيوانَ كِسْرى

وليس لديَّ سراجُ علاء

لآتيك بالشمسِ فوقَ إناءِ

كما تتمنَّى .. جميعُ النساءِ ..

❖ ❖ ❖

وبعدُ

أيا شهر زادَ النساء ..

أنا عاملٌ من دمشقَ .. فقيرٌ

رغيفي أغمِّسه بالدماء ..

شعوري بسيطٌ ، وأجري بسيطٌ

وأؤمنُ بالخبز .. والبسطاء

وأحلُمُ بالحبِّ كالآخرينْ ..

وزوجٍ تخيطُ ثقوبَ ردائي

كعصفور حقلٍ ، كزهرةِ ماء

أفكّر بالحبِّ كالآخرينْ

لأن المحبّة مثل الهواء

لأنَّ المحبّة شمسٌ تضيء ..

على الحالمينَ وراء القصورِ ..

على الكادحينَ .. على الأشقياء

ومَنْ يملكونَ سريرَ حريرٍ

ومَنْ يملكونَ سريرَ بُكاء ..

❖ ❖ ❖

تُريدينَ مثلَ جميعِ النساء

تريدينَ ثامنةَ المعجزاتِ ..

وليس لديَّ ..

سوى كبريائي ..



القصيدَة البحْريّة

في مرفـــــأ عينيـــــكِ الأزرقْ
أمطــــارٌ مـــــن ضـــوء مـــسموعْ
وشـــموسٌ دائخـــــةٌ .. وقلـــوعْ
ترســــمُ رحلتَهــــا للمُطْلَـــــقْ

❖ ❖ ❖

في مرفـــــأ عينيـــــكِ الأزرقْ
شُـــبَّاكٌ بحـــريٌّ مفتـــــوحْ
وطيـــورٌ في الأبعــــاد تلـــوحْ
تبحــــثُ عـــن جُـــزُرٍ لم تُخْلَـــقْ

❖ ❖ ❖

في مرفـــــأ عينيـــــكِ الأزرقْ
يتـــــساقط ثلـــــجٌ في تمّـــــوزْ
ومراكـــــبُ حـــبلى بـــــالفيروزْ
أغرقـــتِ البحـــــرَ ولم تغـــــرقْ

❖ ❖ ❖

في مرفـــــأ عينيـــــكِ الأزرقْ
أركُــضُ كالطفـــل عـــلى الـــصَّخْرِ
أستنـــشقُ رائحــــةَ البحــــرِ ...
وأعـــــودُ كعـــــصفورٍ مُرْهَـــــقْ

❖ ❖ ❖

في مرفـــــأ عينيـــــكِ الأزرقْ

أحلُمُ بالبحر وبالإبحارْ
وأصيدُ ملايينَ الأقمارْ
وعُقودَ اللؤلؤ والزنبقْ

❖ ❖ ❖

في مرفأ عينيكِ الأزرقْ
تتكلّمُ في الليل الأحجارْ
في دفتر عينيكِ المُغْلَقْ
مَنْ خبّأ آلافَ الأشعارْ ؟

❖ ❖ ❖

لو أنّي .. لو أنّي .. بحّارْ
لو أحدٌ يمنحني زورقْ
أرسيتُ قلوعي كلّ مساءْ
في مرفأ عينيكِ الأزرقْ

الرسْمُ بالكلِمَات

لا تطلبي منّي حسابَ حياتي
إنَّ الحديثَ يطولُ يا مولاتي!
كلّ العصور أنا بها .. فكأنّما
عمري ملايينٌ من السّنَواتِ
تعبتْ من السّفَر الطويل حقائبي
وتعبتُ من خيلي ومن غَزَواتي..
لم يبق سهل أسودٌ أو أبيضٌ
إلاّ زرعتُ بأرضه راياتي ..

لم تبقَ زاويةٌ بركن جميلةٌ
إلاّ ومرَّت فوقها عَرَبَاتي ..
فصَّلتُ من جلد النساء عباءةً
وبنيتُ أهراماً من الحَلَماتِ
وكتبتُ شعراً .. لا يشابهُ سحرَهُ
إلاّ كلام السيف في الثورات

◆ ◆ ◆

.. واليوم أجلسُ فوقَ سطح سفينتي
كاللّص .. أبحثُ عن طريق نجاةِ
وأديرُ مفتاحَ الحريم .. فلا أرى
في الظلّ غيرَ جماجم الأمواتِ
أينَ السبايا ؟ . أينَ ما ملكتْ يدي؟
أين البَخُورُ يضوعُ من حُجُراتي؟
اليومَ تنتقمُ النهودُ لنفسها ..
وتردّ لي الطّعَنات بالطّعَناتِ ..

◆ ◆ ◆

مأساةُ هارون الرشيد مريرةٌ
لو تدركين مرارةَ المأساةِ
إني كمصباح الطريق ... صديقتي
أبكي .. ولا أحدٌ يرى دَمَعاتي ..
الجنسُ كانَ مُسَكِّناً جرَّبتُهُ
لم يُنْسِهِ أحزاني ولا أزَمَاتي
والحبُّ . أصبَحَ كلّهُ متشابهاً
كتشابُهِ الأوراقِ في الغاباتِ ..
أنا عاجزٌ عن عشق أيّة نملةٍ

أو غيمـــةٍ .. عـــن عـــشقٍ أيّ حـــصاةِ
فَمُـــكِ المطّيـــبُ .. لا يُحُـــلّ قـــضيَّتي
فقـــــضيَّتي في دفـــــتري ودَوَاتي
كـــلّ الـــدروب أمامنـــا مـــسدودةٌ
وخلاصُـــنا .. في الرســـم بـــالكلماتِ .

قِصَّة خِلافَاتِنا

برَغمِ .. برَغمِ خلافاتِنا
برَغمِ جميع قراراتِنا
بأنْ لا نعودْ
برَغمِ العَدَاء .. برغمِ الجَفَاء ..
برَغمِ البُرُودْ ..
برغمِ انطفاء ابتساماتِنا
برغمِ انقطاع خطاباتنا
فثمّةَ سرٌّ خفيْ
يُوحّدُ ما بينَ أقدارِنَا
ويُدْني مواطئ أقدامِنَا
ويُفْنيكِ فيّ
ويصهرُ نارَ يَدَيْكِ بنارِ يديْ ..
برغمِ جميع خلافاتِنا

برغْمِ اختلاف مناخاتِنا

برغْمِ سُقُوط المَطَرْ

برغْمِ استعادة كُلِّ الهدايا

وكُلِّ الصُّوَرْ

برغْمِ الإناء الجميلِ

الذي قلتِ عنهُ .. انكسَرْ

برغْمِ رَتَابَة ساعاتِنا

برغْمِ الضَّجَرْ ..

فلا زلتُ أؤمنُ أنَّ القدَرْ

يُصِرُّ على جمع أجزائِنا

ويرفضُ كُلَّ اتهاماتِنا ..

❖ ❖ ❖

برغْمِ خريف علاقاتِنا

برغْمِ النزيف بأعماقِنا

وإصرارِنا ..

على وضع حدٍّ لمأساتِنا

بأيِّ ثَمَنْ ..

برغْمِ جميع ادِّعاءاتِنا

بأنِّي لنْ ..

وأنَّك لَنْ ..

فإنّي أشُكُّ بإمكاننا

فنحنُ برغْمِ خلافاتِنا

ضعيفانِ في وجه أقدارِنا

شبيهانِ في كُلِّ أطوارِنا

دفاترُنا ، لونُ أوراقِنا

وشكْلُ يديْنا .. وأفكارِنا

فحتَّى نقوشُ ستاراتِنا

دليلٌ عميقٌ

على أننا ..

رفيقا مصيرٍ ، رفيقاً طريقْ

برغْمِ جميع حماقاتِنا ..

محمد رضوان

▪ ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية - محافظة الدقهلية بمصر في ١٥ سبتمبر ١٩٤٨.

▪ حصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١ وعمل كاتباً صحفياً بمجلة الهلال منذ (١٩٧٣) .

▪ عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر جوال ٠١٠٠٦٧٥٩٢٢٤.

▪ من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت - أنيس منصور - أحمد عبد المجيد - إبراهيم عيسى - عبد العليم القباني - د . مقداد يالجن - سعد حامد - كمال النجمي - كمال نشأت - فاروق شوشة - محمد إبراهيم أبو سنة - حسن فتح الباب د. ماهر شفيق فريد) .

▪ له خبرة في الصحافة الأدبية والسياسة ، حيث عمل في سلطنة عمان رئيساً لتحرير مجلة السراج الأدبية (١٩٧٦ - ١٩٧٧) ، (١٩٩٢ - ١٩٩٤) ، ومديراً لتحرير مجلة (النهضة) السياسية (١٩٨٢ - ١٩٩٣) .

▪ ابتدع لنفسه منهجاً أدبياً في كتابة السير سماه (المنهج الوجداني) يجمع بين الموضوعية والعاطفية ، بين التحليل الأدبي النفسي وذاتية الكاتب وذوقه الأدبي ، ولعل بداياته القصصية هي التي ساعدته في تأصيل هذا المنهج ، فوصفه السفير الشاعر أحمد عبد المجيد (حين يتولى محمد رضوان كتابه سيرة لشاعر من الشعراء نراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال ، ويتشح برداء عصره الذي عاشه ، ويتنسم ما كان يستنشقه ، فتجيء ترجمته كظل الغصن أو كرجع الصدى) .

▪ له أكثر من عشرين كتاباً في أدب السير منها : صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك - مأساة شاعر البؤس : عبد الحميد الديب - اعترافات شاعر الكرنك

أحمد فتحي ـ شاعر الأطلال ناجي شاعر الجندول على محمود طه ـ شاعر النيل والنخيل : صالح جودت ـ رحلتي مع القلم ـ عندما يحب الشعراء ـ شعراء الحب ـ شاعر الروابي الخضر : أحمد خميس ـ شاعر الهمسات .

■ قام بجمع وتحقيق ودراسة :

ـ ديوان شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب (المجلس الأعلى للثقافة) ـ القاهرة ٢٠٠٠ .

ـ ديوان شاعر الجندول ، على محمود طه (هيئة قصور الثقافة) ـ القاهرة ٢٠١٠ .

له كتب تحت الطبع (في مكتبة جزيرة الورد):

- شاعر الحب: صالح جودته (حياته وشعره).
- شاعر الكرنك : أحمد فتحي (حياته وشعره).
- لكل عاشق حكاية.
- شعراء رباعيات الخيام.

الفهرس